السابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المقتدى بأمر الله

وهو أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله .

وأمه أم ولد اسمها أرجوان ، عمرت عمرا طويلا حتى أدركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر وخلافة ابن ابنه المسترشد. كان قوى النفس عظيم الهمة ، بويع له بالخلافة بحضور مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير ابن جَهِير [1] والشيخ أبى إسحاق الشيرازى وابن الصباغ ونقيب النقباء ابن الزّينبي ، والقاضى أبى عبدالله الدامغانى وغيرهم من الأعيان ، فى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وبقى حتى توفى فجأة يوم السبت خامس عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأيام ، ويقال إن شمس النهار القهرمانة سمّته . ومدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر .

---

(١) ضبطه ابن خلكان في ترجمته له بفتح الجيم أما في كتاب معجم الأنساب فيضبط بالتصغير انظر فيه ص ٢٣

الحوادث والماجريات فى خلافتـــه

فى سنـــة ثلاث وسبعين وأَربعمائة أَرسل المقتدى بـأَمر الله (٩٧ ا) الشيـــخَ أَبا إِسحاق الشيرازى رسولا إِلى السلطان ملـــكشاه بن أَلب أَرسلان بن داود بن ميـــكائيل بن سلجوق السلجوقى وإِلى وزيره نظام الملك يشـــكو من عميد العـــراق أَبى الفتـــح بن أَبى الليث . فأَكرم السلطان ملـــكشاه ونظام الملك الشيـــخ أَبا إِسحاق ، وجرى بينه وبين إِمام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك ، وعاد بالإِجابة إِلى ما التمسه الخليفة ، ورُفعت يدُ العميد عن جميـــع ما يتعلق بالخليفة . ثم سار السلطان ملـــكشاه من أَصفهان إِلى حلب ، فدخلها فى جمـــادى الآخرة سنة تسع وتسعين وأَربع مائة ، ثـم سار عن حلب ودخـــل بغداد فى ذى الحجـــة من هذه السنـــة المذكورة ، وهو أَول قدومه إِلى بغداد ، واجتمـــع بالمقتدى الخليفة ، ثـم خرج إِلى الصيد ، ثـم عاد إِلى بغداد ، واجتمع بالمقتدى ، وأَقام بها إِلى صفر سنة ثمانين وأَربع مائة ، ثـم عاد إِلى أَصفهان ، ثـم عاد إِلى بغداد فى رمضان سنة أَربع وثمانين وأَربع مائة ، ووصل إِليه أَخوه تُتُش بن أَلب أَرسلان ، وعمل الميلاد ببغداد ، واحتفل له الناس احتفالا عظيما ،

وأَكثر الشعراءُ من وصف تلك الليلة ، وأمر ببنـاء الجامع المعروف بجـامع السلطان ببغـداد ، وابتدأَ كبـار أُمرائه بعمل مساكن لهم ببغداد ينزلون فيهـا ، فلما قدموا بغداد تفرّق شملهم بالموت والقتل عن قريب . ثم قتل السلطانُ ملـكشاه وزيره نظامَ الملك وهو عائد إلى بغداد فى سنـة خمس وثمانين وأَربـع مائة ، ودخل السلطان ملـكشاه بغداد فى الرابع والعشرين من رمضان سنة خمس وثمانين وأَربع مائة ، ثم خرج من بغداد للصيد وعاد فى ثالث شـوال مريضا ، فتوفى ليلة الجمعة نصف شوال المذكورة ، وكان من أَجمل الناس صورة ومعنى ، (٩٧ ب) وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ، ومن أَقاصى بلاد الإِسلام إلى آخر بلاد اليمن ، وحملت له ملوك الروم الجزية ، وكانت أَيامه أَيام عدل وإِدرار أَرزاق ، وكان مُغرى بالصيد ، وكان يتصدق بعدد كل وحش يصيده بدينار ، حتى أَنه صاد مرة عشرة آلاف صيد فتصدق بعشرة آلاف دينـار . ولمـا مات أَخفت زوجتُـه تركانُ موتَه ، وفرقت المـال فى العساكر ، وسارت إلى أَصفهان فاستحْلَفَتهم لولدها محمودِ ابن ملـكشاه ، وهو ابن أَربـع سنين وأَشهر ، وخطبت له

فى بغداد وغيرها ، ثم تحرك تُتُش بن ألب أرسلان من دمشق بعد موت أخيه ملكشاه ، لطلب السلطنة ، ومعه آق سنقر صاحب حلب ، واستولى على الموصل ، وأرسل إلى بغداد يطلب أن يُخطب له ، فتوقفوا فى إجابته لذلك ، وأقبل بَركيارق [1] بن ملكشاه ، بن ألب أرسلان للقائه ، فعاد تتش إلى الشام ، وقدم بركيارق بغداد وخُطب له بها فى رابع المحرم سنة سبع وثمانين وأربع مائة ، وبقى الأمر ببغداد وغيرها بيد بَركيارق إلى ما بعد خلافة المقتدى . وفى أيامه فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة استولت الفرنج على جزيرة صقلّية ، وانتزعتْها من يد نواب المستنصر العلوى . أولاده منهم المستظهر بالله الآتى ذكره .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر فى أيامه المستنصر بالله الفاطمى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى ، وكان القائم بتدبير دولته وزيره بدر الجمالى .

وكانت دمشق قد خرج عنها أنوشتكين الدِّزبرى

(١) فى الأصل يكتب : تركيارق . والتصويب من صبح الأعشى ﺣ ٤ ص ٤٤٧ .

فتغلب عليها أَتسز بن أَرتق الخُوارزمى أَحد أُمراء السلطان (٩٨ ا) ملكشاه السلجوقى فى سنة ثمان وستين وأَربع مائة ، وقطع الخطبة بهـا للمستنصر الفاطمى ، وخطب للمقتدى العباسى ، ومنع الأَذان : بحىَّ على خير العمل ، ولم يخطب بعدها بالشـام لأَحد من الفاطميين ، وبقى بها إِلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على حلب محمود بن شبل الدولة ، فبقى بها حتى توفى فى ذى الحجة سنـة ثمان وستين وأَربع مائة ، وملـكها بعده ابنه نصر بن محمود ، فبقى حتى قتله التُّرْكُمان ، وملـكها بعده أَخوه سابق بن محمود ، ثم انتزعها منه شرف الدولة مُسلم بن قريش صاحب الموصل ، فى صفر سنـة سبـع وسبعين وأَربـع مائة ، وملـكها بعـده أَخوه إِبراهيم بن قريش ، ثم انتزعهـا منه تُتُش بن أَلب أَرسلان السلجوقى صاحب دمشق ، فى السنة المذكورة ، ثم انتزعها منه السلطـان ملـكشاه السلجوقى ، وسلمها إِلى قسيم الدولة آقسنقر ، ثم استعادها تُتُش بن أَلب أَرسلان المقدم ذكره بعـد موت ملـكشاه ، واستضافهـا إِلى دمشق ، وانبسط

ملكه حتى ملك بعد ذلك أذربيجان ، وبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على مكة محمد بن جعفر ، فانقطع ما كان يصل إلى أمير مكة من العراق بعد موت القائم ، فقطع الخطبة للعباسيين ، ولما ولى المقتدى أرسل إليه بمال فأعاد الخطبة للعباسيين ، وجهز منبرا إلى مكة وكتب اسمه عليه بالذهب ، فوقعت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة . فكُسر المنبر وأُحرق ، واستمرت الخطبة للعباسيين بعد ذلك إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقى فى سنة ست [1] وثمانين وأربع مائة ، فانقطعت الخطبة من مكة للعباسيين ، وبطل الحج من العراق ، وبقى (٩٨ ب) محمد بن جعفر على إمارته بمكة إلى ما بعد خلافة المقتدى . ولم أدر من كان على المدينة فى خلافته .

وكان على اليمن سعيد بن نجاح ، ثم غلب على المُلْك المَلكُ المكرّم أحمد بن على الصُّلَيْحى فى سنة خمس

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧٠ علق على هذا بكلمة : لعله خمس كما يؤخذ من تاريخ أبي الفداء .

وسبعين وأَربــع مائة [1] ثم عاد ابن نجــاح وملك زبيد في سنة تسع وسبعين وأَربع مائة ، ثم عاد الملك المــكرم وملكها وقتل سعيدًا ، في سنة إحدى وثمانين وأَربع مائة ، وملك بعده ابنُ عمه أَبو حِمْيَر سبأ ، فبقى إلى ما بعــد خلافة المقتدى .

وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان .

وكانت خراسان بيد ملكشاه بن أَلب أَرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وفي سنة اثنتين وثمانين وأَربع مائة سار إلى ما وراء النهر وملك بُخارا وسمرقند وانتزعها من يد أَحمد خان أَحد ملوك تركستان ، وانتهــى ملــكه إلى كاشغر [2] . ثم استقرت بيد أَحمد خان المقدم ذكره ، وبقى حتى قُتل بالزندقة في سنة ثمان وثمانين وأَربع مائة ، واستقر ابن عمه مسعود مكانه ، وبقيت خراسان بيد [ملكشاه بن] أَلب أَرسلان حتى توفى سنة خمس وثمانين وأَربع مائة ، وملكها بعده أَخوه أَرسلان أَرغون بن أَلب أَرسلان ، فبقى بها حتى قتله بعض غلمانه في المحرم من هذه السنة ، ولما قتل أَرسلان

(1) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٨ : في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقيل سنة ثمانين » ولعل فيه سقطاً كبيرا .

(2) في الأصل كالشعر

أرغون ، سار بَركيارق بن ألب أرسلان إلى خراسان ، فملكها ، وأرسل إلى ما وراء النهر فخطب له هناك ، وسلم خراسان إلى أخيه سنجر بن ملكشاه ، وجعل وزيره أبا الفتح بن الحسين الطغراى .

وكانت غزنة وما معها بيد الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود ، فتوفى فى سنة إحدى وثمانين وأربع [1] مائة ، وملك بعده ابنه مسعود بن إبراهيم ؛ فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وكان على (١٩٩) الغرب الأقصى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين أول ملوك المرابطين من لَمْتُونه من البربر ، واستولى على الغرب الأوسط وانتزعه من يد بنى باديس ، واستضافه إلى الغرب الأقصى ، وبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وأما الأندلس فكانت بيد ملوك الطوائف ، على ما تقدم.

(١) فى الأصل إحدى وأربعين وأربع مائة والتصويب من صبح الأعشى ح ٤ ص ٤٤٨

فكانت إشبيلية بيد المعتمد بن عباد ، فبقى حتى غلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الأندلس ، فقبض عليه سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، واعتقله إلى أن مات سنة ثمان وثمانين وأربع مائة . وبقيت بيده حتى مات .

وكانت قرطبة بيد سراج الدولة بن عباد ، فبقى بها حتى قُتل فى سنة سبع وستين وأربع مائة [قتله ابن عكاشة] [1] ودعا بها على المنابر ليحيي بن إسماعيل بن ذى النون ، وقتل بها مسموما [2] ثم تملكها المعتمد بن عباد فى سنة أربع وثمانين وأربع مائة .

وكانت بطليوس بيد المتوكل بن الأفطس ، فبقى حتى قتله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، سنة تسع وثمانين وأربع مائة ، فبقيت بيده حتى مات .

وكانت طليطلة بيد المأمون بن الظافر [إسماعيل بن عبد الرحمن] ذى النون حتى مات مسموما سنة سبع

(١) الزيادة من صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٥٠ .

(٢) في هامش صبح الأعشى يؤخذ من العبر جـ ٤ ص ١٥٩ أن الذى قتل مسموما هو سراج الدولة

وستين وأَربـــع مائة ، وولى بعده طليطلة حافدُه القادر يحيي ابن إِسماعيل بن المأْمون ، فغلبه عليها الطاغية أَدفونش ، مَلَكَ طليطلةَ واقتلعهــا منه فى سنة ثمان وسبعين وأَربــع مائة ، وهى بيد الفرنج إلى الآن .

وكانت سرقسطة بيد المقتدر أَحمد ، فبقى حتى مات سنة أَربـــع وسبعين وأَربع مائة ، وولى بعـــده ابنه المؤتمن يوسف ، وكان له اليد الطولى فى العلوم الرياضية ، وله فيهــا التآليف الجليلة ، ومات سنة ثمان وسبعين وأَربـــع مائة ، وولى بعده ابنـــه المستعين أَحمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى .

وأَما دانِيَةُ وَمَيُورقه فـــكانتـا بيد إِقبـــال الدولة علىٍّ ، من عقب [1] المنصور (٩٩ ب) ابن أَبى عامر ، فدام ملـــكه بها ثلاثا وثلاثين سنة ، ثم غلبه المقتدر بن هود على دانية ، ونقله إلى سَرَقُسْطة ، فمات بها سنة أَربع وسبعين وأَربع مائة [2] واستخلف على ميورقه صهره سليمان بن مشكيان ،

---

(١) الذى في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٥٦ أن أباه مجاهدا مولى المنصور وقدم ذلك أيضا في اللوحة (٩٦ ب) .

(٢) الذى في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٥٦ وبه يستقيم الكلام . : وبقى الأغلب مولى مجاهـــد على ميورقة وكان كثير الغزو في البحر فاستأذن على بن مجاهد في الغزو واستخلف . . .

فمات بها بعد خمس سنين ، فولّى مكانه ناصر الدولة مُبَشِّرًا ، فأقام خمس سنين أيضاً ، وتغلب عليه المقتدر بن هود . فاستقـل مبشر بميورقة ، فبقى بها إلى ما بعـد خلافة المقتدى .

الثامن والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستظهر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله المقدم ذكره ، بويـع له بالخلافة بعد موت أبيه فى منتصف المحرم سنة سبـع وثمانين وأربع مائة . وعمره يومئذ ست عشرة سنة وشهران ، وقام ببيعته السلطان بَرْكيارق بن ملـكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق . وبقى حتى توفى فى السادس عشر من ربيـع الآخر سنة ثنتى عشرة وخمس مائة ، وعمره إحدى وأربعون [1] سنة وستة أشهر وأيام . ومدة خلافتـه أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد وعشرون يوما ، وكان له من الأولاد المسترشد والمقتفى ، كلاهما ولى الخلافة ، وأبو طالب .

---

(١) في الأصل : وأربعين .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته السلطان بَركيارق بن ملكشاه بن أَلب أَرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم غلب تُتُش بن أَلب أَرسلان على حلب وحرَّان والرها والبلاد الجزرية وديار بكر وخِلاط وأَذربيجان وهَمَذان، وكمل عسكره خمسين أَلف مقاتل، وبعث يطلب أَن يخطب له ببغداد عن المستظهر (١٠٠ ا) الخليفة، فأُجيب إلى ذلك، وخطب له، بها وسار بركيارق[1] إلى أَصفهان، وبها أَخوه محمود، فمرض محمود فمات فى سلخ شوال سنة سبع وثمانين وأَربع مائة، واستقر بَركيارق فى السلطنة مكانه، ثم سار بَركيارق إلى عمه تتش فالتقيا على القرب من الرىّ، وانهزم عسكر تتش وقتل فى المعركة فى صفر من هذه السنة، واستقامت السلطنة لبركيارق، ثم سار بركيارق فى سنة ثلاث وتسعين وأَربع مائة ودخل بغداد، وأُعيدت له الخطبة فى صفر من هذه السنة. ثم خرج بَركيارق من بغداد، وسار لحرب أَخيه محمد، وقصد الرَّىّ فنزلها، ثم سار

(١) يكتب دائما : تركيارق وقد سبق التنبيه إلى تصحيحه وانظر معجم الأنساب ص ٧٣ .

بركيارق من الرى إلى بغداد ، وضاقت عليه الأُمور ، فطلب من الخليفة مالاً يستعين به ، فحمل إليه الخليفةُ خمسين أَلف دينار ولم يكفه ذلك حتى مد يده إلى مال الرعية ، وسار محمد بن ملكشاه بن أَلب أَرسلان ومعه أَخوه سنجرُ فى طلب بَركيارق ، حتى وصل إلى بغداد وبَركيارق مريض قد اشتد به المرض وأُيس منه ، فتحول إلى الجانب الغربى محمولا ، ثم وجد خِفَّة ، فسار عن بغداد إلى واسط ، ودخل محمد وسنجر إلى بغداد ، فشكى إليهما المستظهر سوء سيرة بَركيارق ، وخطب لمحمد ببغداد فى سنة اثنتين وتسعين وأَربع مائة . وكان بين محمد وبَركيارق حروب آخرها أَن حصل الصلح على بلاد لكل واحد منهما يُخْطب له فيها ، ولما وصل خبر الصلح إلى المستظهر خطب ببغداد لبَركيارق ، وأُقيم إيلغازى بن أَرتق شِحْنَةً[1] له ببغداد . ثم توفى بَركيارق فى ثانى شهر ربيع الأَول سنة ثمان وتسعين وأَربع مائة على القرب من أَصفهان ، فحُمل إليها فدفن فيها بعد أَن حلف العسكر لولده ملكشاه بن بَركيارق على أَن يكون سلطانا[2] مكانه ، وعمره

(١) الشحنة من أقامهم الملك لضبط البلد أو الربيطة من الخيل .

(٢) في الأصل : سلطان .

(١٠٠ ب) يومئذ أَربع سنين وأَربعة أَشهــر ، وجعل الأَمير أياز أَتابكه ، فكانت سلطنة بركيارق اثنتى عشرة سنة وأَربعة أَشهر ، قاسَى فيها عدَّةَ حروب .

ومن غريب شأْنه أَنه كان كلما خُطب له ببغداد وقع فيها الغلاء ولما مات بركيارق سار أياز ومعه ملكشاه بن بركيارق ودخلوا بغداد فى سابع عشر ربيع الآخر ، وخطب لملكشاه بن بركيارق بجوامع بغداد بعد موت بركيارق ، ثم سار أَخوه السلطان محمد بن ملكشاه بن أَلب أَرسلان إلى بغداد ، ونزل بالجانب الغربى ، وبقى أياز وملكشاه بالجانب الشرقى ، وجرى بينهما مراجعات ، كان آخرها أَن حلف السلطان محمد لابن أَخيه ملكشاه وأَتابكه أياز ، وحضر أياز والأُمراء عند محمد ، وأَحضروا ملكشاه عند عمه محمد ، فأَكرمه ، واستقرت السلطنة لمحمد ، وذلك لسبع بقين من جمادى الأُولى سنة ثمان وتسعين وأَربع مائة ، ثم أَعمل السلطان محمد الحيلة فى قتل أَياز ، فقتل فى الدهاليز غِيلَة ، ثم خرج السلطان من بغداد بعد ذلك لأُموره ، ثم عاد إليها فمات بها فى ذى الحجة سنة تسع وخمس مائة ، بعد أَن لقى من الحروب والمشاق

ما لا مزيد عليه ، مع سيرته العادلة وإبطاله المُكوس فى جميع بلاده ، وعهد بالملك بعده إلى ولده محمود بن محمد بن ملكشاه بن أَلب أَرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق ، وعمره يومئذ أَربع عشرة سنة ، وجلس محمود على تخت السلطنة يوم وفاة أَبيه بالتاج والسِّوَارَيْن ، وخُطب له بالسلطنة فى الثامن والعشرين من ذى الحجة .

ومن غريب الاتفاق أَنه لما توفى السلطان أَلب أَرسلان توفى بعده القائم بأَمر الله ، ولما توفى ملكشاه توفى بعده المقتدى ، ولما توفى محمد توفى بعده المستظهر .

وفى أَيام المستظهر استولت الفرنج على أَنطاكية ووضعوا السيف فى المسلمين (١١٠١) ونهبوا أَموالهم ، ثم ساروا إلى المَعَرَّة فاستولوا عليها ، ووضعوا السيف فى المسلمين ، ونهبوا أَموالهم ، وساروا إلى حِمص فصالحهم أَهلها . وفى سنة اثنتين وتسعين وأَربع مائة استولى الفرنج على بيت المقدس ، وملكوه من أَيدى الخلفاء الفاطميين ، وأَقاموا يقتلون فى المسلمين مدة أَيام ، وقُتل من المسلمين فى المسجد الأَقصى ما يزيد على تسعين أَلف نفس ، منهم جماعة

من أَئمة المسلمين وعلمائهم وعُبَّادهم ممن جاور هناك ،ثم[1] فى سنة سبع وتسعين استولوا على جُبيل وعكا ، ثم استولوا فى سنة اثنتين وخمسمائة[2] على مدينة طرابُلُس من يد صاحبها ابن عمار ، كما تقدم ، بعد نهب وسبى . ثم فى سنة أَربع وخمس مائة ملكوا مدينة صيدا ، وقصدوا حلب ، وصالحهم صاحبها الملك رضوان على اثنين وثلاثين أَلف دينار يحملها إليهم مع خيول وثياب ، ووقع الخوف فى قلب أَهل الشام ، فصالحهم أَهل صُور على سبعة آلاف دينار ، وصالحهم صاحبُ شَيْزَر على أَربعة آلاف دينار ، وصالحهم صاحبُ حماه على أَلفى دينار ، وقصد بردويل أَحدُ ملوك الفرنجة الديارَ المصرية ، فانتهى إلى الفَرَما ودخلها وحرقها ، وحرق جامعها ومساجدها ، ودخلها وهو مريض ، فهلك فى الطريق قبل وصوله إلى العريش ، فشق أَصحابه بطنه ورموا حشوته فى السبخة المعروفة الآن بسبخة بردويل من طريق الشام ، فهى تُرْجَم إلى الآن .

(١) في الأصل جملة ضرب عليها بالقلم هى : في سنة خمس وسبعين وأربع مائة .

(٢) في الأصل : وخمسين . وهو لا شك سهو .

ولايات الأمصار فى خلافتـــه

كان عـــلى مصر قبله المستنصر الفـــاطمى ، فتوفى فى ذى الحجة سنـــة سبـــع وثمانين وأربع مائة ، وفى أيام [1] المستنصر هذا كان الغلاء العظيم بمصر ، دام سبـــع سنين ، قال صاحب « سير النيل » ، مكث النيل (١٠١ ب) سنتين لم يطلع ، ثم طلع فى السنة الثالثـــة ، فلم يجد من يزرع ، لخراب مصر ، ثم طلع فى السنـــة الرابعة ، فأقام الرابعة والخامسة لم ينزل ، ثم نزل فى السادسة فلم يطلع ، ولم يَبْقَ فى مصر إلاَّ صُبابةٌ [2] من الناس ، ولم يبق دابة تمشى على أربع سوى حمار يركبه الخليفة المستنصر ، فبينما المستنصر ذات يوم عند باب زُويلة إذ استقبلتـــه [3] امرأة عليهـــا آثار النعمة ، فسبّته ولعنتـــه ، فقال لهـــا : مالك يا أُختاه؟ وهو يبكى لمَا أَصاب الناس فى زمانه ، قالت : كان معى خمسون دينارا ، اشتريت بهـــا نصف أَردب قمحا ، فاختطفها الناس منى ، وبقى معى هـــذه الحفنـــة ، فقال : وما حيلتى ؛ قالت : خُذْ هذه الصُّبابةَ

(١) في الأصل « وفي أيامه » ثم أضيفت كلمة « المستنصر هذا » فبقى الضمير .

(٢) الصبابة استعملت هنا في البقية القليلة ، تقال الصبابة لبقية الماء ونحوه في الإناء .

(٣) في الأصل إذا استقبلته .

التى بقيت من الناس واستسْقِ بهم ، ففعل ، ثم طلب شمسَ الخلافة بن أَبى الردَّاد أَمينَ النيل يومئذ فقال له : زاد اللهُ فى النيل ست عشرة ذراعا ، فامتنع وقال : يا أَمير المؤمنين ، كيف والنيلُ يُخاض من البرّ إلى البرّ الآخر؟ فقال له : إن لم تفعل وإلا قتلتلك [1] . فخرج ينادى : زاد أَميرُ المؤمنين المستنصرُ اليومَ فى النيل ستَّ عشرة ذراعا ، فبلغ المستنصر ذلك ، فطلبه وأَنكر عليه ، فقال : يا أَمير المؤمنين ، الكذب على مخلوق لا يجوز ، أَفيجوز الكذب على الله ؟ فبكى المستنصر وتركه ، ونزل ابن أَبى الرداد فبات ليلته تلك بالمقياس ، يتهجَّد ويصلى إلى الصباح ، فدخل المقياس فوجده قد زاد ست عشرة ذراعا ، فخرج ينادى : زاد الله اليوم فى النيل ست عشرة ذراعا .

والمستنصر هو الذى بنى سور القاهرة اللَّبِنَ ، فى سنة ثمانين وأَربع مائة .

ولما مات المستنصر ولى بعده ابنُه المستعلى بالله أَبو القاسم أَحمد يوم وفاة أَبيه ، وبقى حتى مات لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأَربع مائة .

(١) الأصوب أن يقال : إن لم تفعل قتلتك . أو : افعل وإلا قتلتك .

وولى بعـــده الآمر بأَحــكام الله أبو عيسى[1] المنصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر . وكان على دمشق قبله أَتسز بن أرتق أَحد أُمراء السلاجقة . ثم غلب عليها تتش ابن أَلب ارسلان (١١٠٢) السلجوقى وملكها فى سنة إحدى وتسعين وأَربــع مائة ، ثم توفى ، فملكها بعــده ابنه دقاق ابن تُتُش ، وأَشرك معــه فى الخطبــة أَخــاه رضوان[2] صاحب حلب مُقَدِّماً لرضوان فى الذكر على نفسه ، ثم توفى دقاق سنـــة تســع وتسعين وأَربع مائة ، فخطب طغتكين أَتابكُ دولتـــه لابن دقاق وهو طفل ابن سنـــة واحدة ، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتاش بن تتُش ، ثم قطع الخطبة لبلتاش وأَعادها للطفل ، وهو آخر من خُطب له بدمشق من بنى سلجوق ، ثم استقر طغتــكين المقدم ذكره فى ملك دمشق بنفسه ، وبقى بها إلى ما بعــد خلافــة المستظهر ، واستضاف إليها حماه فى سنـــة تسع وخمس مائـــة .

وكان على حلب تتش بن أَلب أَرسلان ، فبقى بهــا

(١) كذا بالأصل والذى فى صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣١ أبو علىّ . وكذلك فى معجم الأنساب ص ١٤٥ والنجوم الزاهرة : حـ ٥ ص ١٧٠ وانظر صفحة ٢٥٠ من كتابنا هذا .

(٢) فى الأصل : رضوانا .

حتى قُتل فى صفر سنة ثمان وثمانين وأربع مائة ، وملكها بعده ابنه رضوان بن تتش ، وبقى حتى توفى سنة سبع وخمس مائة ، وملكها بعده ابنه أَلب أرسلان بن رضوان المعروف بالأَخرس ، ثم قتله غلمانه فى سنة ثمان وخمس مائة ، وملكها بعده ابنه سلطان شاه بن رضوان ، ثم انتزعها منه إيلغازى [1] بن أُرْتُق وسلمها لولده تمرتاش [2] بن إيلغازى ، ثم غلب عليها سليمان بن إيلغازي بن أُرتق ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكانت طرابلس بيد أَبى على بن عمار ، فبقيت بيده [3] حتى ملكها منه الفرنج واستولوا عليها فى حادى عشر ذى الحجة سنة ثلاث وخمس مائة ، وقتلوا ونهبوا وسبوا ، فبقيت بأَيديهم مائة وأَربعمائة وثمانين سنة ، على ما سيأْتى ذكره إن شاءَ الله تعالى .

وكانت حماة بيد طُغْتكين أَتابك دولة رضوان بن

---

(١) في الأصل : ابلغارى . وكذلك في صفحة ١٣ والتصويب من صبح الأعشى ﺟ ٤ ص ١٧٠ .

(٢) في الأصل : تمرباش والتصويب من صبح الأعشى ﺟ ٤ ص ١٧٠ .

(٣) في صبح الأعشى ﺟ ٤ ص ١٧٤ ثم انتزعها منه المستنصر الفاطمى خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية فبقيت بيده حتى غلب عليها القومصى فملكها في سنة ثلاث وخمسمائة .

تتش السلجوقى ، ملكها فى سنة تسع وخمس مائة ، ثم انتزعها منه السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى فى السنة المذكورة وسلمها للأمير فيرخان [1] بن قراجا ، ثم ملكها تورى بن طغتكين وقرر بها ابنه سونج ، فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكان على مكة محمد بن جعفر من الهواشم ، فمات فى سنة (١٠٢ ب) سبع وثمانين وأربع مائة ، لثلاث وثلاثين سنة من إمارته، وولى بعده ابنه قاسم ، فاضطربت الأمور عليه وبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر . ولم أدر من كان على المدينة فى خلافته .

وكان على اليمن أبو حمير سبأ ، فبقى حتى توفى سنة خمس وتسعين وأربع مائة. وهو آخر ملوك الصُّلَيْحيين ، وبقيت اليمن شاغرة عن ملك إلى ما بعد خلافة المستظهر . هذا ماأورده صاحب حماة فى «تاريخه» وقيل : كان الملك المقدم فى سنة إحدى وثمانين وأربع مائة جيَّاش بن نجاح ، ومات سنة ثمان وتسعين وأربع مائة ، ثم ملك بعده

(١) في الأصل فرحان ، والتصويب من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٢

منصور بن فاتك [1] بن جياش بن نجـاح ، ثم ملك بعده ابنه فاتك بن منصور بن فاتك .

وكان ما وراء النهر بيد أرسلان خان بن محمد بن سليمان ابن داود بن نجراخان من بنى سيق خان الذى كان قد رأى فى منامه أنه أسلم ، فأسلم يقظة ، فقبض عليه السلطان سنجـر السلجوقى فى سنة أربـع وعشرين وخمس مائة وحبسه فمات فى الحبس . وولى مـكانه بسمرقند أبا المعالى طمغاج الحسن بن على من أعيان بيت الخانية ، ولم تطل مـدته ، فولى بعده محمود بن أرسلان خان فى سنة ثنتين وعشرين وخمس مائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستظهـر .

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكان على غزنة مسعود بن إبراهيم بن مسعود من بـنى سبـكتكين ، فبقى حتى توفى سنة ثمان وخمس مائة ، وملك بعده أرسلان شاه بن مسعود ، ثم ملـكها منه بهرام شاه

(١) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٨ إضافة نقلا عن خطط المقريزى هى [ثم ملك بعده ابنه فاتك] ثم ملك بعده منصور بن فاتك . . . .

أَخوه بمعاضدة السلطان سنجر السلجوقى صاحب خراسان وما معها ، وخطب بها لملوك بنى سلجوق ثم لبهرام شاه ، ثم أَمسك [1] أَخاه أَرسلان شاه وخنقه واستقل بالسلطنة سنة اثنتى عشرة وخمس مائة ، وبقى بهرام شاه إلى ما بعد خلافة المستظهر .

وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس ، فمات (١٠٣ ا) سنة إحدى وخمس مائة ، وملك بعده ابنه يحيي بن تميم ، فراجع طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر ، ووصلته المخاطبات والهدايا والتحف منهم ، وأَكثر غزوَ الفرنج حتى أُعطِى الجزية من وراء البحر [2] وبقى حتى مات فجأَة بقصره سنة تسع وخمس مائة ، وملك بعده ابنه على بن يحيي ، فدام على ما كان عليه أَبوه من طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر.

وكان الغرب الأَقصى وتلمسان والغرب الأَوسط بأَسره بيد أَمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

---

(١) في الأصل : ثم أمسكه .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٥ حتى لقبوه يالجرية من وراء البحر . ولعلها : لقوه بالجزية

وكان الأَندلس قد غلب أَميرُ المسلمين يوسف بن تاشفين منه على إشبيلية وغيرها ، ثم استتبع الباقى منه بأَيدى ملوك الطوائف ، حتى لم يبق منه إلا سَرَقُسطة بيد المستعين ابن هود ، واستولى على العُدْوَتين ، فملك الأَندلس والغرب الأَقصى والغرب الأَوسط ، وخاطب الخليفة ببغداد ، فقلده جميع ذلك ، وبقى حتى توفى سنة خمس مائة . وملك بعده ابنه علىٌّ وتلقب بأَمير المسلمين أَيضا ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر .

التاسع والعشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المسترشد بالله

وهو أَبو منصور الفضل بن المستظهر بالله المقدم ذكره .

وأُمه أُم ولد . كان فصيحاً شهما حسن الخط . بويع له بالخلافة يوم موت أَبيه فى ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمس مائة . وقام بعقد البيعة له القاضى أَبو الحسن الدامغانى ، والسلطانُ يومئذ محمود بن محمد بن ملكشاه ابن أَلب أَرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقى ، وبقى

حتى تُوفى قتيلا فى السابع والعشرين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمس مائة . وعمره ثلاث وأَربعون سنة وثلاثة أَشهر . ومدة خلافته سبع عشرة سنة وستة عشر يوما . وكان له أَولاد منهم الراشد(١٠٣ ب) الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة سار السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى لحرب ابن أَخيه السلطان محمود بن محمد ، والتقيا بالرَّىِّ فانهزم محمود ، ونزل السلطان سنجر فى خيامه ، ثم وقع الصلح بينهما على أَن يُخطب للسلطان سنجر أَولا ثم بعده للسلطان محمود [1] واستولى سنجر على الرى واستضافها إلى ما بيده ، وقدم محمود إلى عمه سنجر بالرى فأَكرمه وأَحسن نُزُله ، وفى سنة أَربع عشرة وخمسمائة كان لمسعود بن السلطان محمد الموصل وأَذربيجان ، فخطب مسعود لنفسه بالسلطنة وجمع عسكره وسار إلى أَخيه محمود ، والتقيا فانهزم مسعود واختفى ، ثم طلب من أَخيه محمود الأَمان فآمنه. فقدم عليه فأَحسن تلقّيه ، وكان

(١) في الأصل : محمد .

السلطان محمود قد عاد إلى بغداد فخرج عنها فى هذه السنة ، ثم توفى السلطان محمود فى سنة خمس وعشرين وخمسمائة بهَمَذَان وأُقيم ولده داودُ فى السلطنة مكانه ، ثم فى سنة ست وعشرين وخمسمائة كان بين الخليفة المسترشد وبين عماد الدين زنكى بن آق سنقر محاربة ، وعدّى فيها الخليفة من الجانب الشرقى من بغداد إلى الجانب الغربى منها ، ثم التقيا بحصن البرامكة ، فحمل زنكى على ميمنة الخليفة فهزمها ، ثم حمل الخليفة بنفسه مع بقية العسكر فانهزم زنكى ، وفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة جرى بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه حرب ، كان منشؤها أن سار جماعة من أَصحاب السلطان مسعود إلى الخليفة وهوّنوا عليه أَمر السلطان مسعود [1] فخرج الخليفة من بغداد وسار لقتال مسعود وسار مسعود لملاقاته ، واتَّقَعُوا فى عاشر رمضان من السنة ، فصار غالب عسكر الخليفة إلى مسعود ، وانهزم الباقون ، وأُخذ المسترشد أَسيرا ونُهب عسكره ، ثم سار مسعود من هَمَذان إلى مَراغة ، والمسترشدُ معه مأْسور فى

(١) في الأصل : محمد والتصويب من ابن الأثير حـ ١١ ص ١٠ .

خيمة منفردة ، بعد أن وقع الاتفاق بينهما على مال يحمله إليه الخليفةُ ، وأن لا يعود يخرج من (١٠٤ ا) بغداد ، فوثبت الباطنية على المسترشد فقتلوه ، وجدعوا أنفه وقطعوا أُذنيه ، وأخذ السلطان مسعود البُرْدة والقضيبَ فتركهما عنده .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أيامه الآمر بأَحكام الله الفاطمى ، فبقى حتى قتل بجزيرة مصر فى الثالث من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وولى بعده ابن عمه [1] الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأَمير أبى القاسم [2] محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على دمشق طغتكين أتابك ، فبقى حتى توفى فى سنة اثنتين وعشرين وخمسائة ، وملك بعده ابنه تاج الملوك بورى ، بعهد من أَبيه ، وتوفى فى سنة ست وعشرين

(١) في الأصل : « ابنه الحافظ » . وضرب على كلمة « ابنه » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣١ وفي وسط السطرين في الأصل تصويب نصه : الحافظ لدين الله ابن عم الآمر بأحكام الله .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣١ « عبد الحميد بن الآ مر أبي القاسم » وهو خطأ . هذا وانظر ابن خلكان ترجمة عبد المجيد بن محمد بن المستنصر وابن الأثير حـ ١٠ ص ٢٥٣

وخمسمائة ، وملك بعده ابنه شمس الملوك إسماعيل بعهد من أبيه ، ثم ملك من بعده أخوه شهاب الدين محمود بن بورى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على حلب سليمان بن [إيلغازى بن] أرتق ، وعصى على أبيه ، فانتزعها منه أبوه وسلمها لابن أخيه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ، فى رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة ، ثم انتزعها منه عمه سليك بن بهرام بن أرتق ، وقتل فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وملكها بعده عمه تمرتاش ابن إيلغازى فى ربيع الأول فى السنة المذكورة ، ثم حاصرها الفرنج وهى فى يده ، فخلصها منهم آق سنقر البرسقى صاحب الموصل ، وملكها مع ماردين فى السنة المذكورة ، وقتله الباطنية فى سنة عشرين وخمسمائة ، وملكها بعده ابنه عز الدين مسعود بن آق سنقر ، واستخلف عليها رجلا من أمرائه اسمه قايماز ، ثم استخلف عليها رجلا اسمه قيغلغ [1] ، ثم انتزعها منه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق المقدم ذكره ، ثم انتزعها منه

---

(1) في ابن الأثير حـ ١٠ ص ٢٤٧ : واستناب أميرا اسمه قومان ثم إنه ولى عليها أميرا اسمه قتلغ ابه .

عماد الدين زنكى صاحب الموصل فى المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماة وحمص وبعلبك ، (١٠٤ ب) فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكانت حماة بيد سونج [بن توري] بن طغتكين ، فبقى بها حتى انتزعها منه عماد الدين زنكى ، على ما تقدم ، ثم انتزعها منه بعد ذلك تاج الملوك إسماعيل بن بورى ابن طغتكين ، فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، فبقيت فى يده إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على مكة قاسم بن محمد بن جعفر ، فبقى [(١)] حتى توفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وولى بعده ابنه فُلَيْتَة [(٢)] فافتتح إمارته بالخطبة للعباسيين وحَسُنَ الثناءُ عليه . وبقى حتى مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

---

(١) في كتاب المنتقى ص ٢١٢ أن قاسم بن محمد بقى مدة يسيرة ثم وليها بعده أصبهيد بن سارتكين لأنه في هذه السنة استولى على مكة عنوة وهرب منها قاسم المذكور وأقام بها أصبهيد إلى شوال سبع وثمانين « وأربعمائة » ثم ان قاسما استعادها .

(٢) في الأصل : أبو فليته والتصويب من كتاب المنتقى ص ٢١٢ ويكتب في الأصل قليته « بالقاف » .

ولم يتحرر لى من كان على المدينة فى زمانه .

وكان على اليمن فاتك بن منصور ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان ما وراء النهر بيد محمود بن أَرسلان خان ، فغلبه عليها كوخان ملك الصين ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد.

وكان على خراسان وما وراء النهر السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكانت غزنة وما معها بيد بهرام شاه بن مسعود من بنى سبكتكين ، فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على إفريقية على بن يحيي من بنى المعز بن باديس ، فبقى حتى مات سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وملك بعده ابنه الحسن بن على ، وهو ابن ثنتى عشرة سنة ، وقام بأَمره مولاه صندل ، ثم مولاه موفق ، وغلبه الفرنج على المَهديّة وبلاد الساحل كلها ، إلى أَن استنقذها منهم عبد المؤمن شيخ المُوحِّدين، وبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان على الغرب الأَقصى على بن يوسف بن تاشفين ، وعلى رأْس أَربع عشرة سنة من ولايته كان ظهور المهدىّ بن تومرت ، ودام ملكه إلى ما بعد خلافة المسترشد .

وكان الأَندلس بيد علىّ بن يوسف بن تاشفين فيما كان بيد أَبيه ، فاستمر على ذلك ، وفى أَيامه (١١٠٥) استولى الأَدفونش ملك الفرنج على سَرَقُسْطة من شرق الأَندلس ، وعقد لولده تاشفين بن على على غرب الأَندلس سنة ست وعشرين وخمسمائة وأَنزله قرطبة وإشبيلية ، وعقد لأَبى بكر بن إبراهيم على شرق الأَندلس ، وأَنزله بلنسية ، وعقد لابن غانية [1] على الجزائر الشرقية وأَنزله دانية ومَيُورقة [ومنوْرْقة] وبقى الأَمر على ذلك إلى ما بعد خلافة المسترشد .

الثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الراشد بالله

وهو أَبو جعفر المنصور بن المسترشد المقدم ذكره ، ولى الخلافة بعهد من أَبيه المسترشد ، ثم بويع له بها بعد

(١) في الأصل : لابنه غانسه « بدون نقط الكلمة » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٥٨

وفاته فى اليوم الذى مات فيــه ، وهو يوم الاثنين السابع والعشرون [١] من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وقام ببيعتــه السلطان مسعود بن محمــد بن ملــكشاه السلجوقى ، وكتب بذلك إلى بغداد ، فبويــع له بهــا ، وحضر بيعتــه أَحدٌ وعشرون رجلا من أَولاد الخلفاء ، وبقى حتى توفى قتيلا بـأَصفهان فى الحــادى والعشرين [٢] من رمضان سنــة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، ومــدة خلافته ... [٣] شهر وأَحد عشر يوما ، وكان له أَولاد منهم الحسن جد الخلفاء بالديار المصرية .

الحوادث والمــاجريات فى خلافته

كان الراشد قد اتفق مع عماد الدين زنــكى وغيــره من ملوك الأَطراف على خِلافِ [٤] السلطان مسعود المقــدم ذكره

(١) قتل المسترشد بيد الباطنية وكان ذلك يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة سنة ٥٢٩ انظر ابن الأثير حـ ١١ ص ١١ وحياة الحيوان حـ ١ ص ٨٠ .

(٢) في ابن الأثير حـ ١١ ص ٢٦ الخامس والعشرون من رمضان وفي حياة الحيوان حـ ١ ص ٨١ في اليوم السادس والعشرين .

(٣) على حسابه مدة خلافته سنتان وتسعة أشهر وخمسة وعشرون يوما وعلى حساب ابن الأثير سنتان وعشرة أشهر وتسعة أيام . وفي حياة الحيوان أنه خلع لأربع عشرةمن ذى القعدة سنةثلاثين وخمسمائة وكانت خلافته إلى أن خلع منها سنة إلا أياما .

(٤) في الأصل : خلافه .

وطاعة داود بن السلطان محمود ، فبلغ ذلك السلطان مسعود فسار إلى بغداد وحصرها ، ووقع بها النهب من العيَّارين والمُفسدين ، وأقام محاصرا لها نيِّفا وخمسين يوما ، فارتحل عنها إلى النهروان ، ثم عاد إلى بغداد وقد اختلفت كلمةُ عساكرها ، فسار السلطان داود إلى بلاده بأذربيجان ، وسار الخليفة مع عماد الدين زنكى إلى جهة الموصل ، فسار السلطان مسعود إلى بغداد واستقرّ بها (١٠٥ ب) فى منتصف ذى القعدة من هذه السنة ، وجمع القضاةَ وكبار بغداد ، فأَجمعوا على خلع الراشد بسبب أَنه عاهد السلطان مسعوداً ، على أَن لا يقاتله ، ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه ، ونُسبت إليه أُمور منكرة ارتكبها ، فحُكم بفسقه وكُتب محضرٌ بخلعه ، وجُهِّز إلى عماد الدين زنكى بالموصل ، فأَثبت على قاضى الموصل [١] ، وفارق الراشدُ زنكى ، وسار من الموصل إلى مراغة ، واجتمع بالسلطان داود بن محمود وملوك تلك النواحى ، فاتفقوا على خلاف السلطان مسعود وقتاله ، وإعادة الراشد إلى الخلافة ، وأقام الراشد بهمَذَان ، فسار السلطان مسعود إلى السلطان

(١) في ابن الأثير حـ ١١ ص ١٨ ولم يكن قاضى القضاة حاضرا فإنه كان عند أتابك زنكى بالموصل .

داود ، وكانت بينهم حرب انهزم فيهـا داود ، فسار داود إلى فارس ، وهُزمت تلك الجموع ، فسار الراشد إلى أَصفهان للإقامة بها ، فوثب عليه بعض الخراسانيين الذين كانوا فى خدمتـه ، عند القيلولة ، فقتله ، على ما تقدم .

ولايات الأَمصار فى خلافتـه

كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمى ، فبقى إلى ما بعـد خلافة الراشد .

وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بورى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكانت حماة بيد العادل نور الدين محمود بن زنـكى .

وكانت طرابلس بيد الفرنـج .

وكان على مـكة قاسم بن فليتـه (١) فبقى إلى ما بعد خلافـة الراشد ، والخطبة متصلة للعباسيين . ولم أُحقق من كان فى أَيامه على المدينـة .

---

(١) في الأصل « بن أبي فليته » والتصويب من كتاب المنتقى كما تقدم هذا .

وكان على اليمن فاتك بن منصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان ما وراء النهر بيد كوخان صاحب الصين ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان علي خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان على غزنة بهرام شاه بن مسعود بن سبكتكين ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان على إفريقية الحسن بن على ، من بنى باديس ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد (١٠٦ ا) .

وكان على الغرب الأقصى والأوسط على بن يوسف بن تاشفين ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

وكان الأندلس بيد علّى بن يوسف بن تاشفين أيضاً ، فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد .

الحادى والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق
المقتفى لأمر الله[1]

وهو أبو عبد الله محمد بن المستظهر المقدم ذكره .

(١) بهامش الأصل عنوان هو : المقتفى لأمر الله من أعظم خلفاء بنى العباس .

وأُمه أُم ولد [1] وهو عم الراشد ، كان حسن السيرة ، بويع له بالخلافة ببغداد فى شهر ربيع الأَول سنة ثلاثين وخمس مائة ، بعد أَن وصل إليه السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه وتحالفا ، وخرج السلطان وأَحضر الأُمراء والقضاة والفقهاء وأَرباب المناصب فبايعوه . وبقى حتى توفى فى ثانى ربيع الأَول سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، وعمره ست وسبعون سنة ، ومدة خلافته أَربع وعشرون سنة وثلاثة أَشهر وسبعة [2] عشر يوماً ، وكان له من الأَولاد : المستنجد ولى الخلافة ، وأَبو جعفر وهو أَكبر من المستنجد .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة خمس وثلاثين وخمس مائة وصل رسول السلطان سنجر ومعه البُردة والقضيب اللذان [3] كان أَخذهما السلطان سنجر من المسترشد ، فأُعيدا إلى المقتفى ، واستقل

(١) في حياة الحيوان حـ ١ ص ٨١ وكانت أمه حبشية وفي ابن الأثير حـ ١١ ص ١٠٣ وأمه أم ولد تدعى ياعى . وفي تاريخ الخلفاء ١٧٥ وأمه حبشية .

(٢) في ابن الأثير : وستة عشر يوما . وفي حياة الحيوان كانت خلافته ثلاثا و شرين سنة وقيل خمسا وعشرين سنة .

(٣) في الأصل اللذين .

بالأَمر دون سلطان معه ، وكان يبــذل الأَموال العظيمــة لأَصحاب الأَخبار من الجواسيس فى جميــع البلاد حتى لا يــكون يفوته شيء من أَخبارها .

وفى سنــة ثمان وثلاثين وخمس مائة قُتل السلطان داود ابن محمد السلجوقى غِيلة .

وفى سنة ست وأَربعين وخمس مائة اعتقــل الخــليفة المقتفى أَخاه أَبا طالب وضيّق عليه واحتاط على غيره من أَقاربه ، ومات السلطان مسعود فى أَول رجب سنة سبــع وأَربعين وخمس مائة ، ومات بموته سعادة البيت السلجوقى فلم (١٠٦ ب) ترفع له بعد ذلك راية يُعتدّ بهــا ، وكان موته بعد أَن عهد بالملك إلى ابن أَخيه ملــكشاه بن محمود ابن محمــد بن ملــكشاه ، فقعــد فى السلطنــة بعــده وخُطب له بهــا ، وتغلب على السلطنــة فى زمانه شخص اسمه خاص بك ، كان من أَتباع السلطان مسعود ، ثم قبض على السلطان ملــكشاه بن محمود وحبسه ، وأَرسل إلى أَخيــه محمــد بن محمود وهو بخُوزِستان ، فحضر وتولّى السلطنة ، وجلس على سرير الملك ، وكان قصــد

خاص بك أن يقبض على السلطان محمد أيضا ويخطب لنفسه بالسلطنة ، فبدره السلطان محمد فى ثانى يوم وصوله فقتله ، ثم سار السلطان محمد بن محمود فى سنة إحدى وخمسين وخمس مائة بعساكر كثيرة إلى بغداد وحصرها ، وحصّن المقتفى الخليفةُ دار الخلافة ، واعتدّ للحصار ، واشتدّ الأَمر على أَهل بغداد ، فبينما هم على ذلك إذ بلغ السلطان محمداً [1] أَن أَخاه ملكشاه تحرك على بلاده ، ووصل هَمَذان ، فرحل السلطان محمد عن بغداد ، وسار نحو أَخيه فى الرابع والعشرين من ربيع الأَول سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة .

ومات السلطان سنجر صاحب خراسان بمدينة مَرْو ، من خراسان . على ما تقدم .

وفى سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة اقتلع الخليفة المقتفى باب الكعبة وعمل عوضه بابا مُصفَّحا بالفضة المُذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الأَول تابوتا يُدفن فيه ، وفى سنة أَربع وخمسين وخمس مائة توفى السلطان محمد بن محمود الذى كان قد حاصر بغداد

(١) فى الأصل: محمود والتصويب من ابن الأثير جـ ١١ ص ٨٧ وكذلك جاءت خطأ بعد ذلك .

بهَمَذان ، وطلب الأُمراء عمّه سليمانَ شاه بن محمد وكان معتقلا بالموصل ، فحضر وولى موضع ابن أَخيه محمد بن محمود ، وكان فيه خُرْق وتهَوُّر وضَعف فى الدِّين حتى يقال : إنه كان يشرب الخمر فى رمضان نهارا ، فتسلط عليه الجُند حتى لم يبق له معهم أَمر ، ثم قُبض عليه وحُبس ، وأُقيم أَرسلان شاه بن طغرل[1] بن محمد بن ملكشاه فى السلطنة مقامه ، (١٠٧ ا) وخطب له بها ، وبُعث إلى بغداد ليُخطب له فيها بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية ، فلم يُجَب إلى ذلك ، وبقيت الخطبة فى بغداد للخليفة وحده ، وبقى الأَمر على ذلك إلى وفاة المقتفى

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمى ، فتوفى سنة أَربع وأَربعين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه الظافر بأَمر الله إسماعيل بن الحافظ المقدم ذكره ، فبقى حتى قُتل فى سنة تسع وأَربعين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه الفائز بنصر الله أَبو القاسم عيسى بن الظافر ، صبيحة وفاة أَبيه ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

---

(١) في الأصل : « طغريل » ولعلها نطق في طغرل .

وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بورى ، فقتل سنة ثـلاث وثلاثين وخمسمائـة ، وملك بعـده أَخوه جمال الدين محمد بن بورى ، وتوفى فى سنة أَربـع وثلاثين وخمس مائة ، وملك بعده ابنه مجير الدين أُرتق بن محمد . وفى أَيامه تغلبت الفرنـج على ناحية دمشق ، ثم انتزعهـا منهم الملك العـادل نور الدين محمود بن زنكى المعروف بنور الدين الشهيد ، فملـكها فى سنـة تسـع وأَربعين وخمس مائة ، واجتمع له مُلك جميـع الشـام ، وهو الذى بنى أَسوار مدن الشـام حين وقعت بالزلازل من دمشق وحماة وحمص وحلب وشيزر وبعلبك وغيرهـا ، فبقى إلى ما بعـد خلافة المقتفى .

وكان على حلب عماد الدين زنكى ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى . وكانت حماة بيده قبل ذلك .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكان على مـكة قاسم بن فليتة ، والخطبة بمكة منسحبة لبنى العبـاس ، وبقى قاسم المذكور إلى ما بعد خلافـة المقتفى .

وكان على المدينة قاسم[1] بن مهنَّا ، فتوفى سنة ثلاث وثلاثين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه سالم بن قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

قال المؤيد صاحب حماة فى «تاريخه» : وكان مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب فى فتوحاته يتبرّك به ويتيمَّن بصحبته ، ويرجع إلى قوله .

وكان (١٠٧ ب) على اليمن فاتك بن منصور بن فاتك ، ثم ملك من بعده ابن عمه فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح ، فى سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة ، وقُتل فى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة ، وهو أَحسن ملوك بنى نجاح بها ، وانتقلت مملكة اليمن إلى بنى مهدى ، فملك منهم بعد قتل فاتك علىٌّ بن مهدىّ واستقر فى الملك بزَبِيد فى رابع عشر رجب سنة أَربع وخمسين وخمس مائة ، ثم مات بعد شهرين وأَحد وعشرين يوما ، وكان مذهبُه التكفيرَ بالمعاصى ، وقَتْلَ من خالف ذلك ، وملك بعده ابنه مهدىّ بن علىّ ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

(١) فى الأصل «هاشم بن مهنا» وانظر السطر الثانى ومعجم الأسرات و ص ٤٨ .

وكان ما وراء النهر بيد كوخان ملك الصين ، فمات سنة سبع وثلاثين وخمس مائة ، وملكت بعده ابنته ثم ماتت قريبا ، وملك بعدها أُمُّها زوجة كوخان ، وبقى ما وراء النهر بعد ذلك بيد الخِطَا ، إلى أَن غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه سنة ثنتى عشرة وستمائة ، فبقى فى يده حتى انتزعه منه بنو جنكزخان ملوك التتر فى سنة سبع عشرة وثمان مائة .

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى ، فمات فى ربيع الأَول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، وكان موطنه مرْو من خراسان ، وخطب له على أَكثر منابر الإِسلام بالسلطنة نحو أَربعين سنة ، وكان قبلها يُخاطَب بالمَلِك عشرين سنة ، ولما حضرته الوفاة استخلف على خراسان ابن أُخته الملك محمود بن محمد بن بغراخان ، فأَقام على خوف من الغز ، حتى انتزعها منه خوارزم شاه أَطسز بن محمد بن أَنوشتكين ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

وكان على غزنة بهرام شاه بن مسعود من بنى[1] سبكتكين ،

(١) في الأصل : بن سبكتكين .

فتوفى وملك بعده [ابن] ابنه ملكشاه بن خسروشاه ، فبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

وكان على إفريقية الحسن بن على من بنى المعز بن باديس ، فغلبه عليها الموحِّدُون ، وانتزعها منه عبد المؤمن بن علىّ أَحد أَصحاب المهدى بن تُومَرْت ، ولحق الحسن بالجزائر ، فنزل بها حتى فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأَربعين وخمس مائة ، فخرج إلى عبد المؤمن فأَحسن (١٠٨ ا) إليه ، وبقى معه حتى افتتح المَهدِيَّة فى سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة ، فأَنزله بها [فأَ] قام بها ثمانى سنين ، ثم سار إلى مراكش فمات بها .

وكان على الغرب الأَقصى والأَوسط على بن يوسف بن تاشفين ، فمات سنة سبع وثلاثين وخمس مائة ، وقد ضعفت كلمة المرابطين لظهور الموحدين [وقام بالأَمر بعده ولده تاشفين بن على وأَخذ بطاعته وبيعته أَهل العُدْوَتين] ونزل تِلِمسانَ وقد استفحل أَمرُ الموحدين ، فقصده الموحّدُون ففَرّ منهم ، وفُقِد سنة إحدى وأَربعين وخمس مائة .

وملك بعـده ابنه [1] إبراهيم بن تاشفين بن على ، فألفوه عاجزا ، فخلعوه وَوُلِّىَ مكانه عمه إسحـاق بن عـلى بمراكش ، وقد ملك الموحدون جميـع بلاد المغرب ، فقصدوه فى مَرَّاكش ، فخرج إليهم فى خاصته فقتلوه ، وفر أُمراء المرابطين فى كل وجه .

وكان ما بقى من الأَندلس بيد علىّ بن يوسف بن تاشفين ، فانتقل ذلك بعده إلى ابنه تاشفين ، ثم إلى إبراهيم بن تاشفين ، ثم إلى إسحاقِ بن على [بن يوسف] بن تاشفين ، فقتـل بمراكش على ما تقـدم ، وعدَّى عبد المؤمن شيـخ الموحـدين إلى الأَندلس ، فملكه فى سنة إحدى وخمسين وخمس مائة ، واجتمـع له إفريقيـة والمغـرب الأَوسط والمغرب الأَقصى والأَندلس ، وبقى إلى ما بعد خلافة المقتفى .

الثانى والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستنجد بالله

وهو أَبو المظفر يوسف بن المقتفى المقدم ذكره .

---

(1) في الأصل « وملك بعده أخوه » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٩٠ ومنه أخذنا الزيادة في الصفحة السابقة .

وأُمه أُم ولد اسمها طاووس [١] . وكان أَسمر تام القامة طويل اللحية حسن السيرة شديدًا على أَهل العيْث والفساد ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أَبيه فى رجب سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، واجتمع على بيعته أَهل بيته وأَقاربه وعمه أَبو طالب وأَخوه أَبو جعفر ، ثم بايعه الوزير عون الدين بن هبيرة وقاضى القضاة وغيرهم من وجوه الناس ، وبقى حتى توفى فى تاسع (١٠٨ ب) ربيع الآخر سنة ست وستين [٢] وخمس مائة . وكان سبب موته – فيما يقال – أَنه مرض فاشتدّ مرضه ، فدُبِّر عليه مع الطبيب أَنه يدخل الحمَّام ، فدخله [٣] على ضعف ، فمات وعمره إِحدى وستون سنة [٤] وأَشهر ، ومدة خلافته إِحدى عشرة سنة وأَشهر ، وكان له أَولاد منهم المستضىء بالله [٥] الآتى ذكره .

(١) في حياة الحيوان جـ ١ ص ٨١ وأمه طاووس الكوفية أدركت دولته ، وفي ابن الأثير جـ ١١ ص ١٤٥ اسمها طاووس وقيل نرجس رومية . وفي ص ١٠٤ ذكر أن اسمها طاووس وفي تاريخ الخلفاء ص ١٧٧ أم ولد كرجية اسمها طاووس .

(٢) في حياة الحيوان جـ ١ ص ٨١ « سنة ست وسبعين وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة » وهذا خطأ انظر ابن الأثير جـ ١١ ص ١٤٥

(٣) في الأصل فدخلها .

(٤) في ابن الأثير جـ ١١ ص ١٤٥ يفهم أن عمره ٥٦ سنة لقوله انه ولد سنة ٥١٠ ، وفي حياة الحيوان أن عمره ٤٨ سنة .

(٥) في الأصل : « المقتفى » والتصويب من الأصل بعد ذلك أما المقتفى فهو أبوه .

الحوادث والماجريات فى خلافته

أَطلق فى أَيامه أَشياءَ كثيرة من المكوس ، وكان شديدا على أَهل العيْث والفساد ، وفى سنة ثمان وخمسين وخمس مائة أَمر المستنجد الخليفة بإِجلاء بنى أَسد أَهل الحِلّة لفسادهم ، فقتل جماعة منهم وهرب الباقون ، وسلمت بطائحهم إلى رجل يقال له ابن معروف .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر الفائز بنصر الله ، فتوفى فى سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وخمس مائة ، وولى بعده العاضد لدين الله أَبو محمد عبد الله بن يوسف يوم وفاة الفائز[1] ووزر له أَسد الدين شيركوه بن شادي[2] ، ثم وزر له ابن أَخيه السلطان صلاح الدين . وبقى العاضد إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكانت دمشق وحماة وما معها من البلاد الشامية وبعض بلاد الجزيرة وغير ذلك بيد العادل نور الدين محمود ،

(١) في الأصل : « ابنه العاضد . . . . يوم وفاة أبيه » والتصويب من ابن الأثير حـ ١١ ص ١٠٣ فالفائز اسمه أبو القاسم عيسى بن إسماعيل والعاضد اسمه أبو محمد عبد الله بن يوسف ولم يكن أبوه خليفة هذا وفي صبح الأعشى الخطأ نفسه انظر حـ ٣ ص ٤٣١

(٢) في الأصل « ايوب » انظر هامش النجوم الزاهرة ٥ /٣٠١ عن ابن خلكان .

وتوفى يوم الأَربعــاء حادى عشر شوال سنــة تسع وستين وخمس مائة بقلعة دمشق ، وكان قد اتسـع ملـكه وخُطب له بالحرم واليمن ومصر ، وطبَّق ذكره الأَرض ، وملك بعده ابنــه الملك الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنــة ، وحلف له العســكر بدمشق ، وأَطاعــه السلطــان صلاح الدين بمصر ، وخطب له بهــا وضُرِبت السِّــكَّة باسمــه ، وملك غــازى بن مودود بن زنــكى البــلاد الجزريــة بعد (١٠٩ ا) نور الدين ، وبقى الملك الصالح إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكانت حلب بيد عماد الدين زنــكى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكانت طرابلس بيد

وكان على مكة قاسم بن فليتة[1] ، فخطب للمستنجد كما كان يخطب لأَبيه المقتفى ، ثم قتل قاسم سنة ست وخمسين وخمس مائة وولى بعده ابنه عيسى ، والذى ذكره صاحب حماه فى «تاريخــه» أَن عيسى عم قاسم سيَّر

(١) في الأصل : بن أبي فليته وانظر التصويب أيضا من ابن الأثير حـ ١١ ص ١١٣

الحاج [1] سنة ست وخمسين وخمس مائة ، وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى [2] فملكها ، وهرب قاسم إلى جبل أبي قُبيس فوقع عن فرسه ، فأمسكه عيسى وقتله .

وكان على المدينة سالم بن قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكان على اليمن مهدىّ بن علىّ بن مهدىّ ، ثم ملك بعده ابنه عبد النبي بن مهدىّ ، ثم ملك بعده عمه [3] عبد الله بن مهدىّ ، ثم عاد عبد النبي ثانيا وهو آخرهم ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستجد .

وكان ما وراء النهر بيد ملوك بنى جنكزخان .

وكان على غزنة ملكشاه بن خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن محمود من بنى [4] سبكتكين وهو آخرهم ، ثم انتقل

(١) في ابن الأثير أن قاسم بن فليته صادر المجاورين وأعيان أهل مكة وأخذ كثيرا من أموالهم وهرب من مكة خوفاً من أمير الحاج أرغش ... فلما وصل أمير الحاج إلى مكة رتب مكان قاسم ابن فليته عمه عيسى بن قاسم فبقى كذلك إلى شهر رمضان .

(٢) في الأصل : ابنه عيسى .

(٣) كذا هو أيضا في صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٩ وصوب بالهامش أنه أخوه كما في تاريخ أبي الفداء وتاريخ القرماني .

(٤) في الأصل : بن

الملك إلى الملوك الغُورِيَّة فملك بعد ملكشاه السبكتكينى علاءُ الدين الحسين بن الحسين واستضاف غزنة إلى الغور فى سنة خمس وخمسين وخمس مائة [1] وتلقب بالملك المعظم ، وتوفى سنة ست وخمسين وخمس مائة [2] ، وملك بعده غياث الدين محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

وكان على إفريقية والغرب الأَقصى والغرب الأَوسط والأَندلس عبد المؤمن بن علىّ أَحد أَصحاب المهدى بن تومرت صاحب دولة الموحدين ، فبقى حتى توفى بَسلاَ من الغرب الأَقصى فى جمادى الآخرة (١٠٩ ب) سنة ثمان وخمسين وخمس مائة . وولى بعده ابنه أَبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، فاستولى على جميع ما كان بيد أَبيه من الأَندلس وجميع بلاد المغرب ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنجد .

---

(١) في ابن الأثير حـ ١١ ص ١٠٦ وملك بعده ابنه ملكشاه فلما ملك نزل علاء الدين الحسين ملك الغور إلى غزنة فحصرها وكان الشتاء شديدا والثلج كثيرا فلم يمكنه المقام عليها فعاد إلى بلاده في صفر سنة ست وخمسين . وفي الأصل : واستضاف إلى غزنه الغور .

(٢) في ابن الأثير حـ ١١ ص ١١٨ يفهم أن ملك الغور بعد الحسين هو محمد بن الحسين وقتل سنة ٥٥٨ وفي صفحة ٥٥ أن ملك غزنة هو غياث الدين محمد بن سام كصبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٤٩

الثالث والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستضىء بالله (١)

وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله المقدم ذكره . ولم يل الخلافة من اسمه الحسن غيره وغير الحسن بن على رضى الله عنـــه .

وأمه أم ولد أرمنيـــة (٢) . كان عـــادلا حسن السيرة ، بويـــع له بالخلافة بعد موت أبيـــه فى تاسع ربيـــع الآخر سنـــة ست وستين وخمس مائـــة ، وبقى حتى توفى فى ذى القعدة سنـــة خمس وسبعين وخمس مائة ، وكان مولده سنـــة ست وثلاثين وخمس مائة ، ومدة خلافتـــه تســـع سنـــين وسبعة أشهر ، وكـــان له أولاد (٣) منهم الإمام الناصر لدين الله الآتى ذكره .

---

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطي : المستضيء بأمر الله انظر ص ١٧٨ وكذلك ابن الأثير انظر ج ١١ ص ١٨٧

(٢) في تاريخ الخلفاء اسمها غضة وكذلك ابن الأثير .

(٣) في الأصل : وكان له من أولاد .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة سبع وستين وخمس مائة قطع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الخطبة بمصر للعاضد العلوىّ وأقامها للمستضىء المذكور ، وذلك أنه لما تمكّن أمر السلطان صلاح الدين بمصر وهو فيها كالنائب لنور الدين محمود صاحب الشام ، وكان العاضد قد مرض واشتد مرضه ، وبعث السلطان نور الدين للسلطان صلاح الدين يُحَتِّم عليه قطع الخطبة للعاضد والخطبة للمستضىء ، ففعل ، ولم يُعْلم العاضدَ أَحدٌ من أَهل بيته بذلك خشيةً عليه من تأْثير ذلك فيه من ضعفه ، ولما وصل خبر الخطبة بمصر إلى بغداد ضُرِبت لها البشائر عدة أَيام ، وسُيِّرت الخلع إلى السلطانين نور الدين وصلاح الدين والخطباء ، وسُيِّرت الأَعلام السود ، وكان العاضد قد رأَى فى منامه أَن عقربا قد خرجت من مسجد بمصر يعرفه فلدغته ، فاستيقظ (١١٠ ا) فزعا ، واستدعى مُعَبِّرا ، فعبّر له ذلك بوصول أَذًى إليه من شخص بذلك المسجد ، فطلب مَن بالمسجد ، فأُحضر إليه شخصٌ صُوفىٌّ يقال له نجم الدين الخوبشانى ، فرآه العاضد أَضعف من أَن يناله منه أَذى ، فوصله بمال

وصرفه ، فلمـا أراد السلطان صـلاح الدين إزالة الدولة العلوية استفتى العلماء فى ذلك ، فـكان من جملة من أفتى فى ذلك الخوبشانى المذكور ، وزاد فيما كتب به حـتى سلب عنهم الإيمان ، فكان ذلك تأويل هذه الرؤيا ، وهذا الخوبشانى[1] هو المدفون عـلى القرب من تربة الإمـام الشافعى رضى الله عنـه .

ثم فى سنـة سبـع وستين وخمس مائة أيضا عـزل الخليفة المستضىء وزيره عضد الدين رئيس الرؤساء ، وحكم فى دولتـه ظهير الدين أبو بـكر بن العطار ، ثم وقع بين المستضىء وبين أستادار قطب الدين قايماز[2] مقـدم عسكر بغداد فتنة نهبت فيها دار قايماز وهرب إلى الحـلّة ، ثم إلى الموصل ، فلحـقه عطش عظيم فى الطريق هلك منـه أكثر أصحابه ، ومات قبل أن يصل إلى الموصل ، ولما هرب قايماز خلع المستضىء على عضد الدين الوزير ، وأعاده إلى الوزارة .

وفى سنـة اثنتين وسبعين وخمس مائـة بنى السلطان

---

(١) في الأصل الحبشانى .

(٢) في الأصل : بن قايماز .

صلاح الدين السور الدائر على مصر والقاهرة وقلعة الجبل ، ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ، ومات السلطان صلاح الدين والعمارة فيه .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر العاضد لدين الله الفاطمى ، والقائم بتدبير دولته وزيره السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وبقى حتى توفى العاضد فى يوم عاشوراء من سنة سبع وستين وخمس مائة ، واستبدّ السلطان صلاح الدين بمملكة مصر .

وكانت البلاد الشامية بأسرها بيد الملك الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكى ، والسلطان صلاح الدين فى طاعته (١١٠ ب) كما تقدم ، ثم سار السلطان صلاح الدين إلى دمشق وملكها فى سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمس مائة وملك معها حمص وحماه . وكانت حلب بيد عماد الدين زنكى [١] فبقى إلى ما بعد خلافة المستضىء .

(١) عماد الدين زنكى هنا هو ابن مودود بن زنكى .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكانت مكة بيد عيسى بن فليته [١] وذلك فى أيام العاضد آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، ثم ولى بعده ابنه مُكْثِر ، فأمر المستضىءُ أميرَ الحاجّ العراقى بعزله ، فجرت بينهما فتنة انهزم فى آخرها مُكْثِر إلى البرية ، واستقر أخوه داود مكانه . وبقى إلى ما بعد خلافة المستضىء .

وكان على اليمن عبد النبي بن مهدى ، فبقيت اليمن بيده إلى أن استولت عليها الدولة الأيوبية ملوك مصر ، وأول من ملكها منهم شمس الدولة تُوران شاه بن أيوب ، انتزعها من عبد النبي المذكور وأسره فى سنة تسع وستين وخمس مائة ، واستولى عليها لأخيه السلطان صلاح الدين ، ثم استناب عليها توران شاه خطارَ [٢] بن كامل الكِنانى وأقره بزبيد ، ورجع إلى الشام فى سنة إحدى وسبعين وخمس مائة ، فأعطاه أخوه السلطان صلاح الدين الإسكندرية ، وأقره بها ، فكان يحمل إليه المال من

---

(١) في الأصل بن أبي فليته وقد تقدم التصويب هذا وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧١ يكتب أبو فلينة .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٩ حطان وفي ابن الأثير حـ ١١ ص ١٦١ مبارك بن كامل من بني منقذ وسيأتى في الأصل « خطار » عدة مرات .

زبيد قاعدة ملك اليمن وهو بالإسكندرية ، وبقيت بيد توران شاه إلى ما بعد خلافة المستضيء .

وكان ما وراءَ النهر بيد ملوك الخطا .

وكان على خراسان وما معها خُوارزم شاه أَرسلان [1] بن أَطسز بن محمد بن أَنوش تكين ، حتى توفى سنة ثمان وستين وخمس مائة .

وكان على غزنة غياث الدين محمد بن سام أَحد ملوك الغورية ، ثم استولى عليها الغز ، وهم طائفة من الترك كانوا قد استولوا على خراسان وأَسروا السلطان سنجر السلجوقى ، فبقيت بأَيديهم إلى ما بعد خلافة المستضيء .

وكان على إفريقية والغرب الأَوسط والغرب (١١١ ا) الأَقصى والأَندلس المنصور أَبو يعقوب يوسف [2] بن عبد المؤمن شيخ الموحدين ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستضيء .

---

(١) في ابن الأثير ﺣ ١١ ص ١٥٢ خوارزم شاه ايل أرسلان بن اتسز .

(٢) في الأصل : بن يوسف .

الرابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الناصر لدين الله

وهو الإمام أَبو العباس أَحمد [١] بن المستضىء بالله المقدم ذكره ، قال السلطان عماد الدين صاحب حماه فى « تاريخه » : كان قبيح السيرة فى رعيته ، ظالما لهم ، خرب فى أَيامه العراق ، وتغرّب أَهله فى البلاد ، وكان يتشيع ، وكان منصرف الهمة إلى رمى البندق والطيور المناسيب ، وإلباس سراويلات الفتوه ، ومنع رمى البندق إلا أَن ينسب إليه [٢] فأَجابه الناس إلى ذلك ، إلاَّ شَخص واحد فإنه هرب من بغداد ولم يجب إلى ذلك ، وكان من أَمره أَنه عمى فى آخر عمره . بويع له بالخلافة يوم مات أَبوه المستضىء ، وهو ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمس مائة ، وقام ببيعته ظهير الدين بن العطار مدبّر دولة أَبيه بعد وزيره عضد الدين . وبقى حتّى توفى

(١) في تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٨٠ أن أمه تركية اسمها زمرد .

(٢) في ابن الأثير ﺟ ١٢ ص ١٨١ والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة في البلاد جميعها إلا من يلبس منه سراويل ويدعي إليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك أيضا منع الطيور المناسيب لغيره إلا مايؤخذ من طيوره ومنع الرمى بالبندق إلا من ينتمى إليه فأجابه الناس .

فى أَول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ومدة خلافته نحو سبع وأَربعين سنة ، وكان له أَولاد منهم الظاهر بأَمر الله الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما استقر فى الخلافة حكم أُستاداره مجد الدين أَبو الفضل ، فقبض على مدبر دولته ظهير الدين بن العطار فى سابع ذى القعدة (١) بعد أَيام قلائل من خلافته ، ثم أُخرج ميتا على رأْس حمال ، فثارت به العامة وأَلْقَوْه عن رأْس الحمال ، وشدُّوا فى ذكره حبلا وسحبوه فى البلد ، وكانوا يضعون فى يده مغرفة كأَنها قَلَمُه ، وقد غمست تلك المغرفة فى العَذِرة ، ويقولون : وَقِّعْ لنا يا مولانا ، مع حسن سيرته فيهم ، وكفِّه عن أَموالهم ، ثم خُلِّص (١١١ ب) منهم بعد ذلك ودفن .

وفى سنة أَربع وثمانين وخمس مائة أَرسل قزل بن إلدكز (٢) صاحب أَذربيجان وهمذان وأَصفهان والرى

(١) في الأصل ذى قعدة .

(٢) في ابن الأثير حـ ١٢ ص ٣٢ إيلدكز .

يستنجد بالخليفة الناصر على طغرلبك [1] بن أَرسلان بن طغرلبك السلجوقى ويحذره عاقبـــة أَمره ، فأَرسل الخليفة عســـكرا إلى طغرلبك صحبة وزيره جلال الدين عبد الله [2] فالتقوا فى ثامن ربيـــع الأَول على همـــذان [3] ، فانهزم عســـكر الخليفة ، وغنم طغرلبك ، وقبض عليه وحبسه ، ثم قتل قزل فى سنة ست [4] وثمانين وخمس مائة ، ثم توفى طغرل [5] فى سنة تسعين وخمس مائة ، وملك خوارزم شاه الرىّ وتوفى سنة ست وتسعين وخمس مائة [6] . [وفى سنة تسعين وخمسمائة] استولى الخليفة الناصر على حَديثة وعانة وكانت خارجة عن يده ، وفى هذه السنـــة أَرسل الخليفة وزيره مؤيد الدين بن القصاب إلى خوزستان ، فملـــكوا مدينـــة تُسْتَر وما معها ، فى سنة إحدى وتسعين وخمس مائة ، ثم سار بعـــد ذلك إلى هَمَذَان فملـــكهـــا

(١) في الأصل تكتب دائما طغريل . والتصويب من صبح الأعشى وابن الأثير .

(٢) في ابن الأثير حـ ١٢ ص ١٠ عبيد الله بن يونس .

(٣) في ابن الأثير : بداى مرج عند همذان .

(٤) في ابن الأثير دون قتله سنة ٥٨٧ هذا وفي الأصل : ثم قتل فنزل .

(٥) الذى في ابن الأثير حـ ١٢ ص ٤٤ انه قتل.

(٦) في الأصل : « وفي سنة ست وستين وخمس مائة استولى . . » هذا والزيادة والتصويب من السياق وابن الأثير حـ ١٢ ص ٤٥ وص ٦٥ .

وغيرها من بلاد العجم ، وأخذ يستولى على بلاد الخليفة ، فتوفى مؤيد الدين فى أوائل شعبان سنة اثنتين [1] وتسعين وخمس مائة .

وفى سنة أربع وستمائة سيّر الخليفةُ إلى الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية تشريفا بالسلطنة ، فلبسها ونثر الذهب على رأسه ، وكانت الخلعة جبة أطلسٍ أسود بطراز مُذهب ، وعمامة سوداء بطراز مذهب ، وطوقَ ذهبٍ وسيفًا جميع قرابه ملبس ذهباً يتقلّده ، وحصاناً [2] أشهب بمركب ذهب ، ونُثر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة ، وقَرِين ذلك تقليدٌ بالبلاد التى تحت حكمه ، ولُقّب فيها العادل شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ، وقرين ذلك خِلَعُ الملك الأشرف والملك المعظم ابنى العادل بعمامة سوداء وثوب أسود واسع الكُمّ ، وكذلك الوزير صفى الدين بن شكر (١١٢ ا) وركب الملك العادل وولده الأشرف بالخلع حتى دخلا القلعة ، وأكرم رسول

---

(١) في ابن الأثير حـ ١٢ ص ٤٧ ذكر وفاة الوزير في حوادث سنة ٥٩١

(٢) في الأصل وسيف جميع قرابه ملبس ذهب يقلده وحصان .

الخليفة ، وأُعيد إلى بغداد .

وفى سنة سبع وستمائة وردت رسل الخليفة الناصر إلى ملوك الأَطراف أَن يشربوا له كأْس الفتوة ويلبسوا له سراويلها ، وأَن ينتسبوا إليها فى رمى البندق ، ويجعلوه قدوتهم فيه ، فأَجابوه إلى ذلك .

وفى سنة أَربع عشرة وستمائة عزم خوارزم شاه [1] على السير إلى بغداد للاستيلاء عليها . وقدم بعض العساكر وسار فى أَثرهم عن هَمَذَان . فسقط عليهم بعد مسيرهم بثلاثة أَيام ثلجٌ لم يُسمع بمثله ، فهلكت دوابُّهم ، وخاف خوارزم شاه التترَ على بلاده التى استولى عليها فى سفره ذلك ، فعاد إلى خراسان ، وقطع الخطبة للخليفة الناصر من بلاد خراسان فى سنة خمس وستمائة . وكذلك قُطعت خطبة الخليفة فى ما وراءَ النهر ، وبقيت خوارزم وسمرقند وهراة على الخطبة للخليفة ، فإن أَهل هذه البلاد كانوا يخطبون لمن يختارون ولا يعارضون فى ذلك .

(١) خوارزم شاه السابق هو تكش بن أرسلان ويراد بخوارزم شاه ملك خوارزم ويراد بخوارزم شاه هنا محمد بن تكش .

وفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة استولى جلالُ الدين [١] عَلَى خُوزستان ، وكانت للخليفة الإمام الناصر ، ثم سار حتى قارب بغدادَ ، وخاف أهلُ بغداد منه واستعدوا للحصار ، ونهبت الخُوارزميّةُ البلادَ وامتلأَت أَيديهم من الغنائم .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر فى أَيامه السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب ، فبقى حتى توفى بدمشق فى سنة تسع وثمانين وخمس مائة ، وكانت مدة ملكه بالديار المصرية أَربعا وعشرين سنة . ثم ملك بعده مصر ابنه [٢] الملك العزيز عثمان ، وتوفى ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة (١١٢ ب) خمس وتسعين وخمسمائة [٣] ، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد [٤] فأَقام بها حتى ورد عليه الملك العادل أَبو بكر بن أَيوب من الشام ، وأَقام عنده

---

(١) هو جلال الدين بن خوارزم شاه محمد بن تكش .

(٢) في الأصل كلام ضرب عليه نصه ونضعه بين قوسين : ثم ملك بعده مصر (ابنه الملك العزيز وبقى حتى توفي في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمس مائة بعد أن مضى على مصر في ملكه أربع وعشرون سنة وملك بعده مصر) ابنه الملك العزيز .

(٣) في الأصل : وستمائة وهو سهو ظاهر .

(٤) الذى في ابن الأثير أن الذى ملك هو الأفضل أخو العزيز وأن ابن أخيه كان له اسم الملك فقط انظر جـ ١٢ ص ٥٨ ، ٦٠

قليلا كأنه مدبر لدولتـه ، ثم استقل العادل بالملك فى ربيـع الأَول سنـة ست وتسعين وخمس مائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت دمشق مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب أَيضا ، وقرر فيها أَخاه سيف الإسلام طغتكين بن أَيوب ، وتوجه لاستقلاع (1) بقية البلاد ، فلما عاد إلى الديار المصرية فى سنـة ست وسبعين وخمس مائة استخلف عليها ابنَ أَخيه عزَّ الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أَيوب صاحب بعلبك ، وصارت بيده هى وبعلبك ، ثم [صرفه عنها و] قرر فيها ابنه الملك الأَفضل عليًّا ، فبقى فيها حتى تُوفِّى والده ، وبقى بها إلى أَن قصده أَخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر بعد وفاة أَبيهما ، وصحبته (2) عمه العـادل أَبو بكر بن أَيوب ، فانتزعها منه ، وخُطب فيها باسم العزيز فى سنـة اثنين وتسعين وخمس مائة . وكان الخليفة الناصر يميل إلى التشيـع ، فـكتب إليـه الأَفضـل علىٌّ بنُ السلطان صلاح الدين يستجيشه على أَخيه العزيز عثمان وعمه العادل أَبى بـكر ببيتين من نظمه هما :

(1) لعلها : لاستطلاع .

(2) فى صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٦٦ بمعاضدة عمه .

مــولاىَ إن أَبــا بــكرٍ وصاحبَــه

عثمانَ قد غصَبَا بالسيف حقَّ عَلِى

فانظــر إِلى حَــظٍّ هذا الِاسْمِ كيف لَقِى

من الأَواخــر ما لاقى من الأُوَلِ

فــكتب إِليه الناصر فى جوابه :

غصبــوا عَلِيًّــا حقَّه إِذْ لم يــكن

[بَعْدَ النبيِّ] له بيثرب ناصِــرُ

فاصبِرْ فإِنَّ [غدًا] عليك حسابهم

وَابْشِرِ فناصرُكَ الإِمامُ الناصِــــرُ

ثم لم يُزِل عنــه شَــكْوَاه ، ولم يدفــع عنــه لَأْوَاه .

ولمــا ملك العزيزُ دمشق سلمها لعمه العــادل أَبى بكر بن أَيوب ـ وعاد إِلى مصر محــل ملــكه ـ فقررَ فيها العادلُ ابنَه الملكَ المعظم عيسى بن أَبى بــكر مضافا إِلى ما بيــده من الــكَرَك (١١٣) والشَّوْبَك وغيرهما ، وبقى إِلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت حلب بيد عماد الدين زنكى [1] فتسلمها منه السلطان صلاح الدين فى سنة تسع [2] وسبعين وخمس مائة ، وسلمها لابنه الملك الظاهر غازى ، فبقيت بيده حتى سلمها السلطان صلاح الدين لأخيه العادل أبى بكر فى السنة المذكورة ، فبقى بها حتى جهزه أخوه السلطان صلاح الدين إلى مصر فى سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة ، وأعاد إليها ابنه الظاهر غازى ، فلم يزل بها حتى استقل العادل أبو بكر بسلطنة مصر والشام ، فصار ملوك بنى أيوب بالشام كأنهم نوابه ، فخطب له الظاهر غازى بحلب ، وضرب السكة باسمه ، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت حماة بيد السلطان صلاح الدين ، فقرر فيها خاله شهاب الدين الحارمى ، ثم قرر فيها ابن أخيه [3] تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، سنة أربع وسبعين وخمس مائة ، فبقيت بيده حتى توفى سنة سبع وثمانين وخمس مائة ، فوليها بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين

(١) عماد الدين زنكى هنا هو ابن مودود بن زنكى .

(٢) في الأصل « ست وسبعين » والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٣ قرر فيها أخاه تقى الدين .

محمد ، فبقى بها حتى توفى سنة سبع عشرة وستمائة [1] ووليها بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين قليج [2] فبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت طرابلس بيد الفرنج .

وكانت حمص بيد السلطان صلاح الدين ، فقرر بها ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، فبقى بها حتى توفى سنة إحدى وثمانين وخمس مائة ، فاستقر بها بعده ابنه الملك الظاهر شيركوه ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكانت بعلبك بيد السلطان صلاح الدين ، فقرر فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك ، ثم انتزعها منه فى سنة أربع وسبعين وخمس مائة ، وأعطاها أخاه [3] شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، وبقيت بيده إلى أن مات سنة ثمان وسبعين وخمس مائة ، فاستقر بها ابنه الملك الأمجد بهرام شاه ، وهو الذى بنى دار السعادة بدمشق ، فبقى إلى ما (١١٣ ب) بعد خلافة الناصر .

---

(١) في صبح الأعشى : فبقى بها حتى انتزعها منه أخوه الملك المظفر محمود في سنة ست وعشرين وستمائة .

(٢) في ابن الأثير جـ ١٢ ص ٢٠١ : قلج .

(٣) في الأصل وأعطاها لأخيه .

وكان الكرك بيد الفرنج ، فانتزعه منهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة أربع وثمانين وخمس مائة ، وقرر فيها [أخاه الملك العادل أبا بكر ابن أيوب ، فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين فقرر فيها] [1] ابنه الملك المعظم عيسى ، فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكان طرابلس [2] وصَفَد بيد الفرنج .

وكانت مكة بيد داود بن فليته [3] فبقى يتناوبها هو وأخوه شكر تارة وتارة ، حتى مات داود فى سنة تسع وثمانين وخمس مائة ، وانقرضت دولة الهواشم ، وصارت لبنى قتادة بن إدريس بن مُطاعن من عقب الحسن بن علىّ ابن أبى طالب ، وخطب فيها للخليفة الناصر ، وعظُم شأنه حتى ملك مع مكة يَنْبُعَ وأطرافَ اليمن ، وبعض أعمال المدينة ، وبلاد نجد ، ولم يَقْدَم على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، واستدعاه الناصر الخليفةُ فى بعض السنين فكتب إليه هذه الأبيات :

---

(١) الزيادة من صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٥

(٢) ضبطت في صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٧٤ أطرابلس بفتح فسكون وانظر الصفحة السابقة .

(٣) في الأصل : بن أبي فليته . وسبق التصويب .

بلادى وإن هانت عليكَ عـزيزةٌ
ولو أَننى أَعرى بهـا وأَجـوعُ
ولى كَفُّ ضِرغام أُدِلُّ ببطشهـا
وأَشرى بهـا بين الورى وأَبيـعُ
تظلُّ ملوكُ الأَرض تلثم ظهـرهـا
وفى بطنها للمجـدبين ربيـعُ
أَأَجعلهـا تحت الرَّحـا ثم أَبتغى [1]
خَلاصًا لها إِنى إِذًا لرقيـعُ
وما أَنا إلا المسكُ فى كلّ بـلدة
يَضُـوع وأَما عنـدكم فَيضيـعُ

وبقى حتى توفى سنـة سبـع عشرة وستمائة ، وولى مـكانَه ابنُه الحسنُ ، فبقى بهـا حتى قـدم عليه الملك المسعود أَقسيس [2] [بن] الملك الـكامل محمـد بن العادل أَبي بـكر بن أَيوب صاحب اليمن ، سنة عشرين وستمائة

(١) في الأصل : الرجى ولعلها الرجاء مقصور من الرجاء والتصويب من ابن الأثير حـ ١٢ ص ١٦٦ .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧٢ أقسز وفي الأصل أقسيس الكامل ، وفي ابن الأثير حـ ١٢ ص ١٧٠ أقسز بن الملك الكامل .

وملـكها ، وقتل جماعة من الأَشراف ، وذهب حسن بن قتادة إلى بغداد جريحـاً ،فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، وبقى أَقسيس بمـكة إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكان على المدينــة سالم بن قاسم ، فمات وولى بعده ابنه شيحة ، وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

(١١٤ ا) وكانت اليمن مفوضة إلى توران شاه بن أَيوب وهو بالإسكندرية ونائبه خطَّار [١] باليمن إلى سنة ست وسبعين وخمس مائة ، فوجه إليها السلطان صلاح الدين أَميرا استولى عليها وعزل خطَّارا نائب أَخيه توران شاه ، ثم توفى ذلك الأَمير ، فعــاد خطار إلى ولايتــه ، ثم بعث السلطان صلاح الدين أَخاه سيف الإسلام طغتــكين إلى اليمن ، فقبض على خطَّار ، واستقر فى ملك اليمن ، وبقى حتى مات بزبيد سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة ، وملك بعده ابنــه الملك المعز [٢] إسماعيل وكان فيــه هَوَج ، فادّعى أَنه قرشى من بنى أُمية ، ولبس الخُضرة ، وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة ، فقتله أُمراؤه وأَقاموا مكانه

(١) انظر ماسبق من اختلاف المصادر في اسمه : حطان أو المبارك .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٣٠ : العزيز إسماعيل .

أَخا له صغيرا لقبوه الناصر ، وقام بتدبير مملكته مملوك أَبيه سنقر ، ثم مات سنقر بعد أَربع سنين ، فقام بتدبير دولته زوج أُمه غازى بن جبريل وسَّم الناصرَ فى كوز فُقَّاع [1] ، وتملَّك غازى اليمن ، ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله الناصر ، وبقيت اليمن بغير سلطان ، فغلبت أُم الناصر على زَبِيد وأَرسلت إِلى مكة تتوقع حضور أَحد من بنى أَيوب فى الموسم لتملّكه اليمن ، وكان للملك المظفر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أَيوب ولدٌ يسمّى سليمان ، فخرج إِلى الحجاز فى صورة فقير يحمل الرَّكْوَة [1] على كتفه ، فأُتيت به فملّكته اليمن فى سنة تسع وتسعين وخمس مائة بعد أَن تزوجت به ، فملأَ اليمن ظلما وجَوْرا ، وكتب إِلى عم أَبيه الملك العادل أَبى بكر بن أَيوب صاحب الديار المصرية كتاباً فى أَوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [3] فبقى إِلى سنة اثنتى عشرة وستمائة ، فبعث الملكُ الكاملُ محمدُ ابنُ العادلِ أَبى بكرٍ صاحبُ الديار المصرية ابنَه الملك

---

(١) الفقاع : الشراب يتخذ من الشعير .

(٢) الركوة من معانيها : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

(٣) سورة النمل الآية ٣٠

المسعود يوسف أَطسيس [1] المعروف بأَقسيس إلى اليمن فاستولى عليه ، وقبض على سليمان وبعث به معتقلا إلى مصر ، فبقى (١١٤ ب) بها حتى قتل فى نوبة المنصورة شهيدا ، وبقى الملك المسعود بها ، فكره المقام بها ، فاستخلف عليها ابن رسول أَمير أَخور ، وسار قاصدا الشام فتوفى بمكة فى سنة ست وعشرين [2] وستمائة ، وهو آخر ملوكها من بنى أَيوب ، وانتقلت الدولة بها إلى بنى رسول ، واستقرت قدمهم فيها ، وبقى فيها علىّ بن رسول إلى ما بعد خلافة الناصر [3] .

وكان ما وراءَ النهر بيد بنى جنكزخان .

وكان على خراسان خوارزم شاه محمد بن تكش بن أَرسلان بن أَطسز بن محمد أَنوشتكين ، فبقيت بيده [4]

---

(١) في صبح الأعشى الملك المسعود أطسز . . . .

(٢) في الأصل : سنة ست وسبعين وستمائة وهذا غير معقول . والتصويب من الأصل الورقة (١١٨ ا) وصبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧٣ .

(٣) بعد هذا في الأصل : ما يأتى : « وتغلب على اليمن وتلقب بالملك المنصور وخرج عن طاعة بنى أيوب وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر » وهذا النص مقحم ولا شك ففى صبح الأعشى أن على بن رسول « استقر نائبا باليمن لبنى أيوب حتى مات سنة ثلاثين وستمائة » ثم استقر بعد على بن رسول المذكور في النيابة ولده الملك المنصور عمر بن على ثم تغلب على اليمن وخرج عن طاعة بنى أيوب ملوك مصر واستقل بملك اليمن وتلقب بالملك المنصور ثم قتل في سنة ثمان وأربعين وستمائة .

(٤) في الأصل : مدة .

حتى انتزعها منه جنكزخان ملك التتر واستولوا عليها في سنة تسع عشرة وستمائة ، بعد أن اتسع ملكه ، وملك مع خراسان من حد العراق إلى تركستان وبلاد غزنة وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجَبَل وهى عراق العجم .

وكانت غزنة بيد الغز المتغلبين عليها ، ثم انتزعها منهم شهاب الدين بن سام فى سنة تسع وسبعين وخمس مائة ، وبقى حتى قتل سنة اثنتين وستمائة . وفى أيامه كان الإمام فخر الدين الرازى صاحب « التفسير » و « المحصول » فى أُصول الفقه وغيرهما من المصنفات ، وكان معظما عنده . ثم ملك من بعده علاء الدين محمد بن سام ، ثم غلبه عليها يلدز مملوك غياث الدين بن سام ، ثم غلبه عليها علاء الدين محمد المقدم ذكره ، ثم غلب عليها يلدز أيضا ، ثم غلب عليها علاء الدين محمد بن تكش بن خوارزم شاه فى سنة اثنتى عشرة وستمائة ، فبقيت بيده حتى غلب عليها جنكزخان ملك التتر فى سنة سبع عشرة وستمائة ، وتوالت عليها ملوك بنى جنكزخان فى جملة ما ملكوه من الممالك ، إلى أن كان آخرهم بهذه المملكة القان أبو سعيد صاحب مملكة إيران .

وكانت إفريقية بيد أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[1] فولَّى عليها أَبا سعيد بن الشيخ أَبى حفص عمر ، ثم غلب ابنُ غانية على أَكثر بلاد (١١٥ ا) إفريقية ، واستولى على تونس ، وخطب للخليفة العباسى ببغداد ، ثم جهز الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن الشيخَ أَبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أَبى حفص من مرَّاكش إلى إفريقية سنة ثنتين وستمائة ، فانتزعها من ابن غانية ، ثم وصل الناصر بن المنصور إلى إفريقية بعد ذلك ، ودخل تونس ، وأَقام بها إلى منتصف سنة ثلاث وستمائة ، وعزم على الرحيل إلى مراكش ، واستخلف على إفريقية الشيخ أَبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أَبى حفص ، فقعد بها مقعد الإمارة بقصبة تونس يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة ، فبقى بها حتى توفى فى مفتتح سنة ثمانَ عشرةَ وستمائة ، وبقى بها بنوه إلى الآن ، وولى بعده ابنه أَبو زيد عبدُ الرحمن ، وورد كتاب المستنصر بن الناصر ابن عبد المؤمن[2] بعزله بعد ثلاثة أَشهر من ولايته ، وأَقام المستنصر مكانه أَبا العُلَى إدريس بن يوسف بن

(١) فى صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٦ المنصور يعقوب بن عبد المؤمن .

(٢) فى صبح الأعشى حـ٥ ص١٢٧ : المستنصر بن الناصر خليفة بنى عبد المؤمن .

عبد المؤمن ، فوصل إلى تونس فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، فنزل بقصبتها ورتّب الأمور ، وبقى حتى مات بتونس سنة عشرين وستمائة ، ومات المستنصر المقدم ذكره ، وصار الأمر بعده لعبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن ، فولى على إفريقية أبا زيد بن أبى العُلَى ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الناصر .

وكان الغرب الأوسط والغرب الأقصى وما بقى مع المسلمين من الأندلس بيد أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أيضا ، فبقى بيده حتى مات سنة ثمانين وخمس مائة ، وملك بعده ابنه يعقوب بن يوسف ، عقب وفاته بإشبيلية من الأندلس ، وتلقب بالمنصور ، واستولى على ما كان بيد أبيه من الممالك ، ومات بالأندلس سنة خمس وتسعين وخمس مائة ، وولى بعده ابنه محمد ، وتلقب بالناصر لدين الله ، ورجع إلى بلاد المغرب وبقى حتى مات فى مراكش فى شعبان سنة تسع وستمائة ، وولى ابنه يوسف بن محمد سنة إحدى عشرة وستمائة ، ولقب المستنصر بالله ، وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر .

(١١٥ ب) الخامس والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

الظاهر بأمر الله [١]

وهو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره . كان عادلا حسن السيرة جوادا كثير الإحسان للعلماء ونحوهم . بويع له بالخلافة يوم مات الناصر فى أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وبقى حتى توفى فى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، فكانت خلافته تسعة أشهر [٢] وأعمار الجياد قِصار .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولى الخلافة أظهر العدل ، وأزال المكوس ، وأخرج المسجونين من السجن ، ومشى على مذهب أهل السنة ، وترك ما كان عليه أبوه من التشيع ، وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لا يظهرون إلا نادرا ، قال المؤيد صاحب حماة : ومما أزاله من المنكرات أنه كان بخزانة الخليفة صنجة زائدة ، زيادتها فى كل دينار حبة ،

(١) ولد سنة ٥٧١ كما في تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٨٤

(٢) في ابن الأثير ح ١٢ ص ١٨٨ « مدة خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوما » وهو ما يتفق مع حساب توليه ووفاته .

يقبضون بها المـال ، ويعطون بالصنجـة التى يتعامل بها الناس ، فأَبطل تلك الصنجـة الزائدة وبذل المال عـلى المحبوسين على الدَّين ، وزاد فى بِرّ العلماء ومن فى معْناهم . أَولاده منهم المستنصر الآتى ذكره .

ولايات الأَمصار فى خلافتـه

كان على مصر العادل أَبو بـكر بن أَيوب ، وبقى حتى توفى بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة ، وملك بعده ابنـه الملك الـكامل محمد ، وهو أَول من سـكن قلعة الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة .

وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أَبى بـكر ، ولما مات أَبوه العـادل واستقر أَخوه الـكامل محمد بن العادل بمصر بعـد أَبيه خطب له بدمشق دون نفسه ، وبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكـانت حلـب بيد الظاهـر غـازى بن السلطـان صلاح الدين ، وهو يخطب بهـا لعمه العـادل أَبى بـكر صاحب مصر ، وبقى حتى توفى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وعهـد بملك حلب بعده لابنـه الملك العـزيز (١١٦ ا)

محمد ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت حماة بيد الملك الناصر صلاح الدين قليج بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أَيوب ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت طرابلس وصَفَد للفرنج .

وكانت الكَرَك بيد المعظم عيسى بن السلطان صلاح الدين ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى بن أَيوب[1] ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت بعلبك بيد الملك الأَمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخ شاه بن شاهنشاه بن أَيوب ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكانت مكة بيد أَطسيس صاحب اليمن بن الكامل محمد بن العادل أَبي بكر بن أَيوب ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

---

(١) « بن ايوب » هنا لعلها مقحمة .

وكان على اليمن عليّ بن رسول جد ملوكها الآن ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكان ما وراء النهر بيد بنى جنكزخان .

وكان على إفريقية أبو زيد بن أبى العلاء ، وولى بعده أبو محمد عبد الله بن أبى محمد عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

وكان الغرب الأوسط والغرب الأقصى وما بقى مع المسلمين من الأندلس بيد المستنصر يوسف بن محمد ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر ، غير أن بنى عبد الواد ، ومن والاهم من زناته من البربر ، كانوا غلبوا على ضواحى تلمسان ، والرياسة فيهم يومئذ لبنى القاسم بن عبد الواد ، وهم يقولون : إن بنى القاسم من الأدارسة العلويين ، وآلت رياستهم إلى جابر بن يوسف بن محمد ، من عقب القاسم المذكور .

وكانت تلمسان بيد المأمون بن عبد المؤمن ، من الموحدين ، فولاها لأخيه سعيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر .

(١١٦ ب) السادس والثلاثون
من خلفاء بنى العبـــاس بالعراق
المستنصر بالله (١)

وهو أَبو جعفر المنصور بن الظاهر بـأَمر الله المتقدم ذكره . كان على ما كان عليه أَبوه من العدل وحسن السيرة . وبويع له بالخلافة يوم موت أَبيه فى رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وبقى حتى توفى يوم الجمعـــة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنـــة أَربعين وستمائة ، وكانت خلافته سبـــع عشرة سنة إلا شهرا . وكان له من الأَولاد المستعصم الآتى ذكره

الحوادث والماجريات فى خلافتـــه

فى أَيامه فى سنة [أَربع وعشرين وخمس وعشرين خرج التتر على بلاد الإسلام ، وفى سنة] (٢) ثمان وعشرين وستمائة خرج التتر ثانيا على بلاد الإسلام ، وعاثوا فسادا ، وضعف جلال الدين بن خوارزم شاه عن مقاومتهم .

---

(١) ولد في صفر سنة ٥٨٨ وأمه جارية تركية ، انظر تاريخ الخلفاء ص ١٨٥

(٢) زيادة يقتضيها السياق اقتبستها من ابن الأثير حـ ١٢ ص ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٤

وفى سنة خمس وعشرين [1] وستمائة تسلم الفرنج القدس بالصلح .

وفى سنة تسع وعشرين فتح السلطان الملك الكامل آمد من بلاد الجزيرة ، وفى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة سار الناصر داود صاحب الكَرَك من الكرك إلى بغداد ملتجئا إلى الخليفة المستنصر ، لما حصل عنده من الخوف من عمه الكامل ، وقدم للخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة ، فأكرمه الخليفة وخلع عليه وعلى أصحابه ، وكان الناصر داود متطلعاً إلى أن يُحضِره الخليفة فى مَلإٍ من الناس ، وطلب ذلك مرارا فلم يجبه الخليفة إلى ذلك مراعاة لخاطر عمه الكامل صاحب مصر ، فكتب إليه أبياتا تتضمن الاستعطاف ، فجمع بين المصلحتين واستحضره ليلا ، ثم عاد الناصر بعد ذلك إلى الكرك .

ومن غرائب الاتفاق فى أيامه أنه وقع خلف بين ملوك بنى أيوب بالديار المصرية والممالك الشامية ، فبعث الخليفة المستنصر محيي الدين بن الجوزى ليصلح بينهم ،

---

(١) في ابن الأثير ج ١٢ ص١٩٦ أن ذلك كان سنة ست وعشرين وستمائة .

فاتفق أنه مات فى حضوره فى سنـــة (١١٧ ا) أربع وثلاثين وسنـــة خمس وثلاثين أربعة سلاطين ، وهم الـــكامل ، صاحب مصر ، وأخوه الأشرف صاحب دمشق ، والعـــزيز صاحب حلب ، وكيقباد صاحب بلاد الروم ، فقال فى ذلك المستخف الشاعر :

يا إمام الهـــدى أبا جعفـــر المنـــ
صور يا من له الفخار الأثيـــلُ
ما جرى من رسولك الآن محيي الـ
ـدين فى هـــذه البـــلاد قليـــلُ
جاءَ والأرض بالسلاطين تُـــزْهَـــى
وغـــدا والديـــارُ منهـــم طُلولُ
أقفر الروم والشـــآم ومصـــر [1]
أفهـــذا مُغَسِّـــلٌ أم رســـول

وبنى المدرسة المستنصرية ببغداد فى الجانب الشرقى منها على دجلة مما يلى دار الخلافة ، وجعل لهـــا أوقافا جليلة .

(١) في الأصل « الشمال ومصر » والتصويب من السياق .

ووقف أيضا أوقافا على جهات البر . وفى أيامه سنة تسع وثلاثين وستمائة كُسفت الشمس كسوفا كاملا حتى ظهرت النجوم وأظلمت الدنيا ، وأُوقدت السُّرُج فى الدكاكين والحمامات ، ثم انجلت بعد ذلك .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، فبقى حتى توفى بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك العادل أبو بكر ، وقُبض عليه فى العشر الأوسط من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وملك بعده أخوه[1] الملك الصالح نجم الدين أيوب فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أبي بكر ، فتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود وهو صغير ، وقام بتدبير

(١) في الأصل : بعده ابنه الملك الصالح . . .

دولتــه عز الدين أَيبك المُعَظَّمى ، ثم سار الملك الكامل [١]
محمد بن العادل أَبى بكر من مصر إلى دمشق وتسلمها من
الناصر داود فى سنة ست وعشرين وستمائة ، وعوضه عنها
الكَرَك والبلقاء والصلب والأَغوار ، واستخلف عليها أَخاه [٢]
(١١٧ ب) الملكَ الأَشرف مظفر الدين موسى بن العــادل
أَبى بــكر بن أَيوب ، فبقى بها حتى توفى سنــة خمس
وثلاثين وستمائة ، وملــكها بعــده أَخوه الملك الصالح
إسماعيل بن العادل أَبى بكر بن أَيوب بعهــد منه [٣] فبقى
بهــا حتى سار إليــه أَخوه الملك الــكامل محمد بن العادل
أَبى بــكر صاحب مصر فانتزعها منــه فى جمادى الأَولى
سنــة خمس وثلاثين وستمائة ، وعوضه عنها بعلبك ،
فبقى حتى توفى فيها فى السنــة المذكورة ، فولوا مــكانه
الملك الجواد يونس بن مودود بن العــادل أَبى بــكر بن
أَيوب ، فبقيت بيده حتى قــدم عليه الملك الصــالح
نجم الدين أَيوب بن الــكامل محمد بن العــادل أَبى بكر
من ميافارقين ، وتسلمها منــه فى سنــة ست وثلاثين
وستمائة ، ثم خرج منها الملك الصالح عند وفاة أَبيــه

(١) في صبح الأعشى جـ ٤ ص١٦٦ الملك الناصر محمد بن العادل أبي بكر .

(٢) في الأصل ابن أخيه والتصويب من صبح الأعشى وابن الأثير جـ ١٢ ص ٢٠٠

(٣) في الأصل : «بعهد من أبيه» والتصويب من صبح الأعشى .

الملك الكامل يريد ملك الديار المصرية عوضاً من أَبيه ، وأَقام مكانه فى دمشق ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر نائبا عنه ، فوثب عليه صاحب بعلبك الملك الصالح إسماعيل بن العادل أَبى بكر بن أَيوب فى سنة سبع وثلاثين وستمائة ، فقبض عليه وملكها ، وبقى بها إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت حلب بيد الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين ، فبقى بها حتى توفى فى ربيع الأَول سنة أَربع وثلاثين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك الناصر يوسف وعمره سبع سنين ، وقام بتدبير دولته أُمراؤه وجَدَّته لأَبيه ضيفة خاتون ، وكانت من المرجوع إليها فى أُمور المملكة ، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت طرابلس وصَفَد بيد الفرنج .

وكانت حماة بيد الناصر قليج بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أَيوب ، فبقيت بيده حتى انتزعها منه أَخوه الملك المظفر محمود فى سنة ست وعشرين وستمائة ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت (١١٨ ا) الكرك بيد المعظم عيسى ، فبقيت بيده إلى أن استضاف إليها دمشق على ما تقدم ، وتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود ، ثم انتزع عمه الكامل محمد بن العادل دمشق منه فى سنة ست وعشرين وستمائة ، على ما تقدم ، وبقى معه الكرك وعملها ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر ، بعد أن أُخذت منه غالب بلاده .

وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه ، فبقى بها حتى توفى سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك المنصور إبراهيم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت بعلبك بيد الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه ، فبقيت بيده حتى انتزعها منه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبى بكر فى سنة سبع وعشرين وستمائة وعوضه منها الزبدانى وغيره ، وصارت مضافة إلى دمشق إلى أن ملكها أخوه الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبى بكر فى سنة خمس وثلاثين ، ثم استقرت للصالح المذكور بمفردها عوضا عن دمشق فى السنة المذكورة ، لما

انتزع دمشق منـــه أَخوه الملك الــكامل محمد صاحب الديـــار المصرية ، ثم استقرت بيد أَولاده بعــده ، فلمـا انتزع الملك الصالح نجم الدين أَيوب صـــاحب الديـــار المصـــرية دمشق من الصالح إســماعيل المذكور ، انتزعها منـــه وسلمها لنائبه حسام الدين بن أَبي على ، وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت مــكة بيد أَطسيس بن الــكامل محمد بن العادل أَبي بـــكر بن أَيوب ، فبقى بهـــا حتى مات بهـــا سنة ست وعشرين وستمائة ، وبقى عـــلى مــكة قـــائده فخر الدين بن الشيـــخ ، وقصد راجـــحُ بن قتادةَ مـــكة مع عســـاكر عمر بن على بن رسول صاحب اليمن ، فملكها من يـــد فخر الدين بن الشيـــخ سنـــة تســـع وعشرين وستمائة ، ثم أَرسل صاحب مصر عســـكرا إلى مـــكة فى سنـــة ثنتين وثلاثين وستمائة (١١٨ ب) مع أَمير اسمه جبريل ، فملـــكوها ، وهرب راجـــحٌ إلى اليمن ، ثم عاد ومعه عمر بن علي بن رسول بنفسه ، فهربت عساكر مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن [علي بن] رسول بعد الخليفة

المستنصر ، وبقيت بيد راجح إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت المدينة بيد شيحة [بن سالم] بن قاسم ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان اليمن بيد علىّ بن رسول ، فمات سنة ثلاثين وستمائة ، وملك بعده ابنه عمر بن علىّ بن رسول ، وخرج عن طاعة بنى أَيوب ملوك مصر ، وتلقب بالمنصور ، وبقى حتى قتل فى سنة ثمان وأَربعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر وصفا له ملكُ اليمن وطالت مدته ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت خراسان وما وراءَ النهر بيد بنى جنكزخان .

وكانت إفريقية بيد أَبى محمد عبد الله بن عبد الواحد ، ابن الشيخ أَبى حفص من الموحدين ، فبقى بها حتى انتزعها منه أَخوه أَبو زكريا يحيى بن عبد الواحد ، ودخل تونس وملكها فى رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ، وفتح قسنطينة وبجاية وانتزعهما من بنى عبد المؤمن فى سنة ست وعشرين ، ثم ملك من يديهم

تلمسان بعـــد ذلك وبايعـــه أَهــــل الأَندلس ، وبقى إلى ما بعـــد خلافة المستنصر .

وكان المغرب الأَقصى بيد المستنصر يوسف بن محمد من بنى عبد المؤمن ، فتوفى فى يوم الأَضحى سنة ست وعشرين وستمائة ، وملك بعده أَبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالمخلوع ، وكان [الوالىَ] بمُرْسِيةَ من الأَندلس أَبو محمد عبدُ الله بن يعقوب بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ، فدعا لنفسه وتلقب بالعادل ، ووصـــل خبر ذلك لمراكش ، فاضطرب الموحدون وبَايَنُوا المخلوعَ ، وبعثوا ببيعتهم إلى العادل بالأَندلس ، فسار العـــادل إلى مراكش فدخلهـــا ، وبقى بها (١١٩ ا) حتى قتـــل فى أَول شوال سنـــة سبـــع وعشرين وستمائة ، وكان أَخوه إدريس بإِشبيلية من الأَندلس ، فدعا لنفسه وبُويع ، وبعث الموحـــدون ببيعتهم إليه ، ثم قصـــد مَرَّاكُشَ فهلك فى طريقهِ مُفتتحَ سنةِ ثلاثين وستمائة .

وتغلَّب إدريس بن هُود على الأَندلس وانتزعه من الموحدين ، واستقَلّ به ، وبويع بعده ابنه المأَمون عبد الواحد

ابن إدريس وتلقّب بالرشيدِ ، ودخل إلى مراكش فبايعوه ، وبقى حتى توفى سنة أَربعين وستمائة ، وبويع بعده أَخوه السعيد أَبو الحسن علىٌّ ، ولُقِّب المعتضد بالله ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان أَبو دَبُّوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأَحمر قد ثار بشرق الأَندلس فى سنة تسع وعشرين وستمائه ،وخطب للأَمير أَبى زكريا يحيى صاحب إفريقية من بَقِية الموحدين ،وأَطاعته جَيَّان وشَريش من الأَندلس فى السنة الثانية من ولايته ، ثم بايع لابن هود سنة إحدى وثلاثين وستمائة عند وصول تقليدخليفة بغداد إليه ، ثم تغلب على إشبيلية سنة ثنتين وثلاثين وستمائة ،وانتزعها من ابن هود ، ثم رجعت إلى ابن هود بعد شهر ؛ ثم تغلّب على غَرْناطَه سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وبايعوه وهو بجَيَّانَ ،فقدم إليها ونزلها وابتنى بها حِصْنَ الحمراء ، وهو المُعَبَّر عنه بالقصبة الحمراء ، والمراد بالقصبة القلعة ، وهى مقر ملك بنيه إلى الآن ، ثم تغلب على مالَقَة وأَخذها من يد عبدالله بن زنون الثائر بها بعد موت ابن هود ، وبقى إلى مابعد خلافة المستنصر .

السابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق

المستعصم بالله [1]

(١١٩ب) وهو أَبو أَحمد عبد الله بن المستنصر بالله المقدم ذكره، كان ضعيف الرأْى والبصر بتدبير الأَمور ذَا طمع [2]، بويع له بالخلافة عقب موتِ أَبيه المستنصر لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة أَربعين وستمائة باتفاق من أَهل الدولة، وبقى حتى قتله التتر فى [3] وقعة هُولاكو فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة، فكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة، وكان له ولد اسمه أَبوبكر.

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما ولي الخلافة استبد كبراء دولته بالأَمر، وحسّنوا له قطع الأَجناد ومداراة التتر، ففعل ذلك وأَبطل أَكثر العساكر، وكان التتر من أَولاد جنكزخان قد خرجوا على بلاد الإِسلام

---

(١) آخر الخلفاء العراقيين ولد سنة تسع وستمائة وأمه أم ولد اسمها هاجر. انظر تاريخ الخلفاء ص ١٨٦

(٢) في الأصل: ذو طمع.

(٣) بهامش الأصل بخط مختلف ما يأتى: يظهر ماذكره من خلع التتر ملكه ودولته في بغداد، والحاصل أن خلافتهم مجرد اسم ليس معهم استبداد واستقلال.

على ما تقدم وملكوا أكثر بلاد الشرق والشمال ، وكان أهل الكَرْخ من محلات بغداد رافضة ، فجرى بينهم وبين أهل السنة فتنة ببغداد ، فأمر أبوبكر بن الخليفة المستعصم ركن الدين دوادار العسكر ونهبوا الكرخ وهتكوا النساء ، وزادوا فركبوا منهن الفواحش وكان للمستعصم وزير يقال له مؤيد الدين بن العلقمى رافضىّ ، فشق ذلك عليه ،فكتب إلى هولاكو بن طولى بن جنكزخان ملك التتر وأطمعه فى البلاد ، فخرج هولاكو للاستيلاء على بلاد الخليفة ، وكان بركة بن طوجى خان صاحب بلاد الشمال التى قاعدتها الآن السراى قد أسلم على يد الباخرزى أحد مشايخ الصوفية ، وأوصاه بالخليفة المستعصم ، وكتب بركة إلى الخليفة يعرفه ذلك ، وأنه معاضده وناصره ، وانتظمت الصحبة بينه وبين الخليفة ، فمرَّ هولاكو على بركة قاصدا (١٢٠) بغدادَ ، فاعترضه بركةُ ومنعه من ذلك وقال : إن الخليفة صاحبي ، فلا سبيل إلى وصولك إليه ، وإن لم ترجع عنه حاربتك ، فتوقف هولاكو حينئذ عن قصد بغداد سنتين

---

(١) في هامش الأصل ما يأتى بخط مختلف «وكان ماجرى على أهل بغداد خصوصا من حكومة العباسيين من هتك حرمات أهل الكرخ وإن كانو شيعة كان أكثرهم سادات فكان هتك العرض منهم خصوصا البنات مايعتبر جريمة عظيمة منهم .

حتى مات بركة ، فقصد بغداد حينئذ ، وكان عسكر بغداد قبل ولاية المستعصم مائة ألف فارس ، فقطعهم المستعصم ليحمل إلى التتر متحصل إقطاعاتهم ، فصار عسكرها دون عشرين ألف فارس ، ولما قارب التتر بغداد خرج عسكر الخليفة لقتالهم ، ومقدمهم ركن الدين الدوادار ، فالتقوا على مرحلتين من بغداد ، وجرى بينهم قتال شديد انهزم فى آخره عسكر الخليفة ، ودخل بعضهم بغداد منهزما ، وسار بعضهم إلى جهة الشام ، ونزل هولاكو ملك التتر على بغداد من الجانب الشرقى ، ونزل أميران من أُمرائه من الجانب الغربى قبالة دار الخلافة ، وخرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمى إلى هولاكو فتوثّق منه لنفسه ، وعاد إلى الخليفة المستعصم وقال : إن هولاكو يبقيك فى الخلافة كما فعل بسلطان الروم ، ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبى بكر ، وحسّن له الخروج إلى هولاكو ، فخرج إليه المستعصم فى جمع عظيم من أكابر أصحابه ، فأنزله فى جهة ، ثم استدعى الوزيرُ الفقهاءَ والأماثل ، حتى اجتمع هناك جميع سادات بغداد من العلماء وغيرهم ، وصار أهل بغداد يخرجون إلى التتر طائفة بعد طائفة ، حتى تكاملوا ،

فبذل فيهم التتر السيف ، وقتلوهم ، ولم ينج منهم إلا القليل وهجموا [(١)] دارَ الخلافةِ ، وقتلوا كل من فيها من الأَشراف والأَكابر ولم يسلم منهم إلاَّ من كان صغيراً فأُخذ أَسيرا ، ودام القتل والنهب فى بغداد أَربعين يوما ، ثم نودى بالأَمان ، وقُتِل الخليفةُ المستعصم ولم يُوقف على كيفية قتله ، فقيل : خُنق ، وقيل : جعل فى عِدْل ورُفِس حتى مات ، وقيل : غرق فى دجلة ، واستبقى (١٢٠ب) هولاكو الوزيرَ [ابن] العلقمىَّ مدة يسيرة فى الوزارة ثم قتله[(٢)]

ومما وقع فى أَيامه بالديار المصرية أَن الفارس أَقطاى أَحد أُمراءِ الملك الصالح نجم الدين أَيوب كان قد وقع بينه وبين الملك المعز أَيبك التركمانى صورة ، فعمل الملك المعز الحيلة فى أَمره حتى قتله ، فتغيّر أَصحابه من ذلك وخرجوا قاصدين الشام من جهة سوق الغنم ، فوجدوا الباب مغلقا ، فأَحرقوه وخرجوا منه ، فسمى الباب المحروق ، وبذلك يعرف إلى الآن

---

(١) هجم البيت : هدمه . ولعل الأصل : هجموا على

(٢) في هامش الأصل ما يأتى بخط مختلف : وهولاكو أحسن في قتله الوزير العلقمى لأن من خان الصاحب وملته القديمة فخيانته عليه أظهر وأشهر . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها.

وفى أيامه فى سنة سبع وأربعين وستمائة ملك الفرنسيسُ ملكُ الفرنج مدينةَ دمياط وأقام بها حتى مات الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فارتحل فنزل مقابل المنصورة ، ثم كانت الكسرة على الفرنسيس فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فقُتل من عسكره نحو ثلاثين ألفا وأُسر الفرنسيسُ ملكُهم .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، وتوفى لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك المعظم تُوران شاه ، وهو الذى كسر الفرنج على المنصورة فى المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ، ثم قُتل فى الثامن والعشرين من الشهر المذكور وملكت بعده أُمُّ خليل شجرة الدُّرِّ[1] زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور ، فى صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فأقامت ثمانية أشهر ، ولم يملك مصر فى الاسلام امرأة غيرها ، ثم خلعت وملك بعدها الملك الأشرف موسى بن الناصر

(١) فى الأصل «شجرة در» و كذلك جاءت بعد ذلك .

يوسف بن الملك المسعود بن الكامل محمد بن العادل أَبي بكر ، بن أَيوب فى شوال سنة ثمان وأَربعين وستمائة ، وخُلع لوقته[1] ، وهو آخر الملوك الأَيوبية بالديار المصرية . ودخلت بعده الدولة التركية ، وأَول من ملك منهم بعد الأَشرف موسى الملكُ (١١٢١) المعز أَيبك التركمانى ، فى شهر شوال سنة ثمان وأَربعين وستمائة ،وجُمع له بين مصر والشام ،وبنى المدرسة المُعِزّية برحبة الخَرُّوب بالفُسطاط وتزوج أُم خليل شجرة الدر المقدم ذكرها ،وكان ملكا حازما ، إلا أَنه استوزر شخصا من كتاب القبط اسمه شرف الدين بن ساعد الفائزى ، كان قد أَسلم فى الدولة الأَيوبية وأَحدث مظالم ، ورتَّب مكوسا على جهات متعددة ، ثم ما كفاه ذلك حتى سماها حقوقا ،وأَخذ فى مصادرات الناس فكان سيئة من سيئات المعز ، وبقى المعز حتى قُتل بحَمَّام القلعة فى سنة أَربع وخمسين وستمائة ،وملك بعده ابنه الملك المنصور علىٌّ بن أَيبك ، وقُتِلت أُم خليل المذكورة ورُميت من سور القلعة ،وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان على دمشق الملك الصالح إسماعيل بن العادل

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣٣ : وخلع نفسه .

أبي بكر بن أيوب ، فبقى بها حتى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد صاحب الديار المصرية ، فجهّز إلى دمشق عسكرا صحبة معين الدين بن الشيخ ، فتسلمها من الصالح إسماعيل فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة . ومات معين الدين المذكور ، فتسلمها الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور من حسام الدين بن أبى علىٍّ فى السنة المذكورة ،وبقى نائبا بها حتى استدعاه الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور إلى الديار المصرية فى سنة أربع وأربعين وستمائة ،وأقام مكانه فى نيابة دمشق جمال الدين يغمر ،وبقيت دمشق بيد نواب الصالح المذكور حتى مات فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، فسار الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب حلب [إلى] دمشق ،وملكها فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وبقى بها إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكانت حلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد ابن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ،واستضاف إليها دمشق ،على ما تقدم ،وبقيا بيده إلى ما بعد خلافة المستعصم

وكانت طرابلس وصفد بيد الفرنج .

وكانت حماة (١٢١ب) بيد المظفر محمود ، فبقى حتى توفى فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد ، فبقى بها إلى مابعد خلافة المستعصم .

وكانت الكرك (١) بيد الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة ، فاستخلف عليها ابنه الملك المعظم عيسى ، وسار إلى حلب فلجأ إلى الملك الناصر صاحب حلب ، فبقى عنده إلى أن بعث إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من تسلمها (٢) فى تلك السنة ، وأقام بدر الدين الصوابى الصالحى نائباً ، وبقى الناصر داود بعد ذلك مُشَرَّداً فى البلاد إلى أن مات . وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر معتقلا بالشَّوْبك ، فأخرجه [الصوابى] نائب الكرك ، وملّكه الكرك ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة المستعصم .

---

(١) في الأصل «وكانت حمص والكرك» وستأتى حمص .

(٢) في الأصل : من تسلمه .

وكانت حمص بيد الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد شيركوه ، فبقى بها حتى توفى سنة أربع وأربعين وستمائة ، وملكها بعده ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، فبقيت فى يده إلى أن وثب عليه الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب دمشق المتقدم ذكره فى سنة ست وأربعين وستمائة ، فانتزعها منه ، واستضافها إلى دمشق وحلب ، وبقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان .

وكانت بعلبك بيد حسام الدين بن أبي عليّ ، نيابةً عن الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الديار المصرية ، ثم ملكها الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد حين ملك دمشق سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فبقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان .

وكانت مكة بيد راجح بن قتادة وهو يخطب لعمر بن عليّ [(١)] بن رسول صاحب اليمن ، ثم غلب عليها سنة سبع وأربعين وستمائة أبو سعيد [(٢)] الحسن بن عليّ بن

(١) في الأصل لعلى بن رسول .

(٢) فيصبح الأعشى : أبو سعد .

قتادة ، ولحق راجح باليمن ، وسار جَمَّاز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وستمائة إلى الناصر بن العزيز بدمشق مستجيشاً عليه ليقطع ذكر صاحب اليمن (١١٢٢) من الخطبة ، فجهز له عسكرا وسار إلى مكة ، فقَتَلَ أَبا سعيد بالحرم وملك مكة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان على المدينة سنجر بن قاسم ، فبقى حتى قُتل فى سنة سبع وأَربعين وستمائة ، وولى مكانه ابنه عيسى ، ثم قبض عليه أَخوه جمَّاز سنة تسع وأَربعين وستمائة وملك مكانه .

قال ابن سعيد : وفى سنة إحدى وخمسين وستمائة كان بالمدينة أَبو الحسن [1] بن شيحة بن سالم ، وقال غيره : كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وولى أَخوه جمَّاز وطال عمره ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان على اليمن المظفر يوسف بن عمر بن علىّ بن رسول ، وطالت مدته [2] وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٣٠٠ أبو الحسين . وانظر سنجر بن قاسم وعيسى

(٢) في الأصل : بيده .

وكان ما وراءَ النهـر وخراسـان وغزنة وما مع ذلك بيـد بنى جنـكزخان .

وكانت مملـكة الشمال المعروفة قديماً ببيت بركة ، والآن بمملـكة أَزبك ، وقاعدتها مدينة السراى التى بناها بركة خان قد جعلها جنكزخان لابنه طوش [١] خان ، ومات فى حياة أَبيـه [٢] جنـكزخان ، وملك بعده ابنه باطوخان [٣] ويقال صائن خان ، ومعناه الملك الجيد ، فبقى حتى مات سنـة ثنتين وخمسين وستمائة ، وملك بعده أَخوه صرطق بن دوشى خان [٤] ، ومـات سنة أَربع وخمسين وستمائة ، وملك بعده أَخوه بركة بن دوشى خان ، وكان قد أَسلم على يد الشيـخ شمس الدين الباخرزى [٥] من أَصحاب الشيـخ نجم الدين الكبرى صاحب الطريقة ، وحسن إسلامه ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

---

(١) في صبح الأعشى ﺣ ٤ ص ٤٧٢ ابنه طوجى ويقال له دوجى أيضا .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : كان جنكيز لعنه الله قسم تركستان وولايات ماوراء النهر والشمال بين بنيه الأربعة أوكتاى وجفناى وتوشى وتولى .

(٣) في صبح الأعشى : باتو .

(٤) انظر الهامش رقم ١ فان دوشي هي طوش وهي دوجي وطوجي .

(٥) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى خالف ما سبق من أن هولاكو منعه بركة من خروج على المستعصم فلم يخرج هولاكو بعد موت بركة وأنه ترقب يوم موته خرج له بخلاف ماذكرهنا .

وكانت إفريقية بيد أبي زكريا يحيي بن عبد الواحد من الموحدين ، فبقى حتى مات لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة ، وبويع بعده ابنه ولى عهده المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا ، ودخل تونس فى رجب من السنة المذكورة ، وهو أول من تلقّب من الحفصيين من الموحدين بألقاب الخلافة ، وانتهى أمره إلى أن بويع له بمكة وبُعث بالبيعة إليه واستولى (١٢٢ ب) على ما كان بيد أبيه من إفريقية وغيرها ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكانت تلمسان بيد أبي سعيد بن عبد المؤمن من الموحدين من جهة أخيه المأمون ، فعزله أخوه وولى عليها جابر بن يوسف من عقب القاسم بن عبد الواد من زناتة فى سنة أربع وعشرين وستمائة ، ثم قتل فى سنة تسع وعشرين وستمائة وولى بعده ابنه الحسن بن جابر من جهة المأمون ، ثم نزل عن ذلك لعمه عثمان بن يوسف ، فأساء السيرة ، فأخرجته الرعية فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة وأقاموا مكانه عمه وكدار بن زيان ، ثم قتل سنة ثلاث وثلاثين ، وولى بعده يغمراسن بن زيان من قبل بنى

عبد المؤمن ، فاستبد بالأَمر عليهم وتحلى بحلية الملك ، وجرى علي مرتبته ، ولم يبق ،عليهم غير الدعاء على المنابر ، ثم غلب أَبو زكريا سلطان الحفصيين بإفريقية على تلمسان ، وفوض أَمرها ليغمراسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم .

وكان الغرب الأَقصى وإشبيلية وما معها من الأَندلس بيد المعتضد بالله أَبو الحسن على بن إدريس من بنى عبد المؤمن من الموحدين ، فسار إلى تلمسان فمات بها فى صفر سنة ست وأَربعين وستمائة ، وفيها استولت الفرنج على إشبيلية من الأَندلس ، ثم اجتمع الموحدون على بيعة أَبى حفص عمر بن أَبى إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن فبايعوه ، ولقبوه المرتضى ، وكان بسَلاَ ، فقدم إلى مراكش وأَقام بها ، وفى أَيامه استولى أَبو يحيي بن عبد الحق المَرِينىّ على مدينة فاس سنة سبع وأَربعين وستمائة ، واستقرَّت فيها قدمه وقدم بنيه إلى الآن ، ثم خرج على المرتضى القائد أَبو العلا ، الملقب بأَبى دبوس بن أَبى عبد الله محمد بن أَبى حفص بن عبد المؤمن ، واجتمع عليه جموع الموحدين ، وقصد مراكش وبها المرتضى فغلبه عليها ، وفرّ المرتضى إلى أُزمُّور ، فقبض عليه واليها واعتقله بها إلى

أَن ورد عليه أَمر أَبي دبوس بقتله ، فقتله واستبد أَبو دبوس بالأَمر (١٢٣ ا) وتلقب الواثقَ بالله والمعتمد على الله ، فخرج عليه أَبو يحي زكريا بن عبد الحق المَرِينى ، وقصد مدينة فاس بعد أَن استولى على كثير من بلادها ، فانتزعها من عامل بنى عبد المؤمن ، واستولى عليها فى أَول سنة ست وأَربعين وستمائة ، وملك سِجِلْمَاسة من أَيدى الموحدين أَيضا فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وبقى حتى مات بفاس فى رجب سنة ست وخمسين وستمائة ؛ وملك بعده ابنه عمر ، ثم قصد عمه يعقوب بن عبد الحق ، وانتزع منه مدينة فاس ، ومات ابن أَخيه عمر بعد ذلك . وكانت مراكش قاعدة الغرب الأَقصى يومئذ بيد أَبي دبوس الملقب بالواثق المعتمد على الله من بنى عبد المؤمن ، فقصده يعقوب بن عبد الحق وانتزع منه مرَّاكش فى سنة ثمان وستين وستمائة ، واستقل بملك الغرب الأَقصى بأَسره ، وانقرض ملك بنى عبد المؤمن منه ، ثم عاد إِلى فاس وبنى المدينة التى استجدها ملاصقة لها ، ونزلها فى سنة أَربع وستين [1] وستمائة ، وبقى إِلى ما بعد خلافة المستعصم .

(١) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٩٧ سنة أربع وسبعين وستمائة .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأَندلس بيد أَبى دبوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأَحمر ، فأَخذ المَرِيّة من يد محمد وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأَربعين وستمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم.

الفترة التى شغرت فيها الخلافة عن خليفة

وهى ما بين قتل المستعصم فى المحرم سنة ست وخمسين وستمائة إلى حين بايع الملك الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية المستنصر أَحمد بن الظاهر أَول الخلفاء بالديار المصرية فى رجب سنة ثمان[1] وخمسين وستمائة ، والملوك مستولية على الممالك شرقاً وغرباً .

الحوادث والماجريات فى هذه المدة

فى سنة سبع وخمسين وستمائة بعد استيلاء التتر على بغداد سار هولاكو (١٢٣ ب) ملك التتر من بغداد قاصدا الشام ، وعدّى الفرات بعساكره ونازل[حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وأَرسل ولده سموط بن هولاكو إلى الشام فوصل

(١) الذى فى تاريخ الخلفاء ص١٩١ أن انقطاع الخلافة إلى رجب سنة ٦٥٩ وأن مدة الانقطاع ثلاث سنين ونصف وكذلك فى تاريخ أبى الفداء حـ٣ ص٢٢٢ أن الخلافة بمصر كانت سنة ٦٥٩

إلى ظاهر حلب وفى سنة ثمان وخمسين وستمائة عبر هولاكو الفرات ونازل] [1] حلب واستولى عليها فى تاسع صفر من هذه السنة ، وبذلوا السيف فى المسلمين ، وصعد القلعة خلق عظيم من المسلمين ، ودام القتل والنهب فيها من تاسع صفر إلى رابع عشره ، فأمرهم هولاكو أن يرفعوا السيف ، ونادى بالأمان ، ولم يسلم من أهل حلب إلاّ من التجأ إلى أماكن معروفة كان بأيدى أهلها أمانات من هولاكو ، ويقال إن من سلم بهذه الأماكن كانوا نحو خمسين ألف نفس ، ودام الحصار على قلعة حلب حتى نزل من فيها بالأمان ، وأمر هولاكو بخراب أسوار حلب وأسوار قلعتها ، فخربت عن آخرها وأُحرقت زردخانتها . وتوجه [2] أهل حماة بالمفاتيح إلى هولاكو وطلبوا منه الأمان وشحنة [3] تكون عندهم ، ثم سار التتر إلى دمشق واستولوا عليها وعلى سائر الشام ، وحاصروا قلعة دمشق حتى نزلوا بالأمان بعد مضايقة عظيمة فى منتصف جمادى الأُولى من هذه السنة ، ونهبوا جميع ما فيها

(١) الزيادة من تاريخ أبي الفداء حـ ٣ ص ٢٠٨ و ٢٠٩

(٢) في الأصل « وفتح أهل حماة » وانظر تاريخ أبي الفداء حـ ٣ ص ٢١٠ .

(٣) الشحنة في البلد : من فيه الكفاية لضبطها .

وخربوا أَسوارها ، وكذلك استولوا على مَيَّافَارِقِين ، وقتلوا صاحبهـا الـكامل محمد بن المظفر غـازى بن العـادل أَبي بـكر ، وكان النصـارى بدمشق قد استطـالوا بدقّ الناقوس وإدخال الخمر الجامع ، فبلغهم حركة عسكر مصر إليهم ، فوثبوا بالنصارى ونهبوهم وخربوا كنيستهم العظمى بها ، ووصل المظفر قطز صاحب مصر إلى الشـام ، وبقى التتر على عين جالوت ، فكانت الـكسرة على التتر ، وقتل كتبغا نائب هولاكو ﴿ وَرَدَّ اللهُ الَّذِين كَفَرُوا بِغَيْظِهِـمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ [1] وسار المظفر قطز بعد كسر التتر حتى دخل دمشق ، وابتهجت الرعايا بالنصر ، ثم عاد المظفر قطز بعد ذلك قاصداً الديار المصرية ، فقتل فى الطريق ، وملك الظاهر بيبرس ، على ما سيأْتى ذكره ، وكان المظفر قطز قد استناب سنجر على دمشق ، فلما ملك الظاهر بيبرس خرج عن طاعته ، وتسلطن بدمشق فى العشر الأَول من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٥

(١٢٤ ا) ولايات الأَمصار فى هذه المـــدة

كانت مصر بيد الملك المنصور علىّ بن المعز أَيبك ، وبقى حتى قبض عليه الملك المظفر قطـز فى سنـة سبع وخمسين وستمائة ، واستولى على الملك مكانه ، وكان المصافُّ بينه وبين التتر على عين جالوت بعد أَن استولوا على جميع الشام فى رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، فكسرهم أَشد كسرة ، واستقلع الشام منهم بعد أَن عجز كافة ملوك الشرق وعساكرها [عن] مقاومتهم واستولوا على الأَقاليم الشرقية والشمالية كإقليم ما وراءَ النهر من بخارى وسمرقند وغيرهما وإقليم خوارزم ودشت [١] القجاق وإقليم خراسان وعراق العجم وأَذربيجان وخوزستان وبلاد فارس والجزيرة الفراتية وبلاد الروم وبلاد الشام وغير ذلك . واجتمع له ملك الديار المصرية والبلاد الشامية ، وتداول ملوك مصر ذلك بعده إلى زماننا ، على ما سيأْتى ذكره ، وبقى حتى قُتل فى مُتَصيَّده وهو عائد من الشام بالقرب من قُصير الصالحية ، على إثر ذلك من السنة المذكورة ، وملك بعده الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وأَخذ فى جهاد الفرنج ، واستعاد

(١) لعلها : دست .

ما ارتجعوه من فتـوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب وغير ذلك ، ففتـح إلبيرة والـكرك وحمص وقيسارية وأَرْسُوف وصَفَد ويافا والشقيف وأَنطاكية وحصن الأَكراد وعـكًّا وصافيتا وقلاعا من بلاد سيس ، وكسر التتر على إلبيرة بعد أَن عدى الفرات خوضا بعساكره ودخل بلاد الروم وانتزع قيساريّة من يد التتر ، وجلس على تخت آل سلجوق بهـا ، وبنى المدرسة الظاهرية بالقاهرة بين القصرين ، وبقى إلى ما بعد هذه الفترة .

وكانت دمشق وحلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب ، فبقيت بيده حتى استولت عليهما التتر فى سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ثم انتزعهما منهم المظفر (١٢٤ب) قطز صاحب الديار المصرية ، واستولى عليهما وعلى سائر البلاد الشامية ، وقبض عليه الظاهر بيبرس وملك بعده ، وبقى إلى ما بعد هذه المدة على ما تقدم .

وكانت طرابلس قد بقيت بيد الفرنج بعد فتـح الظاهرِ صفدَ .

وكانت حماة بيد المنصور محمد بن المظفر محمود ، فبقى بها حتى غلب هولاكو على البلاد الشامية ، فهرب إلى مصر صحبة الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب فى جماعة من بنى أيوب ، فأكرم المظفر قطز صاحب الديار المصرية نُزُله ، فلما كسر المظفر التتر أعاده إلى حماة على ما كان عليه من السلطنة ، فبقى بها إلى ما بعد هذه المدة .

وكانت الكرك بيد الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ، فبقى بها إلى ما بعد هذه الفترة .

وكانت حمص وبعلبك بيد الناصر يوسف مضافتين إلى حلب ودمشق ، وكان من أمره ما كان من مصيره إلى الديار المصرية ولحوقه بقطز صاحبها وانتزاع قطز البلاد الشامية من أيدى التتر ، فصارت فى جملة نيابات صاحب الديار المصرية .

وكان ما وراء النهر وخراسان وغزنة وعراق العجم وأرمينية وأذربيجان وسائر مملكة إيران بيد هولاكو بن طولى بن جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن درجي خان ، وبقى بركة إلى ما بعد مدة الفترة .

وكانت مكة بيد جمّاز بن حسن بن قتادة ، فوصل عمه راجح بن قتادة إلى مكة وقد كبر سنه ، فاستولى على مكة ، وأخرج جمازا منها ، فلحق بالينبع ، ثم دار أمر مكة بين أبي نمى محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة ، وبين غالب بن راجح ابن قتادة ، وبقى الأمر على ذلك إلى ما بعد هذه الفترة .

وكانت المدينة بيد جماز بن شيحه ، فبقى إلى ما بعد هذه المدة .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما معها بيد بنى جنكزخان[1] .

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحي بن عبد الواحد من الموحدين ، فبقى إلى ما بعد هذه المدة .

---

(١) تكرر هذا الكلام في هذه الصفحة والتي قبلها .

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمراسن (١٢٥ ا) ابن زيان من جهة المستنصر بن أبي زكريا صاحب إفريقية ، فبقي إلى ما بعد هذه المدة .

وكان الغرب الأقصى بيد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، فبقي إلى ما بعد هذه المدة .

وكانت غرناطة وما معها من الأندلس بيد أبي دبوس محمد بن الأحمر ، فبقي إلى ما بعد هذه الفترة .

* * *

الطبقة الرابعة من الخلفاء

خلفاء بنى العباس بالديار المصرية من حين انتقال الخلافة إليها وإلى زماننا ، وهم أحد عشر خليفة

الأول منهم : المستنصر بالله

وهو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره ، والعامة تسميه الزرابيني[1] . بويع له بالخلافة بالديار المصرية فى شهر رجب سنة ثمان[2] وخمسين وستمائة ، وقام ببيعته السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى صاحب الديار المصرية ، وهو أول خليفة واطأ لقبه لقب خليفة قبله ، تلقيبا له بلقب أخيه المستنصر بالله أبى جعفر المنصور بن الظاهر بالله المقدم ذكره ، وكانوا قبل ذلك يقتضبون لكل خليفة يتولى لقبا لم يكن لأحد قبله ، وكأنه إنما لقب بذلك تفاؤلا للاستنصار بالله على التتر . وكان من شأنه أنه حضر مع

(١) في الأصل : «الزراتيتى » والتصويب من تاريخ أبى الفداء حـ ٣ ص ٢٢٢ ويبدو أن سبب هذه التسمية لأنه كان أسود اللون .

(٢) تقدم ما ذكرته عن أبى الفداء وتاريخ الخلفاء أنه في سنة ٦٥٩

جماعة من العرب ، وذكر أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر ، فعقد له السلطان مجلسا حضر فيه جماعة من الأكابر ، منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إمام الشافعية فى زمانه ، والقاضى تاج الدين بن بنت الأعز قاضى القضاة بالديار المصرية يومئذ بمفرده ، فشهد أولئك العرب أنه ابن الظاهر بالله ، ثم شهد من سمع كلامهم بنسبه المذكور بالاستفاضة ، فأثبت القاضى تاج الدين بن بنت الأعز نسبه ، ثم بويع بالخلافة بعد ذلك ، على ما تقدم ذكره ، وبقى حتى قتله التتر بالعراق حين وجهه الملك الظاهر إلى بغداد لينتزعها منهم فى أواخر (١٢٥ ب) سنة ثمان [١] وخمسين وستمائة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بايع له الملك الظاهر اهتم بأمره أتم الاهتمام ، وكتب السلطان الكتب إلى الممالك والنواب بأخذ البيعة له فى جميع الأقطار بالخلافة ، وأن يخطب له مع السلطان على المنابر ، ويبدأ به فى الذكر ، وينقش اسمه مع اسمه

---

(١) انظر ما تقدم عن أبى الفداء .

فى السِّكَّة على الدنانير والدراهم ، فلما كان يوم الجمعة الذى يلى المبايعة خطب الخليفة بنفسه بجامع القلعة ، ثم ركب السلطان بعد ذلك بقليل إلى خيمة ضربت له بالبستان الكبير بظاهر القاهرة ، ونزل بها والخليفة معه ، ولبس منه خلعة الخلافة ، وهى عمامة بنفسجى وجبة سوداء وطوق ذهب فى عنقه وسيف بداوىّ تقلّد به ، وجلس مجلساً عامًّا بحضرة الخليفة والوزير والقضاة والعلماء والأُمراء ، ونُصب للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب السر يومئذ منبر ، فصعد عليه وقرأ تقليد السلطان ، ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ، ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وهى مزينة له ، وحمل الصاحبُ بهاءُ الدين ابن حنا وزيرُه التقليدَ على رأْسه ، ومشى به فى الموكب بين يدى السلطان ، والأُمراءُ مشاةٌ حوله وأَمامه ، وعمل له السلطان الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة ، واستخدم له عسكرا جليلا ، وغرم على ذلك فيما يقال أَلف أَلف دينار ، بتكرير الأَلف مرتين ، وبرز السلطان والخليفة فى رمضان من السنة المذكورة وتوجها إلى دمشق ، وكان السلطان فى كل منزلة يمضى إلى دهليز الخليفة الخاص به ،

فلما وصلا إلى دمشق نزل السلطان بالقلعة ، ونزل الخليفة فى جبل الصالحية ، ونزل أُمراؤه وأَجناده حوله ، ثم جهز السلطــان الخليفة بعســكره من دمشق إلى بغداد لقتال التتر الذين استولوا عليها ، وخرج السلطان معه لتشييعه ، ووصاه بالتأَنى فى الأُمور ، ثم عاد السلطان إلى دمشق (١٢٦ ا) ثم إلى الديار المصرية ، فدخلها فى سابع عشر ذى الحجة من هذه السنة ، ووصلت إليه كتب الخليفة بعد وصوله الديار المصريــة بأَنه قد استولى عــلى عانة والحَديثة ، وولَّى عليهما ، وأَنَّ كُتب أَهل العراق وصلت إليه يستحثونه على الدخول إليهم ، ثم بعد تنفيذه الكتب إلى الديار المصرية خرج إليه التتر فقاتلوه وقَتلوه ، وقتلوا غالب عســكره ، وجاءَت الأَخبار إلى الديار المصرية بذلك ، لا رادَّ لقضاء الله ولا معقب لحــكمه .

وفى سنة ستين وستمائة وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى ، والبلاد الشامية : دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة ، تساقطت منها الأَبنية وتشققت الجبال ، وتقطعت الصخور ، وتفجرت الأَرض عيونا ، وخرج النــاس من مساكنهم

هاربين إلى الصحارى ، وظهر أثرها فى النيل والبحر الملح ، وطما البحر لسببها حتى أغرق قماش القصّارين ، وتكسّرت القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع ، ووقع جانب عظيم من منار الإسكندرية .

ولايات الأمصار فى خلافته

كان على الديار المصرية والبلاد الشامية بأسرها إلاّ ما بقى بيد الفرنج منها فى أيامه الملكُ الظاهر بيبرس البندقدارى الذى قام ببيعته وبقى إلى ما بعد خلافته .

وكانت مكة بين أبى نمِىّ محمد بن أبى سعد بن على ابن قتادة وبين غالب بن راجح بن قتادة ، على ما تقدم ، ثم استبد أبو نَمِىّ بمكة ونفى أقاربه جمّازا وأخويه إدريس ومحمدًا إلى الينبع ، فأعقابهم قائمة بإمرته إلى الآن ، وبقى أبو نَمِىّ إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت اليمن بيد المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت مملكة إيران من بغداد وما معها بيد هولاكو بن

طولى بن جنكزخان ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكـــان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بنى جنـــكزخان غير هولاكو .

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن أَبى زكريا (١٢٦ ب) فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت تلمسان والغرب الأَوسط بيد يغمراسن بن زيان ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكان الغرب الأَقصى بيد أَبى يوسف يعقوب عبد الحق فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأَندلس بيد أَبى دبوس بن الأَحمر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستنصر .

الثانى من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الحاكم بـأَمر الله

وهو أَبو العباس أَحمد بن الحسين [١] بن أَبى بـــكر بن

---

(١) في تاريخ أبي الفداء ﺟ ٣ ص٢٢٤ بن الحسن وكذلك في تاريخ الخلفاء ص١٩٢ ونسبه فيه : أبو العباس أحمد بن أبي على الحسن القببى بضم القاف وتشديد الباء الموحدة ابن على بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله .

الأَمير أَبى على القُبِّى بن الأَمير حسن بن الراشد بالله أَبى جعفر المنصور الحادى والثلاثين من خلفاء بنى العباس بالعراق ، وقد تقدم ذكره ، قال المؤيد صاحب حماة : هذا هو المشهور بمصر عند نسابتها ، أَما عند الشرفاء العباسيين السليمانيين [1] فى درج نسبهم الثابت فهو أَحمد بن على بن أَبى بكر بن أَحمد بن الإِمام المسترشد والد الراشد المقدم ذكره ، وتلقيبه بالحاكم وإن لم يكن مواطئاً للقب أَحد من الخلفاء العباسيين قبله فهو مواطئٌ للقب الحاكم بأَمر الله الفاطمى ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية . وهو أَبو الخلفاء العباسيين بالديار المصرية الموجودين إلى الآن . بويع له بالخلافة يوم الخميس فى أَواخر ذى الحجة سنة ستين وستمائة ، وذلك أَنه لما قُتل المستنصر أَحمد المقدم ذكره فى أَواخر سنة ثمان [2] وخمسين وستمائة بقيت الخلافة شاغرة بعده ، إلى أَن بعث السلطان من أَحضره إليه من بغداد ، فقدم مصر فى سنة تسع وخمسين وستمائة ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم

(١) في تاريخ أبي الفداء : السلمانيين .

(٢) انظر ماكتبته مقدما عن أبي الفداء .

جلس السلطان فى التاريـــخ المذكور مجلساً عامًّا ، وأَثبت نسبه ، وبايعه بالخلافة وأَشركه معه فى الدعاء له على المنابر مقدَّما فى ذلك على السلطان ، إلا أَنه لم يثبت اسمه فى السـكة على الدراهم والدنانير ، وبقى حتى توفى فى شهور سنة إحدى وسبـع مائة ، وكانت خلافته أَربعين سنـة تقريباً ، بعد أَن حج فى سلطنة الملك المنصور لاجين فى سنة سبـع وتسعين وستمائـة ، وزوده السلطـان مبلغ سبـع مائة أَلف درهم ، وكان له من الأَولاد المستكفى بالله الآتى ذكره وغيره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

(١٢٧ ا) لما بويع له بالخلافة رقم اسم السلطان فى السكة ، ودعى له قبل السلطان فى الخطبة ، وحفظ له ما يجب حفظه من مقداره ، إلاَّ أَن السلطان الملك الظاهر لم يمكنه من التصرف والركوب والنزول ، بل هيَّأَ له برجاً يقيم فيه ، فبقى على ذلك إلى أَن ملك السلطان الأَشرف خليل ابن المنصور قلاوون ، فأَسكنه بالكبش على القرب من الجامع الطولونى ، وكان يخطب بنفسه فى جامع القلعة ،

ويصلى ، ولم يُطلق تصرُّفه إلى أَن تسلطن الملك المنصور لاجين ، فأَباح له التصرف حيث شاء ، وأَركبه معه فى الميادين .

وفى أَيامه فى سنة ستين وستمائة رتب السلطان الملك الظاهر القضاة أَربعة ، من كل مذهب قاض ، وكان قبل ذلك فى الدولة الفاطمية وما قبلها والدولة الأَيوبية وما بعدها قاض واحد ، وهو يستنيب من يختاره من المذاهب على قاعدة الخلافة العباسية ببغداد ، بل اجتمع فى الدولة الفاطمية فى أَيام الحاكم بأَمر الله الفاطمى : مصر وأَجناد الشام وبلاد المغرب لقاض واحد ، وكان سبب استقرار القضاة الأَربعة أَن القاضى كان فى أَول الدولة الظاهرية ابن بنت الأَعز ، وكان شافعيًّا ، فكان إذا ورد عليه شىء من غير مذهبه توقَّف فى إثباته ، فاختار السلطان أَربعة قضاة ، ليحكم كل منهم بما يسوغ فى مذهبه . وفى هذه السنة كان بالديار المصرية غلاء شديد ، فجمع السلطان الفقراء وأَخذ لنفسه خمس مائة فقير ، ولولده بركة خان خمس مائة ، ولنائبه بيليك الخازندار ثلاثمائة ، وفرَّق الباقين

على الأُمراء على قدر طبقاتهم ، وأمر لـكل فقير برطلين خبزًا ، فما رُئىَ بعد ذلك بالديار المصرية فقير يسأَل .

وفى سنة اثنتين وستين وستمائة ختن السلطان ولده بركة خان ، وأَمر الأُمراء والمقدّمين والجند والقضاة والفقهاء والفقراء والعَوَامّ أَن يُحضروا أَولادهم ليختنهم مع ولده ، فأُحضر إليه أَلفٌ وستمائة وخمسة وأَربعون صغيرا خارجاً عن أَولاد الأُمراء والمقدمين (١٢٧ ب) فأَمر لكل منهم بكسوة على قدره ، ومائة درهم ورأس غنم ، وختن الجميع مع ولده .

وفى سنة ثمانين وستمائة قصد أَبغا بنُ هولاكو ملكُ التترِ الديارَ المصريةَ ، ولقيه الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية ، فهزمه بعين جالوت أَشدَّ هزيمة ، وعاد إلى بلاده ، ورجع السلطان الملك الظاهر إلى الديار المصرية .

وفى سنة تسع وتسعين وستمائة قصد غازان [1] ملك التتر إلى الديار المصرية ولقيه السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون على حمص ، فانهزم المسلمون واستشهد منهم

---

(١) في تاريخ أبي الفداء حـ ٤ ص ٤٤ : قازان .

جماعة ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية ، ورجع غازان إلى بلاده .

وفى أيامه فى سنة أربع وستين وستمائة فتح السلطان الملك الظاهر بيبرس صاحبُ الديار المصرية يافا وأنطاكية وانتزعهما من الفرنج ، وأخذ بَغْراس وبَهَسْنَا ودربساك وغيرها وانتزعها من الأرمن .

وفى سنة سبع وستين أخذ مصياف [1] من أيدى الإسماعيلية .

وفى سنة تسع فتح حصن الأكراد وحصن عكّار [2] وتسلم قلعة العليقة وبلادها من الإسماعيلية .

وفى سنة إحدى وسبعين تسلم نوابه من الإسماعيلية ما بقى من قلاعهم وهى الكهف والمينقة والقدموس .

---

(١) لم يضبطه ياقوت وذكر أنه مصياب ويقال له مصياف وذكر في أبي الفداء حـ ٤ ص٦ مصياف .

(٢) لم يذكره ياقوت وفي تاريخ أبي الفداء حـ ٤ ص ٦ قال محيى الدين بن عبد الظاهر مهنيا بفتوح عكار :

يا مليك الأرض بشرا ... ك فقد نلت الإراده

إن عكار يقينا ... هو عكا وزياده

وفى سنة أَربــع وثمانين وستمائة فتــح المنصور قلاوون حصنَ المرقب . وفى سنة ست وثمانين فَتَحَ صهيونَ . وفِى سنة ثمان وثمانين فتح طرابلسَ ، بعد أَن مضى عليها مع الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأَشهر ، وأَعجز الملوك السالفة ، فتحها وهدمها بأَسرها بعد الفتــح . وفى سنـــة تسعين وستمائة فتــح ابنــه الأَشرف خليل عــكّا وهدمها ، وأَخلى الفرنجُ من الرعب أَكثرَ بلاد الساحل مثــل صيدا وبيروت وصور وانطرطوس [١] وتسلمها المسلمون ، وأَمر بهدمهــا فهــدمت ، وتــكاملت جميــع البلاد الساحلية للإِسلام . وفى سنة إِحدى وتسعين وستمائة فتح الأَشرف خليل أَيضا قلعة الروم وسماها قلعة المسلمين ، وكانت كرسىّ خليفة الأَرمن (١١٢٨) وفى سنة إِحدى وتسعين وستمائة راك السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بلاد الديار المصرية ، وهو الروك الحسامى ، إِلا أَنه لم يأْت رَوْكُه على النمط المعتبر فى التحرير ، وفى أَيامه استنقذ يعقوب بن عبد الحق المرينى سلطــان الغرب الأَقصى مدينـــة سَلاَ من يد الفرنج بعد أَن استولوا عليها ، وغزاهم بالأَندلس

(١) في الأصل : وأنطرسوس . والتصويب من أبي الفداء جـ ٤ ص ٢٦ ومعجم البلدان .

أَربع مرات حتى أذعن له شانجة بن أَدفونش ملكهم فى عقد الهدنة ، فعقدها له على شروط أَلزمه إياها ، وغزاهم ابنه أَبو يعقوب يوسف فى سلطنته بعد ذلك.

وفى أَيامه فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة سبع مائة أَلزم السلطان النصارى واليهود لبس عمائم مخالفة لأَلوان عمائم المسلمين ، فأَلبس النصارى عمائم زرقاء ، واليهود عمائم صفراء .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كان على مصر والشام الملك الظاهر بيبرس المقدم ذكره ، فبقى حتى توفى بدمشق فى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة بعد أَن فتح الكثير مما كان استعاده الفرنج من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أَيوب ، ففتح قيسارية وأَرسوف وصفد وطبريّه ويافا والشقيف وأَنطاكية وبَغْراس والقُصير وحصن الأَكراد والقُرين وحصن عكّار وصافيتا وبانياس وأَنطرطوس [1] واقتلع من الأَرمن دَرْبَسَاك ودَرْكوش [2] وملميش وكفردُبِّين ورَعْبان ومرزبان

(١) تقدم ما صححته وفى الأصل « أنطرسوس » وانظر النجوم الزاهرة ح ٧ ص ١٥٠ ، ١٥١ و ١٨٦

(٢) فى الأصل دبركوش والتصويب من النجوم الزاهرة ح ٧ ص ١٤٤ ، ١٨٦

وأَدنه والمَصِّيصة وبلاد النوبة . وملك بعده مصر والشام ابنه الملك السعيد بركة فى صفر من السنة المذكورة ، ثم خُلع وبُعث به إلى الكرك فى شهر ربيع الأَول سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وملك بعده أَخوه الملك العادل سَلَامُشُ ، فبقى أَربعة أَشهر ، ثم خُلع وملك بعده الملك المنصور قلاوون الصالحى الشهير بالأَلفى فى شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ولُقِّب الأَلفى (١٢٨ ب) لأَن آقسنقر الكاملى اشتراه بأَلْف دينار ، وبنى البيمارستان المنصورى بالقاهرة بين القصرين الذى ليس له نظير فى الدنيا ، وأَدرج فيه مدرسته المنصورية وقُبَّة مدفنه على جَنْبتَىِ الداخل إليه يمنة ويسرة ، وتُوفى بظاهر القاهرة المحروسة ، ودفن بقبَّته بالبيمارستان المقدم ذكره ، وملك بعده ابنه الملك الأَشرف خليل صبيحة وفاة أَبيه ، وأَخذ فى الغزو على عادة أَبيه ، وقُتل فى متصيَّده بالبحيرة فى العشر الأَوسط من المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وهو الذى عمّر المدرسة الأَشرفية بالقرب من المشهد النَّفِيسى ، وملك بعده الملك المعظم بَيْدَرَا ثم خلع من يومه ، وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون فى صفر

سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وهى سلطنته الأُولى ، ثم خلع بعد ذلك وسُيِّر به إلى الكرك ، فحُبس بها ، وملك بعده الملك العادل كَتْبُغا عقب خلعه ، وخُلع فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة . وملك بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين فى الخامس والعشرين من صفر المذكور ، وقتل فى الحادى والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، وبقى الأَمر شورى مدة يسيرة ، ثم حضر الملك الناصر محمد ابن قلاوون من الكرك ، وأُعيد إلى السلطنة فى حادى عشر ربيع الأَول سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وهى سلطنته الثانية ، وخُلع يوم السبت حادى عشر شوال من السنة المذكورة ، وملك بعده الملك المظفر بيبرس الجاشَنْكِير (١) فى الثالث والعشرين من شوال المذكور ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت مكة بيد أَبى نمى محمد بن أَبى سعد إلى أَن مات أَبو نمى ، فقام بإمرة مكة بعده ابناه رُميثة وحُميضة

---

(١) هذا هو الضبط الذى في صبح الأعشى حـ ٥ ص٤٦٠ في الالقاب حين عرف معنى الجاشنكير فقال : هو الذى يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم ونحوه وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاشن بجيم في أوله قريبة من اللفظ في الشين ومعناه الذوق ولذلك يقولون في الذى يذوق الطعام والشراب الشيشنى . والثانى كير وهو بمعنى المتعاطى لذلك . ويكون المعنى : الذى يذوق .

ونازعهما أَخواهما عُطيفة وأَبو الغيث فاعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل المملكة بالديار المصرية فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، فأَطلق عطيفة وأَبا الغيث وولاهما(١٢٩ ا) وأَمسك رميثة وحميضة وبعث بهما إلى مصر ، ثم رد السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما مع عسكر ، فاستقرَّا فى إمارتهما وبعثا إليه بعطيفة وأَبى الغيث ، وبقى التنازع بينهم ، وهم يتعاقبون إمرة مكة مرة بعد أُخرى ، وقُتِل أَبو الغيث فى بعض حروبهم ، وبقى الأَمر على ذلك إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت المدينة بيد جمَّاز بن شيحة ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان اليمن بيد المظفر يوسف [بن عمر] بن على بن رسول ، وبعث إلى الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية هدية جليلة ، على أَن يكتب له بالأَمان ، فأُجيب إلى ذلك ، وقُرِّرَتْ عليه إتاوة لملوك مصر ، وأُعيدت رسله إليه فى سنة ثمانين وستمائة ، ومات بحصن تَعزّ سنة أَربع وتسعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الملك الأَشرف مُمَهِّد الدين

عمر بن المظفر يوسف ، وبقى حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة ، وملك بعده أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر يوسف ، فاستمر على مواصلة ملوك مصر بالضريبة المقررة عليه والهدايا والتحف ، وتمذهب بمذهب الشافعىّ رضى الله عنه ، واشتغل بالعلوم واعتنى بجمع الكتب ، حتى يقال : إن خزانته اشتملت على مائة ألف مجلد ، وكان فيه بر للعلماء ؛ وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت مملكة إيران بيد هولاكو بن طولى بن جنكزخان ملك التتر ، فبقى حتى هلك فى سنة ثنتين وستين وستمائة لعشر سنين من ولايته ، وملك بعده ابنه أبغا ، وهو الذى قصد الديار المصرية ، فلقيه الظاهر بيبرس وهزمه بعين جالوت فى سنة ثمانين وستمائة ، وهلك سنة إحدى وثمانين وستمائة . وملك بعده ابنه تكدار ، فأسلم وتسمى أحمد ، وتلقب أحمد سلطان ، وخاطب ملوك عصره ، وهو أول من أسلم (١٢٩ ب) من بنى هولاكو ، ثم قتله عسكره من المغل لما نقموا عليه من إسلامه فى سنة

اثنتين وثمانين وستمائة ، وملك بعده أَخوه أرغون [1] بن أبغا ، فعدل عن دين الإِسلام إلى دين البراهمة من عبادة الأَصنام وانتحال السحر ، وهلك سنة تسعين وستمائة ، وملك بعده أَخوه كَيْخَتُو بن أبغا ، فساءَت سيرته وأَفحش فى المنكرات ، فقتله غلمانه فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لثلاث سنين وأَشهر من ولايته ، وملك بعده ابن عمه [2] بَيْدُو بن طرخاى بن هولاكو ، ثم قُتل سنة خمس وتسعين وستمائة لثمانية أَشهر من ولايته ، وملك بعده غازان ، والعامة تقول قازان بالقاف ابن أَرغون بن أَبغا بن هولاكو ، وهو الذى هزم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومات سنة تسع وتسعين وستمائة ، وملك بعده أَخوه خدابندا ، والعامة تقول خَرْبَنْدَا بن أَرغون [بن أبغا] بن هولاكو فافتتح أَمره بالدخول فى الإِسلام ، وتسمى بمحمد ، وتلقّب غياث الدين ، وأَقام دين الإِسلام وعظَّم الخلفاء وكتب أَسماءَهم فى سِكَّته على الدراهم والدنانير ، ونقش عليها اسم الأَئمة الاثنى عشر ، على طريق الرافضة ، وحذف اسم الشيخين من الخطبة ، وبنى المدينة المسماة بالسلطانية بأَذربيجان ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

(١) في الأصل يكتب أرغو وكتبنا الاسم عن النجوم الزاهرة انظر حـ ٧ ص ٣٦٢

(٢) في النجوم الزاهرة حـ ٨ ص ٥٣ ابن أخيه بيدو .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بنى جنكزخان غير بنى هولاكو .

وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن دوجى خان بن جنكزخان ، فبنى مدينة السراى وجعلها قاعدة ملكه ، وبقى حتى مات سنة خمس وستين وستمائة ، وملك بعده مَنْكُوتَمُر بن طغان خان بن باطوخان بن جنكزخان ، وزحف مع أبغا بن هولاكو على الشام فى سنة ثمانين وستمائة ، وهزمهم المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية على حمص على ما تقدم . ومات منكوتمر سنة إحدى وثمانين وستمائة (١٣٠ ا) وملك بعده ابنه تدان منكو بن منكوتمر ، ثم خرج عن الملك سنة ست وثمانين وستمائة ، وانقطع إلى صحبة المشايخ والفقراء ، وملك مكانه أخوه تلابغا بن منكوتمر ، وبقى حتى قُتل سنة تسعين وستمائة ، وملك بعده أخوه طقطاى خان [بن] منكوتمر ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن أبى زكريا

من الحفصيين من الموحدين ، فتوفى سنة خمس وسبعين [1] وستمائة ، وولى بعده ابنه الواثق بالله يحيي بن المستنصر محمد ، ليلة موت أَبيه ، فأَحسن السيرة ، وبسط العدل والعطاء ، وبعث إِليه أَهل بِجَاية بالبيعة ، ثم انتزع منه بجاية عمه أَبو إِسحاق إِبراهيم بن يحيي سنة سبع وسبعين وسبعمائـــة ، فانخلع الواثق عن الإِمرة لعمه أَبى إِسحاق المذكور فى أَول ربيـــع الأَول سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وسار أَبو إِسحاق إِلى تونس فدخلها فى ربيـــع الآخر من السنة المذكورة واستولى على المملـــكة جميعهـــا ، واعتقل الواثق المخلوع وبنيه ، ثم دس عليهم من ذبحهم ليـــلا فى صفر سنة تسـع [2] وسبعين وستمائة ، وخرج على السلطان أَبى إِسحاق أَحمدُ بنُ رَوْق بن أَبى عمارة ، واستولى على تونس بعد خروج أَبى إِسحاق منهـــا ، وانخلع أَبو إِسحاق من ملك بجاية لابنه أَبى فارس عبـــد العزيز ، فى آخر ذى القعدة [3] من السنة المذكورة ، ثم خرج على الأَمير أَبى فارسٍ الدعىُّ بنُ يحيي المخلوع ، فقتله فى سنة اثنتين

(١) في الأصل : سنة خمس وستين والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٧ و النجوم الزاهرة حـ ٧ ص٣٢

(٢) في الأصل : سنة سبع .

(٣) في الأصل : ذى قعدة .

وثمانين وستمائة ، واستولى على بجاية ، ودخل أهلها فى طاعته ، ثم خرج على الأمير الدعيّ أبو حفص عمرُ بن يحيي بن عبد الواحد بن أبى حفص ، فانهزم منه الدعيّ ، واستولى أبو حفص على تونس وسائر المملكة وتلقب بالمنتصر (١) ، ثم ظفر بالدعى بعد ذلك فقتله ، وبايعه أهل تلمسان وطرابلس وما بينهما ، ثم خرج أبو زكريا يحيي بن السلطان أبى إسحاق على بِجَاية وقُسَنْطِينة ، فملكهما واقتطعهما عن مملكة إفريقية ، وبقى السلطان (١٣٠ ب) أبو حفص على إفريقية حتى مات فى آخر ذى الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة ، وكان الواثق بن المستنصر المقدم ذكره عند موته ترك جارية حاملا ، فوضعت ولداً ، فسماه الشيخ محمدٌ المَرْجانىُّ محمدا ، وأطعم الفقراء يومئذ عَصيدة ، فلُقّب الولد بأبى عصيدة ، فلما مات السلطان أبو حفص استقر فى الملك بعده أبو عصيدة المذكور .

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمراسن بن زيان من جهة الحفصيين أصحاب إفريقية ، فتوفى فى ذىالقعدة

---

(١) في صبح الأعشى : المستنصر .

سنة إحدى وثمانين وستمائة ، وولى بعده ابنه عثمان بن يغمراسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان الغرب الأقصى بيد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، فبقى حتى مات فى آخر المحرم سنة خمس وثمانين وستمائة ، وملك بعده ابنه ولى عهده أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ، فجرى على سنن أبيه فى العدل ، وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد أبى دبوس محمد بن يوسف من بنى الأحمر ، وبقى حتى مات سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وملك بعده ابنه الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ، ومات فى سنة إحدى وسبع مائة ، وهى السنة التى مات فيها الإمام الحاكم المذكور .

الثالث من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية
المستكفى بالله

وهو أبو الربيع سليمان [1] بن الحاكم بأمر الله أحمد المقدم ذكره ، وهذا اللقب منقول إليه عن المستكفى بالله

(١) ولد سنة ٦٨٤ هـ انظر تاريخ الخلفاء ص ١٩٤

أَبى القاسم عبد الله الثالث والعشرين من خلفاء بنى العباس بالعراق ، بويــع له بالخلافة يوم موت أَبيه فى شهور سنة إحدى وسبعمائة ، وبقى حتى توفى بمدينة قوص فى العشر الأُخر من شوال سنة أَربعين وسبعمائة ، فكانت خلافته نحو تســع وثلاثين سنة [1] (١٣١ ا) وكان له من الأَولاد الحاكم بأَمر الله الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

لما بويــع بالخلافة استقر على ما كان عليه أَبوه الحاكم من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان ، إلى أَن أُعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشَنْــكِير فى شهــور سنة تســع وسبعمائة ، فحصل عند السلطان منــه وحشة ، فجهزه إلى مدينة قوص بصعيد مصر الأَعلى ليقيم بها ، فبقى فيها بقية مدة خلافته ، وعهد بالخلافة إلى ابنه الحــاكم بأَمر الله أَحمد بن أَبى الربيــع سليمان ، وثبت على الحاكم بقوص بعد أَن أَشهد عليه فيه أَربعين شاهدا .

---

(١) فى النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٣٢٢ : تسع وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما .

وفى أيامه [1] فى سنة تسع وسبعين توقف النيل وكسر الخليج قبل الوفاء ، وانتهت الزيادة فى السابع والعشرين من توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبع عشرة أصبعا .

وفى سنة إحدى وسبعمائة خُطب للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ببلاد إفريقية وحاضرة تونس ، بواسطة أَن صاحبها أَبا يحيي وفَد على السلطان ، فقلّده بلاد طرابلس الغرب ، وأَعطاه الأَعلام والعصائب ، فوعده أَن مهما فتحه من بلاد الغرب خطب له فيه .

وفى أَيامه عُمل الروك الناصرى فى سلطنة (١٢١ ب) الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ست عشرة وسبعمائة ، واستعيدت الإقطاعات من الأُمراء والأَجناد ، وقيست بالوجهين القبلى والبحرى ، ثم فُرّقت الإقطاعات على الأُمراء والجند ، وكان الموجب لعمله أَن الملك المنصور

---

(١) في الأصل نص طويل مضروب عليه سبق أن أثبته المؤلف في خلافة سابقه وهو :
في سنة ستين وستمائة وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى والبلاد الشامية دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزله شديدة تساقطت منها الأبنية وتشققت الجبال وتقطعت الصخور وتفجرت الأرض عيونا وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى وظهر أمرها في النيل والبحر الملح وطما البحر بسببها حتى أغرق قماش القصارين وتكسرت القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع ووقع جانب عظيم من منار الاسكندرية .

حسام الدين لاجين كان فى سلطنته ، وقد عمـــل الروك الحسامى ، فجرى على غير أُنموذج محرر ، فاحتيـــج إلى إعادته وتحريره ، فعمل السلطان الملك الناصر هذا الروك ، فجـــاء فى غاية الإتقان والتحرير .

وفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فتـــح الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية آياس وبلادها ، وانتزعها من الأَرمن مع كثير من بلادهم .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت الديار المصرية والبلاد الشامية فى أَيامه بيد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشَنْكير ، وهو الذى عمـــر الخانقاه الركنية بيبرس داخل باب النصر من القاهرة مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية ، وبقى حتى خُلع فى الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة ، وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون فى مستهل شوال من السنة المذكورة ، وهى سلطنته الثالثة ، وفيها طالت مدته وقوى ملـــكه وأَكمل المدرسة الناصرية بين القصرين ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستـــكفى .

وكانت مــكة بيد رُميثة وحُميضة ابنى أَبي نميّ ، فوقع التنازع بينهما ، وسار رُميثة إلى الأَبواب السلطانية بالديار المصرية فى سنة خمس عشرة وسبعمائة مستنجدا بسلطانها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فأَيده السلطان بعساكر وجّه بها إلى مــكة ، فهرب حُميضة ، ثم رجع إلى مكة بعــد ذلك واصطلح هو وأَخوه ، ثم حالف عُطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ووصل إلى السلطان الملك الناصر ، فأَيده بالعساكر ، فملك مكة وقبض على رُميثة (١١٣٢) وسجن بمصر ، ثم أُطلق سنة عشرين وسبــع مائة ، أَقام بمصر ، وبقى حُميضة مُشرَّدا إلى أَن أَستأْمن السلطــــان فآمنه ، ثم وثب على حُميضة مماليكُ كانوا معه فقتلوه ، ثم أُشْرِك فى إمارة مــكة بين رميثة وأَخيه عطيفة ، ثم مات عطيفة واستقل رميثة بإمارة مــكة إلى أَن كبر وهرم ، وكان له ولدان هما ثقبة وعجلان ، فاقتسما معه إمارة مكة برضاه ، ثم أَراد الرجوع عن ذلك فلم يوافقاه عليه ، فلما مات رُميثة نازع ولداه المذكوران ، وخرج ثقبة من مكة وبقى عجلان بها ، ثم غلبه عليها ثقبة وبقى إلى ما بعد خلافة المستــكفى .

وكانت المدينة بيد جمّاز بن شيحة ، وبقى حتى عمى ومات فى سنة أربع أو خمس وسبع مائة ، وولى بعده ابنه منصور بن جمّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جماز على الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية ، فأشرك بينهما فى الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة واستخلف ابنه كبيشة [1] ، فهجم عليه مُقبل وملكها من يده ، ولحق كبيشة بأحياء العرب ، فاستجاش وهجم المدينة على عمه مقبل ، فقتله سنة تسع وسبع مائة ورجع منصور إلى ، إمارته ، وبقى ماجد بن مقبل [2] يستجيش العرب على عمه منصور بالمدينة ، ويخالفه إليها كلما خرج منها ، ثم زحف ماجد سنة سبع عشرة وسبع مائة وملكها من يد عمه منصور ، فاستصرخ منصور بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فأنجده بالعساكر ، فحاصروا ماجدَ بن مقبل بالمدينة ، وفرّ عنها وملكها منصور ، ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله واستقر بأخيه وُدَىٍّ فى إمارتها ، ثم أُعيد منصور إلى إمارتها ومات [3] سنة

(١) في النجوم الزاهرة ﺣ ٩ ص ٢٦٤ ، ٢٧٣ كبيش .

(٢) في الأصل : ماجد بن منصور.

(٣) في النجوم الزاهرة ﺣ ٩ ص ٢٦٤ أن حديثة ابن أخيه قتله في حرب كانت بينهما .

خمس وعشرين وسبع مائة ، فولى ابنه كبيشة بن منصور مكانه ، فقتله عسكر ابن عمه وُدَىّ ، وعاد وُدَىّ إلى الإمرة ، ثم توفى بعد ذلك ، فولى طفيل بن منصور بن جماز ،وتفرد بإمرتها ، وبقى إلى ما بعد (١٣٢ب) خلافة المستكفى .

وكان اليمن بيد الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف من بنى رسول ، فبقى حتى توفى سنة إحدى وعشرين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين علىّ ، فأَساء السيرة ، فقُبض عليه وخُلع وحُبس سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة ، وملك بعده عمه الملك المنصور أَيوب بن المظفّر يوسف ، ثم قُتل وأُعيد الملك المجاهد ، وعَصَى عليه الظاهرُ أسد الدين عبد الله بن المنصور أَيوب ، بِحِصْن الدُّمْلُوَة ، واستقلّ به ، ثم قبض عليه المجاهد بعد صلح جرى بينهما وقتله ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت مملكة إيران بيد خدابند بن أَرغون من بنى هولاكو ، فبقى حتى مات سنة ست عشرة وسبع مائة ، وملك بعده ابنه أَبو سعيد [1] وهو ابن ثلاث عشرة سنة بمعاضدة

(١) أبو سعيد هو بو سعيد . وهو ماجرى في النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٥٥ و٣٠٩

جُوبان نائب أَبيه ، وقام جُوبان بتدبير دولته ، ثم عظم شأْن أَبي سعيد وقوى سلطانه ، وانتظم الودّ بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة ، وترددت الرسل والمكاتبات بينهما ، وقتل أَبو سعيدِ جوبانَ نائبه سنة ست وعشرين وسبع مائة ، ومات أَبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبع مائة ، ودُفن بمدينة السُّلْطانية ، ولم يُعْقِب ، وانقرض بموته ملك بنى هولاكو . واختلف أَهل دولته ، وافترقت الأَعمال التى كانت بيده ، وصارت طوائف ، كما كانت ملوك طوائف الفرس . ولما مات أَبو سعيد نصب أَهل الدولة موسى خان ، من أَسباطهم ، على بغداد وتَوْرِيز [1] وأَعمالهما ، وقام بتدبير دولته على باشا من أُمراء دولتهم ، وكان الشيخ حسن بن حسين بن أَقبغا بن ايلكان [2] المعروف بالشيخ حسن الكبير وهو ابن عم السلطان أَبي سعيد معتقلا ببلاد الروم ، فأُخرج من السجن بعد موت أَبي سعيد ،

(١) توريز = تبريز، انظر النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٩٥ وصبح الأعشى حـ ٤ ص٣٥٧ وأخذنا ضبطها من صبح الأعشى حـ ٧ ص ٢٥٧

(٢) لعلها : بن هولاكو وفي صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٢٤ وحـ ٧ ص ٢٥٧ أن من ملك بعد أبي سعيد هم موسى خان ثم محمد بن طشتمر ثم الشيخ حسن الكبير .

ووصل بغداد (١٣٣ ا) وخلع موسى خان ، ونصب مكانه محمد بن عنبرجى من عقب هولاكو ، واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز ، وسار إليه حسن بن دمرداش من بلاد الروم فغلبه على توريز ، وقتل محمد بن عنبرجى ، ولحق الشيخ حسن ببغداد ، واستقر حسن بن دمرداش بتوريز ونَصبَ للملك بها صاتبيك أُختَ السلطان أَبى سعيد على عادة العجم فى تمليك بنات الملوك ، وزوجَها لسليمان خان من أَسباط هولاكو ، واستولى إبراهيم شاه بن بارنباى ابن سنوتاى على قطعة من ديار بكر ، ثم استولى أَولاد جوبان على مملكة أذربيجان وهى بلاد توريز والسلطانية ، واستولى القان طغيمتر من بنى جنكزخان على خراسان وأَعمالها ، واستولى أَرتنا على بلاد الروم ، وبقى الشيخ حسن إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت مملكة الشمال التى قاعدتها مدينة السراى بيد طقطاى خان بن منكوتمر خان ، فبقى حتى مات سنة اثنتى عشرة وسبع مائة ، وملك بعده ابن أَخيه أَزبك بن طغزخان ، فأَسلم واتخذ مسجدا للصلاة ، وخطب إليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار

المصرية بنتا من أقاربه ، فزوجه إياها ، وبعث بها إليه إلى الديار المصرية ، ووصلت إلى دمياط وحُملت فى النيل إلى ساحل بولاق ، فحملت على عجلة من عجلات بلاد الترك إلى القلعة ، وعقد عليها الناصر ودخل عليها ، واتصلت المودة بينه وبين الملك الناصر ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت تونس وما معها من إفريقية بيد أبى عصيدة محمد . وبجاية وقُسَنْطينة [1] من الغرب الأوسط بيد أبى البقاء خالد بن أبى زكريا بن أبى إسحاق ، فمات أبو عصيدة فى ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة ، ولم يخلف ابنا ، فبايع أهل تونس من بعده أبا بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن يحيى بن (١٣٣ ب) عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص ، فزحف أبو البقاء خالد صاحب بجاية على أبى بكر بن عبد الرحمن صاحب تونس فقبض عليه واعتقله ، ثم قتله بعد ذلك ، فعُرف بأبى بكر الشهيد ، واستقل السلطان أبو البقاء خالد بملك تونس وبجاية وما معهما ، وتلقب الناصر لدين الله ، وكان

(١) في الأصل : « وسرقسط » والتصويب من صبح الأعشى ج ٥ ص ١٢٩ هذا وسرقسطة بالهاء في الأندلس .

أَبو يحيي زكريا بن أَحمد بن محمد اللحياني بن عبد الواحد ابن الشيخ أَبي حفص بطرابلس ، فبايعه أَهلها وزحف على السلطان أَبي البقاءِ بتونس . فخاف أَبو البقاء فخلع نفسه ، فقبض عليه أَبو يحيي واعتقله واستبد بمملكة تونس وبجاية فى رجب سنة إِحدى عشرة وسبع مائة ، وبويع بها البيعة العامة ، ثم اضطرب أَمره فاستخلف علياً على تونس وخرج منها إِلى قابِس ، فبايع أَهل تونس محمدا المعروف بأَبي حربة [1] ابن السلطان أَبي يحيي زكريا المقدم ذكره ، فى سنة سبع عشرة وسبع مائة ، وكان قد استولى على بجاية المتوكل على الله أَبو بكر بن يحيي بن إِبراهيم ابن يحيي بن عبد الواحد بن الشيخ أَبي حفص ، فقصد تونس وملكها من السلطان محمد أَبي حربة ، ولحق السلطان أَبو يحيي اللحياني بمصر أَيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأَحسن نُزُلَه ، وبقى عنده حتى مات ، ولحق أَبو حربة بتلمسان فأَقام بها حتى مات ، واستقل السلطان أَبو بكر بتونس وبجاية وأَعمالهما ، إِلى أَن غلبه على تونس إِبراهيم بن أَبي بكر الشهيد ، واستولى عليها فى رجب سنة خمس وعشرين وسبع مائة، ثم غلبه عليها السلطان

(١) في صبح الأعشى حـ ٧ ص ١٣٠ : أبو ضربة .

أبو بكر وانتزعها من يده فى شوال من السنة المذكورة ، واستقر بيده ملك تونس وبجاية ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت تِلِمْسان والغرب الأَوسط بيد عثمان بن يغمراسن من بنى عبد الواد ، فمات فى سنة ثلاث وسبع مائة ، وولى بعده ابنه أَبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ، وغلب على تلمسان يوسف بن عبد الحق واستولى عليها وأَقر عليها أَبا زيان المذكور ، فبقى حتى مات (١٣٤ ا) فى شوال سنة سبع وسبع مائة وولى بعده أَخوه أَبو حَمُّو موسى بن عثمان[1] ابن يغمراسن ، ثم قتله وولى بعده ابنه أَبو تاشفين عبد الرحمن ابن أَبى حمو ، ثم غلبه عليها السلطان أَبو الحسن المرينى وقتله فى رمضان سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ، واستضافها إلى مملكة فاس وولى عليها ابنه أَبا عنان[2] فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكان الغرب الأَقصى بيد أَبى يعقوب يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق ، فبقى حتى طعنه خَصِىٌّ من بعض خدمه وهو نائم على فراشه ، فمات سابع ذى القعدة سنة

(١) في الأصل « أبوحمد بن موسى بن يغمراسن » والتصويب من معجم الأنساب .

(٢) في الأصل : أبا عياد .

ست وسبــع مائة ، وملك بعده ابنه أَبو ثابت عامر بن أَبى يعقوب يوسف ، فبقى حتى مات بطنجــة من أَقصى الغرب فى ثامن صفر سنة سبــع وسبع مائة ، وملك بعــده أَخوه أَبو الربيــع بن أَبى يعقوب يوسف ، فسار بسيرة آبائه فى العــدل ، وبقى بمدينة تَازَا فى سلْخ جُمادى الآخرة سنة عشر وسبــع مائة ، وملك بعده أَخوه أَبو سعيد عثمان ابن أَبى يعقوب يوسف ، وملك تِلِمْسان من الغرب الأَوسط من يد موسى بن عثمان بن يغمراسن سنة أَربع عشرة وسبع مائة ، وبقى حتى توفى فى سنة إِحدى وثلاثين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه ولىُّ عهده أَبو الحسن على بن عثمان ، وسار إِلى تِلِمْســان فملكهــا مــن أَبى تاشفين سلطــان بنى عبد الواد بها فى سنة سبع وثلاثين وسبع مائة ، وبقى إِلى ما بعد خلافة المستكفى .

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأَندلس بيد الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن الأَحمر ، فمات فى سنة إِحدى وسبع مائة ، على ما تقدم ، وملك بعده ابنه محمد المخلوع بن محمد الفقيه ، ثم غلب عليه أَخوه أَبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه ، وقبض عليه واعتقله ،

واستولى على مملكته ، فأَساءَ السيرة فى الرعية والجند ، فقبضوا عليه ، وملك مكانه أَبو الوليد إِسماعيل بن أَبى سعيد فرج بن إِسماعيل بن يوسف بن نصر ، وبقى إِلى أَن قتله بعض أَقاربه (١٣٤ ب) فى سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه محمد بن أَبى الوليد إِسماعيل ، فبقى حتّى قتل غدرًا بِغَرناطة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه أَبو الحجاج يوسف بن أَبى الوليد إِسماعيل ، وبقى إِلى ما بعد خلافة المستكفى .

الرابع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الحاكم بأَمر الله

وهو أَبو العباس أَحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان المقدّم ذكره ، ولقبه منقول إِليه من لقب جده الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أَحمد ثانى خلفائهم بمصر ، وقد تقدم أَن لقب الأَول منقول من لقب الحاكم بأَمر الله أَبى علىٍّ منصور الفاطمى ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، ويقال لأَبى العباس هذا : الحاكم الثانى ، ولى الخلافة بالعهد من أَبيه المستكفى على ما تقدم أَنه عهد

إليه بها بمدينـــة قوص ، وأشهد عليه بذلك أربعين شاهدا ، ودُعِي له على المنابر بعد عقد خلافته فى العشر الأخير من شوال سنة أربعين وسبـــع مائة ، وبقى حتى خلعه الناصر محمد بن قلاوون فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبـــع مائة ، فكانت خلافته نحو سنة واحدة وشهرين ، ولم أقف على ذكر عقب له .

الحوادث والماجريات فى خلافته

من أعظمها وقعا فى النفوس موت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، فإنه كان ملــكا عظيما مهيبا عارفا بتدبير الملك ، ذا معرفة وافرة وكرم زايد ، فتـــح الفتوحات الجليلة ، وعمر العمائر السَّنِية ، منها جامع قلعة الجبل الموجود بها الآن ، جَدَّدَه فى سنة سبـــع عشرة وسبع مائة ، وعمر القصور العظيمة بمنزلة سِرْيَاقُوس فى سنة خمس وعشرين وسبـــع مائة ، وبالغ فى شراء الخيل حتى اشترى منها دفعة واحدة بمائتى ألف درهم (١٣٥ ا) وبالغ فى شراءِ المماليك وأثمانهم حتى اشترى كلَّ مملوك بمائة ألف درهم إلى ما دون ذلك ، وخلّف خمسة عشر ولداً ذكرا ، تسلطن منهم ثمانية بعده .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر فى أَيامه بيد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الثالثة ، وتوفى سنة إِحدى وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور أَبو بكر بن الناصر محمد بعد موت أَبيه ، وبقى إِلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت مكة بيد ثقبة[1] بن رميثة ، فبقى إِلى ما بعد خلافة الحاكم هذا .

وكانت المدينة بيد طُفيل بن منصور بن جماز ، فبقى إِلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين علىّ ، فبقى إِلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت بغداد وما معها بيد الشيخ حسن الكبير ، فبقى إِلى ما بعد خلافة الحاكم . وكان ما وراء النَّهر وخراسان بيد بنى جنكزخان من غير بنى هولاكو .

وكانت مملكة الشمال بيد أَزبك خان . فبقى إِلى ما بعد خلافة الحاكم .

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٧٤ « بقية » . هذا والأصل يكتبه دائما ثقبة .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقيـة وبجاية بيد السلطان أَبي بـكر ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت تلمسان بيد أَبي عنان بن السلطان أَبي الحسن المَرِينى ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكان الغرب الأَقصى بيد السلطان أَبي الحسن على بن عثمان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

وكانت غرناطة من الأَندلس بيد أَبي الحجاج يوسف بن أَبي الوليد من بنى الأَحمر ، فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم .

الخامس من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الواثق بالله (١)

وهو أَبو إسحاق إبراهيم بن الحاكم بأَمر الله أَبي العباس أَحمد بن الحسين (٢) المقدم ذكره ، وهذا اللقب منقول عن الواثق بالله أَبي جعفر هـارون (١٣٥ ب) تاسع خلفـاء بنى العباس بالعراق ، بويـع له بالخلافة بعد خلع أَخيه

(١) رتبه في تاريخ الخلفاء ص ١٩٦ قبل الحاكم بأمر الله ص ١٩٧

(٢) انظر صفحة ١١٦ وهامشها ، وانظر هامش الصفحة التالية .

الحاكم[1] فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأَربعين وسبع مائة ، وقام ببيعته الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، ولم يزل يخطب له على المنابر وراتِبُ الخِلافةِ يُحْمل إليه إلى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأَربعين وسبع مائة ، ثم أُعيدت الخطبة للحاكم بأَمر الله أَحمد بن المستكفى سليمان المقدّم ذكره ، وفُوِّض إليه نظر المشهد النَّفيسى ، فاستقرَّ بيد الخلفاء إلى الآن ، وبقى حتى تُوفِّى فى رابع شعبان سنة ثمان وأَربعين وسبع مائة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

قد تقدم أَن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان كان قد عهد إلى ابنه الحاكم بأَمر الله أَبى العباس أَحمد بأَربعين شاهدا بمدينة قوص ، وثبت ذلك على الحاكم بها ، فلما مات المستكفى قَصدَ الملكُ الناصر محمد بن قلاوون سلطانُ الديارُ المصرية يومئذ أَن يخطب بمملكة الديار المصرية للواثق إبراهيم المقدم ذكره ، فلم يتمَّ له ذلك ، لِما تقدم من العهد إلى الحاكم المذكور ، فبقى الأَمر على ذلك إلى أَن

(١) في تاريخ الخلفاء أنه ابراهيم بن المستمسك بالله محمد بن الحاكم فالحاكم الثاني ليس أخاه .

تُوفِّى الملك الناصر فى سنة إحدى وأَربعين وسبع مائة ، فأُعيد الحاكم المذكور إلى خلافته .

وفى أَيامه فى سنة اثنتين وأَربعين وسبع مائة كان القبض على الأَمير قُوصون أَتابك العساكر ، بعد أَن كان عِنان السلطنة بيده فى أَيام الملك الأَشرف كجك بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المقدم ذكره لصغره .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر والشام بيد الملك المنصور أَبى بكر بن الناصر محمد بن قلاوون ، فبقى حتى خلع فى تاسع عشر صفر سنة اثنتين وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه الملك الأَشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع (١٣٦ ا) أَخيه المنصور ، وخُلِع فى التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وملك بعده أَخوه الملك الناصر أَحمد بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أَن أُحضر من الكَرَك ، واستمر فى السلطنة حتى خلعَ نفسَه فى أَوائل المحرم سنة ثلاث وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن

قلاوون فى العشرين من المحرم المذكور ، وبقى حتى تُوفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ، يوم موت أَخيه الصالح إسماعيل ، وبقى حتى خُلع فى ثمانى جمادى الآخرة سنة سبع وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه الملك المظفرّ حاجِّى بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أَخيه الكامل شعبان ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق و [عودة] الحاكم بعده .

وكانت مكة بيد ثقبة بن رميثة ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق والحاكم بعده .

[وكانت المدينة بيد طفيل بن منصور ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده] .

وكانت اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين على بن المؤَيَّد هزبر الدين داود فى سلطنته الثانية ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده .

وكانت بغداد وما معها من مملكة أيران بيد الشيخ

حسن الكبير ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم بعده .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد جفطاى من بنى جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال بيد أَزبك ، فتوفى سنة اثنتين وأَربعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنهُ جانى بك بن أَزبك ، فقصد توريز وملكها ، ثم كرّ راجعاً فمات فى طريقه لثلاث سنين من ملكه ، وأُقيم ابنه بردى بك بن جانى بك مقامه فى الملك ، وملك بعده ابنه طقطمش [1] وهو صغير ، فخرج عليه ماماى أَحد أُمراء دولته بالقرم ، ونَصَّب من ولد أَزبك صغيرا اسمه عبد الله بن أَزبك ، وزحف إلى مدينة السراى قاعدة ملكهم ، فهرب منها طقطمش ، واستولى ماماى على السراى (١٣٦ ب) وأَجلس عبد الله بن أَزبك على كرسى الملك بها ، فنازعه أَمير من أُمراء الدولة ، ونصَّب من بنى القان آخر اسمه طقتمر [2] ، فغلبه

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٧٣ : طقتمش .

(٢) في صبح الأعشى حـ٤ ص٤٧٤ قطلقتمر

ماماى وقتلهما ، واستولى على المملـكة ، وبقى فيما أظن إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية ، وبجاية من المغرب الأوسط بيد السلطان المتوكل على الله أبي يحيي أبي بكر إبراهيم [1] فتوفى فى رجب سنة سبع وأربعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه أبو حفص بن أبي بكر بعهد من أبيه ، فبقى حتى قصده السلطان أبو الحسن المرينى فى سنة ثمان وأربعين وسبع مائة ، وملك بجاية وقُسَنْطينة ، وقُتِل أبو حفص بن أبي بكر فى حربه بتونس ، واستضافها إلى مملـكته بالغرب الأقصى وكمُل له بذلك مُلك جميع المغرب ، واستخلف فى المملـكة ابنه أبا الفضل بن أبي الحسن ، وسار إلى المغرب فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

وكانت تلمسان بيد السلطان أبي الحسن المرينى ونائبه

(١) هذا كلام مضطرب . والصواب كما يؤخذ من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣٠ : بيد السلطان أبي بكر إلى أن غلبه على تونس إبراهيم بن أبي بكر الشهيد . ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وانتزعها من يده واستقر في يده ملك افريقية وبجاية إلى أن مات فجأة في رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة .

عليها ابنه أبو عنان بن أبي الحسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعقد خلافة الحاكم .

وكان على الغرب الأقصى السلطان أبو الحسن المرينى فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

وكانت غرناطة من الأندلس بيد يوسف بن أبي الوليد من بنى الأحمر ، وفى خلال أيامه تغلب طاغية النصارى على الجزيرة الخضراء ، وانتزعها من يد المسلمين صلحا فى سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة ، بعد حروب عظيمة ، وبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم .

السادس من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المعتضد بالله

وهو أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبي الربيع سليمان المقدم ذكره ، وهذا اللقب منقول إليه عن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة (١٣٧ ا) سابع عشر خلفائهم بالعراق ، وبويع له بالخلافة بعد موت أخيه الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفى بالله أبي

الربيــع سليمان ، فى سابــع عشر شعبان المــكرم سنــة ثمان وأربعين [1] وسبعمائة ، وبقى حتى توفى فى عاشر جُمادى الأُولى سنة ثلاث وستين [2] وسبعمائة ، فكانت خلافته أربــع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وكان له من الأولاد المتوكل على الله محمد الآتى ذكره .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة تســع وأربعين وسبعمائة كانت فَرْقَةُ النيــل التى بين مصر والروضة قد نَشفَت وصار النيل بجملتــه بين الروضة والجيزة ، فأُقيم الأمير منجك لإصلاح ذلك حتى تعود الفرقة التى بين مصر والروضة على عادتها فى استمرار المــاء فيها شتاءً وصيفاً ، فاشترى مراكب وملأها بالحجر والطين وغرّقها فى بحر الجيزة ، فلم يظهر لذلك أثر ، وبقى الأمر على ما كان عليه ، ويأبى الله إلاّ ما أراد .

وفى سنــة تســع وأربعين وسبعمائة كان الطاعون العظيم الذىعم أقطار الأرض ، وخرب أكثر البلاد وخلت فيه من

(١) فى تاريخ الخلفاء ص٢٠١ فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وكذلك فى حياة الحيوان ص٨٤ .

(٢) فى الأصل : وسبعين والتصويب من ولاية الخليفة بعده ومن تاريخ الخلفاء ص ٢٠١ وحياة الحيوان ص ٨٤

الناس ، يقال : إنه كان يخرج فيه فى كل يوم من القاهرة أكثر من عشرين ألف جنازة ، ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم ، وأقام دائراً فى البلاد مدة سنتين ، وعم جميع الأقطار إلا المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فإنه لم يدخلها فإنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يدخلها طاعون ، وعُدِم بسببه أكثر البضائع لقلّة الصناع والتجار ، وبلغ فيه إذ ذاك الرَّاوِيةُ الماء بالقاهرة عشرة دراهم ، وأُجرة طحن القمح كل إردب خمسة عشر درهما ، وغلا الشعير مع الحجاج حتى بلغ الشعير كلُّ وَيْبة ما يزيد على مائة درهم .

وفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قبض السلطان الملك الصالحُ صالحٌ على الصاحبِ علمِ الدين بن زنبور ، وهو يومئذ وزير وناظر الجيوش وناظر الخواصّ ، وضُرب وصُودر ، وأُخذ منه أموال (١٣٧ ب) جَمَّة ، يقال : إنه وُجد له من ثياب بدنه التى يلبسها ألفان وستمائة قطعة ، منها مفرد [1] ألفا قطعة ، وبوجهين ستمائة قطعة ، ووجد له حُنينيات خمسة آلاف قطعة ، وأوانى ذهب وفضة

(١) في الأصل « مفرى » ولعلها أيضا مفردى .

ستون قنطارا ، وجوهر قنطاران وأَربعون رطلا ، وحب لؤلؤ أَردبان بالكيل المصرى ، وذهب مسكوك ستمائة أَلف دينار ، وفضة نقش ثلاثون أَردبا ، وحوائص ذهب ستة آلاف حياصة ، وكلوتات زركش ستة آلاف كلوتة ، وشاشات وتخافيف ثلاثمائة [1] قطعة ، وبسط خمسة وثلاثون أَلف قطعة ، وأَنطاع أَلف نطع ، وخيول ودواب عشرون أَلف رأْس ، ورقيق سبعمائة رأْس وعشرة رؤوس ، ومماليك ترك وغيرهم خمسون مملوكا ، وخُدَّام مائة خادم ، وعبيد مائة عبد ، ونُحَاس أَربعون أَلف قطعة ، وأَملاك وعقار وضياع ستة آلاف مكان ، قومت بثلاثمائة أَلف دينار ، ومعاصر قصب خمس وعشرون معصرة ، وإقطاعات حَلْقة سبعمائة إقطاع ، وسروج وعدّة خيل قُوِّمت بثمان مائة أَلف درهم ، ومتاجر وبضائع ومخازن قُوِّمت بأَربعمائة أَلف دينار ، ومراكب ستمائة مركب ، وبساتين وجُنَينات مائتا موضع ، وسواقى أَلف وأَربعمائة ساقية ، خارجا عن الأَبقار والأَغنام والغلال والأَوانى الصينى وغير ذلك .

وفى سنة أَربع وخمسين وسبعمائة خرجت المراسم السلطانية

(١) لعلها ثلاثة آلاف أو ثلاثون ألف

عن السلطان الملك الصالح بأَن اليهود والنصارى لا يتحدثون فى ديوان من دواوين السلطان ولا دواوين الأُمراء ، وأَن لا يُكْرموا فى المجالس ، وأَن تكون عمائمهم عشرة أَذرع بغير زيادة ، وأَن يَلْبسوا الفراجى الزُّرق ، ويكون ركوبهم عرضا ، وأَن يكون قيمة كل حمار من مراكبهم دون مائة درهم ، وإذا مرَّ أَحد منهم بمُسلمٍ جالسٍ نزل وأَظهر المسكنة ، وأَن لا يدخل النصارى الحمام إلا بصليب (١٣٨ ا) وطوق فى عنقه ، وأَن لا يدخل نساؤهم الحمامات مع المسلمات ، وأَن يكون خُفَّاها لَوْنين ، وأَن يكون إزار النصرانية أَزرق ، وإزار اليهودية أَصفر ، وكتب بذلك إلى سائر الممالك لِيُجروهم على ذلك .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة كمُلَت عِمارة الخانقاه السَّيفيّة شيخو بالصَّليبة ، وفيها شرع السلطان حسن فى عمارة مدرسة تحت القلعة ، وكان مكانها قصرا للأَمير يلبغا البحياوى ، فهدمه وعمرها مكانه ، وفيها هبت ريح شديدة من المغرب اصفَرَّ بها الجو ، ثم احمرّ ، ثم اصفرَّ ، ثم احمرّ ، ثم اسودّ .رمَتِ الجدرانَ وكسرت الأَشجار وبقيت من أَول النهار إلى بعد منتصف الليل ، ثم أَعقبها مطر فسكنت .

وفى سنة تسع وخمسين وسبعمائة ضُرِبت الفلوس الجدد فى سلطنة الناصر حسن بإشارة الأَمير صرغتمش أَتابك العساكر ، وكانت من أَحسن الفلوس وضعا ، فإن زنة كلِّ فَلْس مثقالٌ وهو قيراط من درهم ، وسبب ذلك أَن الناس كانوا يعبثون فى المعاملة بالفلوس ، حتى صاروا يقصُّون كل فلس أَربع قطع ويحسبونه بأَربع فلوس ، وفيها فتح الأَمير بيبرس الخوارزمى نائب حلب أَذَنة وطرسوس والمصيصة وعدّة قلاع مما كان بأَيدى [1] الأَرمن .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر والشام بيد المظفر حاجِّى بن الناصر محمد ابن قلاوون ، وخلع فى ثامن [2] عشر رمضان سنة ثمان وأَربعين وسبعمائة ، ثم قتل من يومه ، وملك بعده أَخوه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهى سلطنته الأُولى فى تاسع [3] عشر الشهر المذكور ،

---

(١) في الأصل : باى الأرمن .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣٧ في ثانى عشر رمضان .

(٣) يلاحظ أن الكلمة في الأصل مصححة بكلمة « تاسع » وكان أصلها « رابع » وهو ما يتفق مع صبح الأعشى من أن الخلع كان في ثانى عشر رمضان .

وخلع فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، وملك بعده أَخوه الملك الصالحُ صالحُ ابنُ الملك النـاصر محمد بن قلاون يوم خَلْـع أَخيه [الناصر] حسن المذكور ، وخلع ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة (١٣٨ ب) وملك بعده أَخوه الملك النـاصر حسن المقـدم ذكره يوم خلع أَخيه الملك [1] الصالحِ صالحٍ وهى سلطنته الثانية ، وبقى حتى خلع [وقُتل] فى عاشر جُمـادى الأُولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وبنى مدرسته العظمى [2] بجانب سوق الخيل تحت قلعة الجبل ، وهو آخر من ملك من أَولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لصلبه ، وملك بعده ابن أَخيه الملك المنصور محمد بن المظفر حاجِّى بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكانت مـكة بيد ثقبة بن رميثة ، ثم اجتمـع ثقبة وأَخوه عجلان بمصر سنة ست وخمسين وسبع مائة ، فولّى

(١) في الأصل : أخيه ابن الصالح .

(٢) في صبح الأعشى : المعظمة .

السلطانُ عجلانَ ، وفَرّ ثقبة إلى الحجاز ، فأَقام بمكة منازعا لأَخيه عجلان من غير ولاية ، وعجلان مستبد بولايتها جار علَى سنن العدل والتجافى عن أَموال الرعية و التعرّض للمجاورين ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكانت المدينة بيد طُفيل [بن منصور] بن جماز بن بنى الحُسين ، فبقى إلى سنة إحدى وخمسين وسبع مائة ، فوقع النَّهب فى الركب بالمدينة فى الموسم ، فقَبض عليه الأَمير طاز أَمير ركب الحج وولّى مكانه رجلا من عقب جمَّاز اسمه سَيْف ، ثم ولى بعده [فَضْل ، من عقب جماز أَيضا ، ثم ولى بعد فضلٍ مانعٌ من عقب جمَّاز ثم ولى] جمَّاز ابن منصور بن جمَّاز ، ثم دس عليه الناصر حسن صاحب الديار المصرية من الفِداوِيّة من قتله ، واتفق أُمراء الركب على تولية ابنه هِبة إلى حين يَرِدُ عليهم من السلطان ما يعتمدونه ، ثم ورد أَمر السلطان بتولية مانع [1] فولى ثم ولى بعده عطية بن منصور بن جماز ، وأَظنه بقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٣٠١ «ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب ودى فعزل ودى وولى مكانه ثم ولى بعده عطبة بن منصور» . هذا وبهامش صبح الأعشى تعليق على كلمة «فعزل ودى» نصه : لعله زائد من قلم الناسخ .

وكان اليمن بيد الملك المجاهد على بن المؤيد هزبر الدين داود فى سلطنته الثانية ، فبقى حتى حَجّ سنة إحدى وخمسين وسبع مائة فى أيام الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام ، وكان الأَمير طاز أَحد أَكابر أُمراء الديار المصرية قد حجّ فى تلك السنة ، وأُشيع بمكة أَن المجاهد عليًّا يكسو الكعبة ، فوقعت الفتنة بين العسكر المصرى والملك المجاهد ، فانهزم المجاهد (١٣٩ ا) وعسكره وأُسِر هو وحُمل إلى مصر فاعتقل بها ، ثم أُطلق سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة فى دولة الملك الصالحِ صالحٍ ، ووُجِّه معه الأَمير قشتمر المنصورى ليوصله إلى بلاده ، فلما بلغ [به] الينبع ارتاب منه فى الهرب ، فرجع به إلى مصر ، فحبس فى الكَرَك من بلاد الشام ، ثم أُطلق وأُعيد إلى ملكه ، وأَقام على مداراة صاحب مصر .

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ حسن الكبير ، فبقى إلى أَن مات فى بغداد سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وملك بعده ابنه أُوَيْس بن الشيخ حسن الكبير ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بنى جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال من بلاد الترك بيد ماماى المستولى عليها بعد قتل طقتمر ، فزحف عليه صلجى[1] جركس أحد المتغلبين على بعض أعمال السراى وملكها من يده ، وصار ماماى إلى القِرمِ فغلب عليها ، ثم زحف أليك[2] خان إلى السراى وملكها من يد صلجى جركس ، فبقى أياماً ثم هلك وملك بعده ابنه قانى باى[3] خان .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقُسَنْطِينة من الغرب الأوسط بيد أبى الفضل بن السلطان أبى الحسن المرينى صاحب الغرب الأقصى ، فخرج عليه أبو [العباس] الفضل بن السلطان أبى بكر صاحب بجاية وقصده بتونس ، فخرج منها أبو الفضل بن أبى الحسن فارًّا إلى أبيه بالغرب الأقصى ، ودخلها أبو [العباس] الفضل بن السلطان أبى بكر وملكها سنة تسع وأربعين وسبعمائة واستولى على جميع المملكة ، وبقى حتى قبض عليه [سنة إحدى

(١) في صبح الأعشى حـ٤ ص٤٧٤ : حاجى .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٤ ص ٤٧٤ أيبك .

(٣) في صبح الأعشى : قانى بك خان .

وخمسين وسبعمائة وبويع بعده] أَخوه أَبو إِسحاق إِبراهيم بن أَبى بكر وهو غلام قد ناهز الحُلُم وخنقه بعد ليلة [1] واستولى على تونس وبجاية وقُسنطينة وبلادها ، فبقيت فى يده حتى غلبه أَبو عنان بن السلطان أَبى الحسن المَرينى على بجاية وقسنطينة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، ثم انتزع منه السلطان أَبو العباس أَحمد بن محمد بن أَبى بكر قُسَنطينةَ [2] فى السنة المذكورة ، ثم (١٣٩ ب) غلبه عليها أَبو عِنان بن السلطان أَبى الحسن المَرينى واستولى عليها ثانيا ، ثم رجع إلى الغرب الأَقصى سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، فسار أَبو إِسحاق إِبراهيم صاحب تونس إِليها فملكها من يد عامل أَبى عنان سنة إحدى وستين وسبعمائة ، ثم قوى أَمر السلطان أَبو العباس أَحمد بن محمد بن أَبى بكر فعاد إلى قُسنطينة وملكها فى السنة المذكورة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكانت تلمسان بيد السلطان أَبى الحسن المرينى ، ونائبه فيها ابنه أَبو عنان بن أَبى الحسن ، ثم ارتحل عنها أَبو عنان

(١) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣١ : وقتل الفضل في جوف الليل من الليلة القابلة خنقا .

(٢) في الأصل : « على قسنطينة » هذا وتعبير صبح الأعشى : ثم استولى السلطان أبو العباس أحمد ابن محمد بن أبي بكر على قسنطينة ....

إلى المغرب عند إشاعة موت أبيه فى حرب العرب ، واستخلف عليها عثمان بن حرّاز فى ربيع سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، فبقى حتى سار إليه أبو سعيد ، فدخل تلمسان وملكها من يده فى السنة المذكورة ، ثم قصد أبو عنان بن السلطان أبى الحسن تلمسانَ ، فملكها سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وقبض على السلطان أبى سعيد وملك تلمسان من يده ، واستخلف بعض أولاده عليها ، ورجع إلى الغرب الأقصى ، فعمد أبو حَمُو بن بنى عبد الواد إلى تلمسان فملكها فى ربيع الأول سنة ستين وسبعمائة ، وخرج ابن السلطان أبى عنان فلحق بالمغرب ، ثم سار السلطان أبو سالم بن أبى عنان إلى تلمسان فملكها فى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبى الحسن المرينى ، فتوفى فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين[1] وسبعمائة ، وملك بعده ابنُه ولىُّ عهده أبو عنان بن أبى الحسن ، فتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان قد عهد إلى ابنه أبى زيان ،

(١) في الأصل : « وعشرين » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٩٨

فعدل عنه إلى [ابنه] السعيد بن أَبي عنان ، ثم خرج عليه [1] عمه أَبو سالم [إبراهيم] بن أَبي الحسن ، فغلبه على ملكه ، ودخل مدينة فاس فى منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة ، فبقى حتى أُقيم مكانه أبو عمر تاشفين المعروف بالمُوَسوس بن السلطان أَبي الحسن ، وقبض على أَبي سالم وقتله ، فبقى حتى خُلِع وولى مكانه (١٤ ا) أَبو زَيَّان محمد بن الأَمير [2] عبد الرحمن بن السلطان أَبي الحسن ، وكان غائبا بالأَندلس ، فقدم مدينة فاس ودخلها فى منتصف شهر صفر سنة ثلاثٍ وستين وسبعمائة ، فبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

وكان ما بقى من الأَندلس بيد المسلمين وهو غرناطة ومامعها بيد يوسف بن أَبي الوليد من بنى الأَحمر ، فتوفى يوم الفطر سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وولى مكانه ابنه محمد بن يوسف ، فأَقام خمس سنين إلى أَن خُلع وولى مكانه أَخوه إسماعيل بن يوسف فى ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعمائة ، وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد .

---

(١) « عليه » يراد : على السعيد بن أبي عنان .

(٢) في الأصل : بن أبي عبد الرحمن ، والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٠٠

السابــع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المتوكل على الله

وهو الإمام الأعظم أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المقدِّم ذكره ، وهذا اللقب منقول إليه عن المتوكل على الله أبى الفضل جعفر عاشر خلفائهم بالعراق ، كان رقيق السُّمرة [1] ، وافر اللِّحية ، معتدل القامة ، حسن الشكل ، عظيم الهيبة ، وافر العقل ، كثير التواضع ، ولى الخلافة بعهد من أبيه المعتضد بالله المقدم ذكره ، ثم بويــع له بالخلافة بعد وفاته يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأُولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وهى ولايته الأُولى ، وبقى حتى خلعه الأمير أيبك [2] أتابك العساكر فى سنة تســع وسبعين وسبعمائة ، فكانت خلافتــه هذه خمس عشرة سنة وأشهرا .

---

(١) لعلها أيضا : رقيق البشرة .

(٢) في الأصل « اينبك » والتصويب من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٦٦ هذا وفي صبح الأعشى أنه خلــع ثم أعيد ثانيا في أواخر المحرم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائــة بعد أن ولى المستعصم الخلافة دون ثلاثة أشهر .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة أربع وستين وسبعمائة مات حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو والد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين الآتى ذكره، وكان أحسن أولاد السلطان الملك الناصر موتاً. وعقبها كانت سلطنة ابنه الأشرف شعبان فى السنة المذكورة، وفيها برزت (١٤٠ ب) الأوامر السلطانية لمنكلى بغا الشمسى نائب الشام بفتح باب دمشق المعروف بباب كيسان، ففتح، وكان له من حين سدّه السلطان نور الدين الشهيد ما يزيد على مائتى سنة مسدودا.

وفى سنة سبع وستين وسبعمائة وصل صاحب قبرس من جزائر الفرنج [إلى الاسكندرية] (١) ومعه أسطول عظيم نحو سبعين مركبا حربية فى عسكر عظيم، وهى يومئذ ولاية قبل أن تستقرّ نيابة، ففتحوها وقتلوا منها خلقا كثيرا، وأسروا النساء والصبيان، وأحرق أهل البلد باب رشيد من أبوابها، وخرجوا منها فارّين واتصل

(١) الزيادة مقتبسة من صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٠٨ عند الكلام على الإسكندرية ويؤيد ذلك ما سيأتى في هذه الصفحة من الأصل.

الخبر بالسلطان الملك الأَشرف والأَمير يلبغا أَتابك عسكره ، فأَسرعوا المسير إليها ، فبلغ خبرُ العسكر الفرنجَ ففروا هاربين إلى المراكب بما أَخذوه من الأَموال العظيمة والأَسرى ، وساروا إلى بلادهم ، فعمرت البلد وأَسوارها ، ورجع أَهلها إليها ، وعاد السلطان للديار المصرية إلى القلعة .

وفى سنة ثمان وستين وسبعمائة وصلت رسل الملك الأَفضل عباس صاحب اليمن إلى الأَبواب السلطانية بالديار المصرية بهدية جليلة ، منها فيل ، وفرس بغير ذكر ولا أُنثيين من أَصل الخلقة ، وجملة من القماش والمسك والعنبر والعود والصندل واللبان والبهار وحجارة الموميا والعقيق ، ورماح القنا ، وغير ذلك ، فقبل السلطان هديتهم ، وأَعادهم إلى مرسلهم ، وفيها شرع الأَمير يلبغا فى عمارة أُسطول عظيم مائة مركب حربية ما بين طرائر وأَغربة ، لِقصد غزو قبرس فى نظير طروقه الاسكندرية ، وفرغت عمارته جميعها فى دون سنة ، وذلك ما لم يصل إليه همّةُ ملك ، وأَدرك الفرنجَ من ذلك رعبٌ عظيم ، حتى أَن الصغير كان يبكى فتخوفّه أُمه بالأَمير يلبغا ، وربما جَفَلَت فرسُ أَحدهم من الحوضِ وهى تشرب فيقول لها : الأَمير يلبغا فى

الحوض؟ وفيها خرج السلطان الأَشرف والأَمير يلبغا إلى البحيرة للصيد ، فكبس مماليك يلبغا عليه بمنزلة الطرانة فى الليل ، ففر الأَمير يلبغا وعدَّى إلى بر القاهرة ، وتبعه السلطان بمن معه (١٤١ ا) من الأُمراء ونزل ببولاق التكرورى مقابل القاهرة ، وتراموا بالنفط من البرَّين ، فاستدعى الأَميرُ يلبغا أَنوكَ بنَ حسين أَخى السلطان الأَشرف ، وسلطنه ولقبه الملك المنصور ، وهو المعروف بسلطان الجزيرة ، فعدّى السلطان الأَشرف من الورّاق إلى جزيرة الفيل ، فتفرق أَصحاب يلبغا عنه ، وفرّ بمن بقى معه إلى تحت القلعة ، ففرّ عنه من بقى معه ، فذهب إلى بيته بالكبش ، ثم سلمهم نفسه فضربوا عنقه ، ودفن بتربة قرابغا خارج باب البرقيّة ، واستقر فى الأَتابكية مكانه الأَمير أَسندمر الناصرى فى سنة تسع وستين وسبعمائة ، وفى سنة تسع وسبعين وسبعمائة وقعت وقعة بين السلطان والأَمير أَسندمر فوقعت الكسرة على أَسندمر ، فقُبض عليه ، وقتل من كان معه من المماليك الجُلب ، وكان أَكثرُ من قتلهم العوامَّ ، بتسلطهم بالفساد ، وهجوم الحمامات على النساء ، وأَخذهم النساء من الطرقات ،

ثم عفا السلطان عن الأَمير أَسندمر وأَطلقه ، ثم قبض عليه مع جماعة من الأُمراء فى هذه السنة فاعتُقلوا بالإسكندرية .

وفى سنة سبعين حجّت والدة السلطان الأَشرف .

وفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة جرى كلام فى حق الأَشراف العلَوِيّين بسبب أَن بعض الأُمراء وقع فى حق أَحدهم ، وزعم أَنه لم يعرف كونَه شريفا ، فأَمر السلطان الأَشرافَ بالديار المصرية أَن يجعل كلٌّ واحد منهم فى عمامته عِصابة خضراء من صوف أَو حرير أَو غير ذلك مستديرة على بعض لفات العمامة ليمتازوا عن غيرهم .

وفى سنة أَربع وسبعين وسبعمائة توقف النيل عن الوفاء ، وكُسِر الخليجُ مع نقص أَصبعين عن الستة عشر ذراعا ، وخرج الناس إلى الصحراء خارج باب النصر واستسقَوْا ، وفيهم الأُمراء والقضاة والفقهاء والأَعيان والضعفاء والأَطفالُ ، ونقص النيل بعد ذلك فلم يُرْوِ من بلاد مصر إلاَّ القليل ، وبلغ سعر القمح أَربعين درهما كل أَردب ثم بلغ سبعين (١٤١ ب) وفى سنة أَربع وسبعين وسبعمائة توفيت خوند والدة السلطان الأَشرف ،

وهى متزوجة بالأمير الجاى اليوسفى أتابك العساكر ، فنظم بعض شعراء العصر فى ذلك :

فى ثانى العشرين من ذى القعدة [١]
كانت صَبيحةُ موت أُمِّ الأَشْرَفِ
فاللهُ يرحمها ويُعظم أَجـــرهـا
ويـــكون فى عاشورَ مَوْتُ اليُوسُفِى

فـــكان الأَمر كمـــا كان ، فإنه فى أَول سنة خمس وسبعمائة تغيّر السلطان على الأَمير الجاى ، ففر هاربا إلى ساحل قليوب ، فأَلقى نفسه بفرسه فى النيل ليُعَدِّى إلى بر الجيزة فغرق ، وكان فى يوم عاشوراء كما تقدمت الإشارة إليه فى البيتين السابقين ، وكان من جملة أُمراء الأَشرف أَرغون شاه الخاصـــكى من كبار أُمرائه ، فنظم بعض الشعراء فيـــه :

الْجَاىُ ذاكَ الرُّخُّ لما طغى ... فى دَسْتِه مال لنقل الوُشاه [٢]
تراجعت عـــن صَفِّه خيلُه ... وكلُّ فِرْزٍ إنْ مضى ما اختشاهْ
ونفسَه جَالَ بها ساعـــةً ... ولم يَضْرِبـــه أَرغُون شَاهْ

(١) هذا الشطر يستقيم اذا حركت ياء ثانى بالكسرة ونطقت « من ذى قعدة » بدون ألف ولام مع تنوين « قعدة » .

(٢) في الأصل : « إلى نقل الوشاة » .

وكان أَرغون شاه أَحـد أُمراء الأَشرف الخاصكية .

ونظم آخـر :

الجاى قال اعـذروا فإِنى قهرت بالأَشرف الـكَرَمْ

حسبت كـلَّ الحساب إلاّ ظهـورَ شعبـان فى الحَرَم

وفى سنة ست وسبعين وسبعمائة اشتد الغـلاء بالديار المصرية حتى بيـع القمـح كل أَردب بمائة وعشرين درهما ، ثم تزايد حتى بلغ مائة وستين ، والشعير بثمانين درهما كل أَردب ، والخبز كلّ رطلين بدرهم ، ولحم الضأْن كلّ رطلين بدرهمين ونصف ، ولحم البقر بدون ذلك ، والرَّاوِيةُ المـاء خمسة دراهم ، وبيـع كلُّ فرُّوج بخمسة وأَربعين درهما ، وكل سفَرْجلة بخمسين درهما ، وكل رمَّانة لفان بعشرة دراهم ، وكل رمانة حـلوة بستـة عشر درهما ، ومات أَكثر الدواب من قلة العلف ، وغلت البضائع لقلة الظَّهْر ، وأَكل الناس الميتة ، وجاعت الكلاب حتى أَكلت الموتى على الطرقات (١٤٢ ا) وتَنبش القبور وتُخرج الموتى فتأْكلهم ، وصار الناس فى بلاءٍ عظيم ، وفى السنة المذكورة فتـح الأَمير عشقتمر نائب حلب مدينة

سيس قاعدة ملك الأَرمن وانتزعها من أَيدى الأَرمن . وهو آخر الفتوح الإسلامية فيما أَدركناه .

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة أَبطل السلطان الملك الأَشرف بواسطة شيخنا الشيخ سراج الدين البلقينىّ القراريط ، وهى مُكُوس كانت تُؤخذ على بيع العقار ، وفى السنة المذكورة تجهّز السلطان الملك الأَشرف إلى الحجاز ، فخرج عليه مماليكه بالعقبة ، ففرّ إلى القاهرة ، فقُبض عليه وقُتل ، كما سيأْتى بولايات الأَمصار .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت مصر والشام بيد الملك المنصور محمد بن المُظَفَّر حاجِّى ، فبقى حتى خلع فى خامس عشر شعبان سنة أَربع وستين وسبع مائة ، وملك بعده ابن عمه الملك الأَشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو طفل ، وبقى حتى خرج للحج سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، فخرج عليه مماليكه بالعقبة (1) ففر منهم إلى مصر واختبأً ، ثم وقع الظفر به وقُتِل فى ثالث ذى القعدة

(1) فى صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٣٨ عقبة أيلة .

سنة ثمان وسبعين وسبع مائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور عليٌّ يوم خلع أَبيه ، وقام بتدبير دولته الأَمير أَيبك [1] أَتابك العساكر ، فخلع أَيبك المتوكل واعتقله ببرج القلعة ، وبقى المنصور عليٌّ إلى ما بعد خلع المتوكل.

وكانت مكة بيد عجلان بن رميثة ، فبقى بها حتى توفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وولى بعده ابنه أَحمد ، وكان قد فوّض إليه الأَمر فى حياته ، وقاسمه أَمْرَه ، فقام [أَحمد] بأَمر مكة بعد أَبيه أَحسن قيام ، جاريا علي سَنَن أَبيه فى العدل وحسن السيرة ، فبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكانت المدينة بيد عطية بن منصور بن جمّاز ، فأَقام سنين ، ثم عُزل وولى مكانه هبة بن جماز (١٤٢ب) ثم عزل وأُعيد عطية ، ثم تُوفى عَطِيّة وهبة ، وولى جماز ابن هبة ، وبقى فيما أَظن إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكان اليمن بيد المجاهد علىّ بن هزبر الدين داود

---

(١) في الأصل كتب « أبينك » ثم كتب « اينبك » وانظر تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢ وما تقدم في خلافة المتوكل على الله .

من بني رسول ، فتُوفي سنة ست وستين وسبعمائة ، وملك بعده ابنه الملك الأَفضل عباس ، فبقي حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد ، فبقي إلى ما بعد خلافة المتوكل .

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ أُويس بن الشيخ حسن الكبير ، فبقي حتى مات سنة ست وسبعين وسبعمائة ، وملك بعده بغداد وتَوْرِيز [1] ابنه حسين [2] بن أُويس ، وفي خلال ذلك استولى على توريز شجاع بن المظفر اليزدي ، ولحق حسين بن أُويس بأَخيه الشيخ عليّ ببغداد ، ثم انتزعها منه حسين بن أُويس واستضافها إلى بغداد ، ثم انتزع عليٌّ بن أُويس بغداد من أَخيه حسين ، واستقرّ حسين بتوريز والشيخ عليّ ببغداد ، ولما رجع حسين إلى توريز استوحش منه أَخوه أَحمد بن أُويس ولحق بأَردبيل ، فطرق أَحمدُ توريز ، فملكها ، واختفى بها أَخوه حسين أَياماً ، ثم قبض عليه أَحمد وقتله ، واستبد أَحمد بن أُويس بملك توريز وبغداد وما معهما من

---

(١) توريز هي تبريز انظر صبح الأعشى ﺟ ٤ ص٣٥٧ إذ يقول تبريز ... والجاري على ألسنة العامة توريز بالواو بدل الموحدة .

(٢) في صبح الأعشى ﺟ ٧ ص ٢٥٧ حسن .

الأَعمال مثل السلطانية وتُسْتَر وغيرهما ، وبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكان ما وراء النهر وخراسان بيد جغطاى من بنى جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال بيد قانى بى خان [1] ابن البلك خان ، فغلب عليه أَرص خان ، فهرب قانى بى خان بن البلك خان إلى عملهم الأَول . واستقرَّ أَرص خان بالسراى ، ومامای بالقِرم ، وذلك فى حدود ست وسبعين وسبعمائة ، وكان طقطمش بن بردى بك قد لحق بتمر سلطان المغل بما وراء النهر المعروف بتمرلنك ، فأَقام عنده ، وطمحت نفس طقطمش إلى ملك آبائه بسراى [2] فجهز معه السلطان تمر العساكر ، فسار بها إلى سراى ، وانتزعها من عمال أَرص ، واسترجع ما تغلب عليه قانى باى وصلجى (١٤٣ ا) جركس وغير ذلك ، واستولى على جميع المملكة ، وبقى إلى ما بعد خلع المتوكل [3] .

---

(١) تقدم أنه كتبه باى خان وأنه في صبح الأعشى بك خان .

(٢) في الأصل : « بصراى » وكذلك ستأتى في الأصل « صراى » وسبق أنها السراى .

(٣) في الأصل : المعتضد .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجايه وقُسنطينه بيد أَبى العباس أَحمد بن محمد بن أَبى بكر ، ثم استولى على بجاية وقُسنطينة أَبو عبد الله محمد بن محمد بن السلطان أَبى بكر ، فى رمضان سنة خمس وستين وسبعمائة ، فأَساء السيرة ، فسار إليه السلطان أَبو العباس من تونس فقتله ، ودخل بجاية تاسع عشر شعبان سنة سبع وستين وسبعمائة ، وملكها ، وبقيت بيده ، وتونس بيد السلطان أَبى إسحاق إبراهيم بن السلطان أَبى بكر ، إلى أَن توفى السلطان أَبو إسحاق فجأَة فى الليل سنة [سبع و] سبعين وسبعمائة ، وملك بعده تونسَ ابنُه أَبو البقاء خالد ، ثم رحل السلطان أَبو العبّاس من بجاية إلى تونس وقَبَضَ على السلطان أَبى البقاء خالد ، واعتقله ، وملك تونس ، وانتظم فى ملكه إفريقية وبجايه وقسنطينة وأَعمالها ، وبقى إلى ما بعد خلع المتوكل[1] .

وكانت تلمسان بيد السلطان أَبى سالم بن أَبى عنان المرينى صاحب فاس ، فاستخلف على تلمسان أَبا زيّان محمد بن عمار بن السلطان أَبى تاشفين ، ورجع هو إلى الغرب الأَقصى من سنته ، فنهض أَبو حمو إلى تلمسان فدخلها

(١) في الأصل : خلافة المتوكل .

وملـكها ، وخرج منها أبو زيان ، ثم ثار على أبى حَمُو السلطانُ عبد العزيز بن السلطان أَبى الحسن المرينى صاحب الغرب الأَقصى ، فملك منه تلمسان سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ، ودخلها فى أَوائل سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، ثم رجع أَبو حمو إلى تلمسان واستولى عليها فى سنة أَربع وسبعين وسبعمائة ، ثم ملـكها بعده السلطان أَبو تاشفين عبد الرحمن بن أَبى حمُو بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن ، وبقى حتى مات فى سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، وملك بعده أَخوه أَبو الحجاج يوسف بن أَبى حمو ، ثم استنجد أَبو زيان بن أَبى حمو بأَبى العباس المرينى صاحب فاس ، فاقتلع تلمسان من أَخيه (١٤٣ ب) أَبى الحجاج ، وملـكها فى سنة ست وسبعين وسبع مائة ، وبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

وكان الغرب الأَقصى بيد أَبى زيَّان محمد بن الأَمير [1] عبد الرحمن بن السلطان أَبى الحسن ، إلى أَن قتله وزيره فى المحرم سنة ثمان وستين وسبع مائة ، وملك بعده عبدالعزيز ابن السلطان أَبى الحسن ، فبقى حتى مات فى ربيع الآخر

(١) فى الأصل : « بن أبى عبد الرحمن » . والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٠٠

سنة أربـــع وسبعين وسبـــع مائة ، وملك بعده ابنه سعيد بن عبد العزيز وهو طفل ، وقام بتدبير دولته وزيره أبو بكر ، ثم غلبه على فاس والغرب الأقصى أبو العباس أحمد بن أبى سالم ، فى المحرم سنة ست وسبعين وسبع مائة ، ثم توفى فى سنة ست وتسعين وسبـــع مائة .

وكانت غرناطة وما معها من الأندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بنى الأحمر ، فبقى إلى ما بعد خلع المتوكل .

الثامن من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المستعصم بالله

وهوأبو يحيي زكريا بن الواثق [بالله] إبراهيم بن المستكفى أبى الربيـــع سليمان المقدم ذكره . وهذا اللقب منقول عن المستعصم بالله أبى أحمد عبد الله ، آخر خلفائهم بالعراق ، فبايعه الأمير أيبك [1] أتابك العساكر بعد خلع أمير المؤمنين المتوكل ، بمفرده من غير اجتماع أحد من أهل الحلّ والعقد غيره ، فى سنة تسع وسبعين وسبـــع مائة ، فبقى

---

(١) في الأصل : « أينبك » وكذلك ما سبق وما يأتى .

ثلاثة أشهر ، ثم خلعه وأعاد المتوكل إلى الخلافة ، وهى خلافته الثانية ، فبقى حتى خلعه السلطان الملك الظاهر برقوق ، واعتقله فى برج بالقلعة ، فى مستهل رجب سنة خمس وثمانين وسبع مائة .

الحوادث والماجريات فى خلافته
وفى عود المتوكل إلى الخلافة ثانيا

لما خلع أيبك أتابك العساكر الإمام المتوكل على الله محمد وقرر المستعصم زكريا فى الخلافة تغيرت عليه المالك ، ونفرت عنه قلوب العساكر ، وخامرت عليه[1] نوّاب الشام جملة ، وخرجوا عن الطاعة ، فأقام الحال على ذلك نحو ثلاثة أشهر ، كما تقدم ، ثم أعاد الأمير أيبكُ الإمامَ المتوكلَ إلى الخلافة (١٤٤ا) على عادته ، فى العشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وسبع مائة ، وخرج جاليش العسكر ، خمس أُمراء مقدمو أُلوف ، منهم الأمير برقوق العثمانى وبركة الجوبانى ويلبغا الناصرى ، وثلاث طبلخانات ، ومائة مملوك من المماليك السلطانية ، ومائة مملوك من مماليك الأمير أيبك ، وخرج السلطان والعسكر بعد ذلك ،

(١) فى الأصل : عليهم .

ووصلوا إلى بلبيس ، فبلغهم أن بعض أُمراء الجاليش قد خامر عليهم ، فرجع السلطان وأيبك من بلبيس إلى القلعة ، فخرج جماعة من الأُمراء إلى قُبة النصر ورأسهم قطلقتمر الطويل ، فجهز إليهم أَيبك عسكرا ، فكانت الكسرة على جماعة أَيبك ، وهرب أَيبك إلى كيمان مصر ، فلم يوقف له على خبر ، وصارت الكلمة لقطلقتمر الطويل ، ورجع الأَمير برقوق وبركة ومن كان قد خرج معهما فى الجاليش ، فقبضوا على الأَمير قطلقتمر الطويل ومن معه وبعثوا بهم إلى الاسكندرية فاعتقل فيها ، وصارت الكلمة ليلبغا الناصرى ، فحضر إليه أَيبك من هربه ، فقبض عليه وبعث به إلى الإسكندرية ، فسجن فيها ، ثم قبض على جماعة كبيرة من الأُمراء وبعث بهم إلى الاسكندرية فسُجنوا بها أَيضا ، واستمرت الكلمة للأَمير يلبغا الناصرى ، ثم ركب عليه الأَمير برقوق والأَمير بركة وأَنزلاه من الإسطبل ، واستقر الأَمير برقوق مكانه أَمير أَخور ، والأَمير بركة أَمير مجلس ، وهو كالمشارك له فى الأَمر ، ثم حضر الأَمير قشتمر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية ، فخرج السلطان لملاقاته ، واستقرَّ به

أَتابك العساكر ، ثم قبض الأَمير برقوق على الأَمير قشتمر الدوادار الأَتابك وجماعة من الأُمراء معه ، واستقر فى الأَتابكية مكانه ، واستقر الأَمير أَيتمش البجاينى[1] أَمير أَخور ، مكان الأَمير برقوق ، وقبض على الأَمير يلبغا الناصرى وبعث به إلى الاسكندرية فاعتُقل بها ، كل ذلك فى سنة تسع وسبعين وسبع مائة ، وفى أَوائل هذه السنة وقع حريق عظيم بدار التفاح خارج باب زويلة ، لم يسمع بمثله .

وفى سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة (١٤٤ ب) وقعت الوحشة بين الأَمير بركة وبرقوق ، وخرج بركة إلى قبة النصر مقاتلا لبرقوق ، فوقعت الكسرة على بركة ، فقَبض عليه وبعث به إلى الاسكندرية فسُجن بها ، وبقى الأَمير برقوق منفردا بتدبير المملكة ، وبقى بركة فى السجن حتى قتل فيه فى هذه السنة ، وفى هذه السنة وصل إلى الديار المصرية أَنس العثمانى والد الأَمير برقوق أَتابك العساكر ، واستقرّ له إمرة تقدمة أَلف ، فبقيت معه حتى مات ، وانتقل ابنه من الأَتابكية إلى السلطنة فى سنة أَربع وثمانين وسبع مائة وهو على إمرته .

---

(١) كذا وسيأتى في صفحة ١٩١ العجايبي .

وفى سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة وقع بالديار المصرية وباء عظيم مات فيه خلق كثير .

وفى سنة أَربع وثمانين شرع الأَمير جركس الخليلى أَمير أَخور فى عمارة جسر على راس الخور المعروف بزقاق القناديل تحت الروضة ، ليعود جريان الماء تحت ادر [1] منشيّة المهرانى وزربينى بكتمر وقيسون وما فى معناهما ، وعمله فلم يثبت ، وفى هذه السنة بلغ النيل أُصبعين من إحدى وعشرين ذراعا .

ولايات الأَمصار فى خلافته

وفى عود المتوكل إلى الخلافة ثانيا

وفى عود المتوكل محمد إلى الخلافة ثانيا ، كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الملك المنصور علىّ بن الأَشرف شعبان بن حُسين ، فبقى حتى توفى فى الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة ، وملك بعده أَخوه الملك الصالح حاجِّى بن شعبان ، فبقى حتى خُلع فى العشر الأَوسط من رمضان سنة أَربع وثمانين وسبع مائة ، وملك بعده الملك الظاهر برقوق بن أَنس العثمانى ، فبقى إلى

(١) لعلها « دور » جمع دار .

ما بعد خلافة المستعصم وعود المتـــوكل ثم خلعه .

وكانت مـــكة بيد أَحمد بن عجلان ، فبقى إِلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت المدينة بيد جمّاز بن هبة ، فعُزل وولى [نُعَيْرُ ابن منصور بن جمّاز ، ثم قُتل فوثب جماز بن هبة علي إِمارة المدينة واستولى عليها ، فعزله السلطان وولى] ثابت بن نُعَيْر ، فبقى إِلى آخر سنة أَربع وثمان مائة ، ثم ولى جمّاز بن هبة فى سنة خمس وثمان مائة ، فبقى إِلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكان اليمن بيد الملك المنصور محمد بن الأَفضـــل عباس بن المجاهـــد عليّ (١٤٥ ا) ، فبقى [1] إِلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت بغداد وما معها من مملـــكة إِيران بيد السلطـــان أَحمد بن أُويس ، فبقى إِلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

---

(١) في الأصل : المجاهد بن على فبقى حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المنصور فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم . . . وقد حذفت الزيادة المكررة التى لا محل لها هنا .

وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك مع بنى جفطاى من بنى جنكزخان .

وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردى بك ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقُسنْطينة بيد السلطان أَبى العباس أَحمد بن [محمد بن] أَبى بكر، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت تِلِمسان والغرب الأَوسط بيد السلطان أَبى حَمُو ، فخرج عليه السلطان أَبو العباس أَحمد بن أَبى سالم صاحب الغرب الأَقصى ، فسار إلى تلمسان فملكها وأَقرَّ بها أَبا زيَّان بن [أَبى] حمو ، وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكان الغرب الأَقصى بيد أَبى العباس أَحمد بن أَبى سالم ابن السلطان أَبى الحسن ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

وكانت غرناطة وما معها من بلاد الأَندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بنى[1] الأَحمر ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه .

(١) في الأصل : بن الأحمر .

التاسع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

الواثق بالله [1]

وهو أبو حفص عمر بن الواثق بالله أبي الحسن إبراهيم ، الخامس من خلفائهم بالديار المصرية ، وهذا اللقب منقول إلى أبيه من الواثق الأول كما تقدم ، ثم نقل من أبيه إليـــه ، بايـــع له بالخلافة الظاهر برقوق بعد خلع الإمام المتوكل ، فى مستهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبع مائة ، فبقى فى الخلافة حتى توفى فى العشر الأول [2] من شوال سنة ثمان (١٤٥ ب) وثمانين وسبـــع مائة ، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم زكريا المقدم ذكره إلى الخلافة ثانياً ، والمتوكل على الله فى الاعتقال ، والناس لا يرون فى كل ذلك الخليفةَ غيره ، ثم أطلق المتوكل على الله من الاعتقال ، وأُعيد إلى الخلافة فى ثانى جمادى الأُولى سنة إحدى وتسعين وسبـــع مائة ، وبقى حتى توفى فى الســـابـــع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة ، وكان له من

---

(١) رتبه في تاريخ الخلفاء ص ٢٠٣ قبل المستعصم بالله زكريا .

(٢) في تاريخ الخلفاء : تاسع عشر شوال .

الأَولاد [١] الإِمام المستعين بالله أَبو الفضل العباسى ، والإِمام المعتضد بالله أَبو الفتح داود خليفة العصر ، وسيدى يعقوب ، وسيدى حمزة ، ومحمد وهو أَسنهم ، وبنات .

الحوادث والماجريات فى خلافته
وعود المستعصم ثم عود المتوكل بعده

فى سنة خمس وثمانين وسبع مائة قصد جماعة من الفرنج ساحل صيْدًا وبيْروت من البلاد الشامية ، فخرج إليهم طائفة من عسكر دمشق ، فهزموا الفرنج وقتلوا منهم جماعة ، وفيها بلغ السلطان الملك الظاهر أَن الأَمير قرط التركمانى وإبراهيم بن قطلقتمر أَمير جاندار فى جماعة قصدوا الركوب عليه ، فقبض على قرط وابن أَمير جاندار ، ثم أَمر بقرط فقتل ، واعتقل ابن أَمير جاندار مدة ، ثم عفا عنه رحمة لأَبيه .

وفى سنة ست وثمانين وسبع مائة حضر الأَمير بيدمر الخُوارزمى نائب الشام إلى الأَبواب السلطانية بهديّة جليلة فقُبلت هديته ، وحضر دار العدل وأُجلس فوق النائب

---

(١) كان للمتوكل على الله من الأولاد كثير يقال انه جاء له مائة ولد ما بين مولود وسقط ومات عن عدة ذكور وإناث .... انظر تاريخ الخلفاء ص ٢٠٢

الـكافل ، وهذا لم يعهد مثله ، وفيها حضر إلى الأَبواب السلطانية رسلٌ بهديّة من مماليكَ وغيرِهم وأَظهروا أَنهم رسل طقتمش خان صاحب بـلاد الشمال ، فخرج لملاقاتهم النائب الـكافل وجماعة من الأُمراء ، وأُنزلوا بالميدان تعظيما لهم ، ورُتب لهم المرتبات السَّنيَّة ثم ظهر من كتبهم أَنهم رسل صاحب القِرم ، فتغير عليهم السلطان ونقلهم من (١٤٦ ا) الميـدان إلى دار الضيـافة ، ونقص من راتبهم ، وبقى لهم ما يقتضيه حالهم ، وفى هذه السنة توفى الشيـخ أَكمل الدين محمود شيـخ خانقاه شيخونية ، وكان من أَجِلّة العلماء وأَعيان أَهل العصر وأَجلهم رتبة عند السلطان ، ونزل السلطان للصلاة عليه ومشى فى جنازته ، وكان له مشهد عظيم .

وفى سنة ثلاث وتسعين وسبـع مائة ظهر بالديار المصرية نَجْم كبير قليل النور بذُؤابة خلفه قدر رمحين فما فوقهما ، وبقى ليالى ثم اختفى ، وفى سنة أَربـع وتسعين وسبـع مائة كثرت الشنعة بأَمر الأَمير منطاش بالبلاد الحلبية ، فخرج إليه السلطان الملك الظاهر ، وسار إلى حلب وقبض عليه وقتله ، وجُهِّزت رأْسه إلى الديار المصرية ، ثم وصل

السلطان إلى البلاد المصرية بعد ذلك ، وفيها وصل الخبر أن تمرلنك استولى على شِيراز قاعدة فارس وقتل صاحبها شاه منصور ، وأنه أَرسل يخادع السلطان أَحمد بن أُويس صاحب بغداد ، فلم ينخدع له وفرّ من بغداد قاصدا الديار المصرية .

وفى سنة ست وتسعين وسبعمائة فى ربيع الأَول وصل القان أَحمد بن أُويس المقدم ذكره إلى الديار المصرية فارًّا من تمرلنك ، فخرج السلطان الظاهر لملاقاته بنفسه ، وأَلبسه قَباءً مطرزًا مُغرى بقاقُم وعاد معه إلى الصُّوَّة ، وطلع السلطان إلى القلعة ، وجهز السلطان أَحمد إلى بيت جليل من بيوت الأُمراء على بِرْكة الفِيلِ ، فأُنزل فيه وأَجرى عليه الرواتب اللائقة بمثله ، ثم وصلت رسل طقتمش خان المقدم ذكره بكتاب مضمونه طلب المعاضدة والمعاونة على تمرلنك ، وردّ عليه الجواب بالإِجابة إلى ذلك ، ثم عاد السلطان أَحمد بن أُويس إلى دمشق ، ومنها إلى جهة بغداد حين بلغه رجوع تمرلنك عنها .

وفى سنة إحدى وثمانمائة توفى الملك الظاهر برقوق وملك بعده ابنه الناصر فرج على ما سيأْتى ذكره .

وفى سنة سبع وتسعين وسبعمائة زاد النيل (١٤٦ ب) فى آخر يوم من أَبيب أَربعين أصبعا ، وفى أَول مسرى اثنين وستين أصبعا ، وفى ثالث مسرى خمسين أصبعا ، فكانت الزيادة فى أَربعة أَيام سبعة أَذرع ، ولم يُسمع بمثل ذلك فيما تقدم إلاَّ ما يحكى فى آخر سنة من خلافة المنتصر الفاطمى ، على ما تقدّم ذكره .

وفى سنة اثنتين وثمانمائة خرج تنمُ نائبُ الشام عن الطاعة وأَظهر الخلاف ، ثم لما أَثبت السلطانُ الملكُ الناصر فرج بن الظاهر رُشْدَه فى ربيع الأَول منها واستبدَّ بالتصرف دُون ولىِّ أَمره الأَمير أَيتمش العجايبى تنكَّر الأَمير أَيتمش لذلك ، ووقع الحرب بينهما فى الشهر المذكور بمصر ، فانهزم الأَمير أَيتمش ولحق بالشام وانحاز إلى نائبه تنمَ . فخرج السلطان الناصر فرج من الديار المصرية لحربهما فى شهر رجب منها وصحبته أَميرُالمؤمنين المتوكل ، والتقوا على القرب من غَزَّه ، فانكسر تنمُ وأَيتمشُ ومن معهما ، وقَبضَ السلطان عليهما ،ودخل هو إلى دمشق واستولى عليها ، وقتل بها تنمَ وأَيتمشَ وجهّز

برأسيهما إلى القاهـرة فى رمضان منهـا ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية وطلع القلعة فى السادس والعشرين من رمضان المذكور .

وفى سنـة ثلاث وثمانمائة سار تمرلنك إلى البلاد الشامية وفتـح مدينـة حلب وقلعتها ، فسار الناصر إليه من الديار المصرية بعسـاكره إلى دمشق ، وقدم إليها تمرلنك ، وجرى بينهما مُرَاجعات فى أَثنائها فرَّ جماعة من عسكرالناصر إلى الديار المصرية ، فتبعهم على الأَثر ، فأَدركهم على القرب من غزة ، فقبض عليهم واستمر قاصدا الديار المصرية حتى طلع القلعة فى خامس جمادى الآخرة منـها ، وأَخذ تمرلنـك فى خداع أَهل دمشق حتى صالحهم على مبلغ أَلف أَلف دينار ، وفتحوا له بابا من أَبوابها ، وأَخذوا فى جمع ذلك من الناس على قدر طبقاتهم خارجـاً عما قـرَّر عليهم من خيل الهاربين من عسـكر السلطان وسلاحهم ، فلما حُمل ذلك إليه قرر عليهم بعد ذلك عشرة آلاف دينار (١٤٧ ا) فاستُخرِجت له بأَعظم مشقّة ، ثم فرّق حارات المدينة على أُمرائه وأَعيان عسـكره ، فعاثوا فسادا ، واستخرجوا من أَهلها ما قدروا عليه ، بعد أَن قتلوا ،

وسلبوا النساء والذرارى ، ثم أَمر بتحريق البلد فأُحْرق عن آخره ، حتى لم يبقَ بها رسمُ دار ولا خط يعرف ، وبقى على ذلك إلى الآن إلا القليل مما جدد .

وفى سنة أَربع وثمانمائة ظهر بالديار المصرية جراد انتشر فى أَقطارها وأَكل ورق الشجر وخُوص النخيل ، واستأْصل المقَات وكَثُر فساده ، ثم سلط الله عليه البردَ فهلك ، وفيها ظهر بالديار المصرية أَيضا كوكب كبير نَيِّرٌ له ذؤابة صاعدة فى السماء ترى مع ضوء القمر ، وبقى إلى ثلث الليل ، وبقى كذلك ليالى ، ثم اختفى .

وفى سنة سبع وثمانمائة اختلف أُمراءُ الديار المصرية على سلطانهم الناصر ، فلحق الأَمير يشبك العثمانى بدمشق فى طائفة كبيرة ، وسار إلى الشام فأَلَمَّ بالأَمير شيخ المحمودى نائب الشام ، فجمع له العساكر الشامية وسار به إلى مصر ، فخرج إليهم الناصر ، ولقيهم فى العباسية من بلاد الشرقية فى ذى الحجة من هذه السنة ، فانهزم منهم الناصر ، فتبعوه حتى طلع القلعة ، ثم خرج عليهم وحاربهم تحت القلعة ، فانهزموا منه ، وعاد الأَمير شيخ إلى دمشق ، واختفى يشبك بالقاهرة ، ثم ظهر يشبك فى سنة ثمان وثمانمائة ،

فأعاده الناصر إلى ما كان عليه ، ثم تجددت بينهما[1] الوحشة بعد ذلك ، ففرّ الناصر من القلعة واختفى بدار القاضى سعد الدين بن غراب ، فى الرابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وأُقيم فى السلطنة مكانه أخوه عبد العزيز وهو صغير ، ولقب الملك المنصور ، بعهد من أمير المؤمنين المتوكل ، ولم يزل الناصر مختفياً إلى ليلة السبت خامس جمادى الآخرة ، وظهر واجتمع عليه كبير من العسكر ، فزحف على أصحاب أخيه عبد العزيز فهزمهم واستولى على تخت ملكه ، وقَبض على أخيه عبد العزيز ، وجهزه (١٤٧ ب) إلى الإسكندرية ، فاعتقل بها ، ثم أمر به بعد ذلك فقُتل ، وعظم سلطانُه ، وتملّك أمره وعظُم شأْنه.

ولايات الأمصار فى خلافته
وعود المستعصم ، ثم عود المتوكل

كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الظاهر برقوق ، حتى خلع من السلطنة وبُعث به إلى الكَرَك ، فاعتقل به فى رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين

---

(١) فى الأصل : بينهم .

وسبعمائة ، وملك بعده الملك المنصور حاجّى بن الأَشرف [شعبان] وهو الذى كان قد لُقِّب فى سلطنته الأُولى بالصالح ، وهذه سلطنته الثانية ، فبقى حتى عاد الظاهر برقوق من الـكَرَك ، واستقرَّ فى السلطنة بعد خلع المنصور حاجِّى فى أَوائل سنة اثنتين [1] وتسعين وسبعمائة [وبقى حتى توفى فى منتصف شوال المبارك سنة إِحدى وثمانمائة وملك بعده ابنه الناصر فرج ثم تغير عليه بعض مماليكه وبعض أُمرائه فاختفى ، ثم ملك أَخوه الملك المنصورعبدالعزيز ثم ظهر السلطان فرج واستقر على عادته وبقى فى السلطنة] .

وكانت مـكة بيد أَحمد بن عجلان ، فبقى حتى مات فى رمضان سنة ثمان وثمانين وسبـعمائة ، وولى مكانه ابنه محمد بن أَحمد بن عجلان ، وهو صغير فى كفالة عمه كُبيش بن عجلان ، فبقى حتى بعث إِليه الظاهرُ برقُوق فِدَاوِيًّا صُحْبَةَ الأَمير جركس الخليلىّ وهويومئذ أَمير الحجاج ، فركب فى محمل الكُسْوة ، فلما خرج محمد [بن أَحمد] ابن عجلان ليقبِّل خُفَّ جمل المحمل على العادة وثب عليه

---

(١) هى ساقطة في صبح الأعشى ووضع في موضع سقوطها اثنتين وتسعين . نقلا عن المقريزى . وفي الأصل إحدى وتسعين وقد أكملت عن صبح الأعشى بعد ذلك ومما تقدم في الحوادث والماجريات .

الفِدَاوِيُّ بسِكِّين فقتله ، ودخل أَمير الركب المذكور إلى مكة ، فولّى عنان بن مُغَامِس بن رميثة مكانه ، ثم لحق عليٌّ بن عجلان بالديار المصرية ، فولَّاه الظاهر برقوقُ مكةَ فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة شريكا لعنان ، وسار مع أَمير الركب إلى مكة ، فهرب عنانٌ ودخل عليٌّ بن عجلان مكة واستقل بإمارتها ، ثم وفد عليٌّ بن عجلان على السلطان بمصر سنة أَربع وتسعين وسبعمائة ، فأَفرده بالإمارة ، وأَنزل عنان بن مغامس عنده ، فأَحسن نُزُله ، ثم قبض عليه واعتقله ، وبقى عليٌّ بن عجلان فى إمارة مكة حتى قُتِل ببطن مرّ فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وولَّى السلطان ابنَ أَخيه حسنَ بن أَحمد مكانه ، واستبد بأَمره ، فبقى بها إلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم بعده والمتوكل بعدهما .

وكانت المدينة بيد جماز بن هبة ، ثم عزل ووَلِى نُعيرُ ابنُ منصور بن جماز .

وكانت اليمن (١١٤٨) بيد المنصور محمد بن الأَفضل عباس ، فمات وملك بعده أَخوه الأَشرف عماد الدين إسماعيل بن الأَفضل عباس ، ثم مات وملك بعده ابنه الملك

الناصر [أَحمد] [١] فبقى إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل وموته .

وكانت بغداد وما معها من توريز والسُّلطانية وتُسْتَر وغيرها من مملكة إيران بيد أَحمد بن أُويس ، فبقى حتى طرقته عساكر تمرْلَنك [٢] وهو بتوريز ، فخرج عنها إلى بغداد ، ثم هرب إلى مصر وأَقام بها فى ظلّ صاحبها الظاهر برقوق ، ثم عاد إلى بلاده ، ولم ينتظم له بعد ذلك أَمر ، وبقيت المملكة بيد تمرلنك فى جملة ما بيده مما وراء النهر إلى الخليج القسطنطينى حتى مات ، واستقل بمملكة بغداد وتوريز وما معهما بعض بنيه ، فبقيت بيده إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل ووفاته .

وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردى بك ، فوقعت الفتنة بينه وبين تمرلنك ، وجرى بينهما حروب طويلة ، ووصل الخبر آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة أَن تمرلنك ظفر بطقتمش وقتله واستولى على سائر أَعماله ، ويقال : إن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أَصلا ، بل

(١) زدتها مما سيأتى بعد ذلك قبل خلافة المعتضد بالله .

(٢) فى صبح الأعشى حـ ٧ ص ٣٠٨ تمرلنك المدعو تيمور .

بقيت بيد طقتمش خان ، ثم تنقلت بعده فى ملوكهم، إلى أن كانت بيد فولاد خان ،وكتب عن الملك الناصر فرج ، ثم صارت بعدُ إلى غيره .

وكانت تونس وبلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة [1] بيد السلطان أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ، فبقى حتى مات فى شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة ، وملك بعده ابنه أبو فارس عزّوز ، فى رابع شعبان من السنة المذكورة ، واستولى على تونس وبجايه وقُسنطينه وأعمالها (١٤٨ ب) وبقى إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه ثم عود المتوكل ووفاته .

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد السلطان أبى حمو ، ثم قبض أبو تاشفين بن السلطان أبى حمو على أبيه أبى حمو واعتقله بِوَهْرَان آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، ثم اتصل بأبى حمو أن ابنه أبا تاشفين يريد قتله فدلّى بحبل من القصر واستغاث بأهل وهران ، فاجتمعوا إليه

---

(١) في الأصل : وسرقسطة . هذا وسرقسطة من الأندلس وسيأتى ذكر الصواب في هذه االصفحة نفسها . وقد ضبط المؤلف في صبح الأعشى قسنطينة بأنها قسطينة بضم فسكون فطاء. وقال إن بعض المتأخرين جعل بعد السين نونا وحينئذ تكون بضم السين وسكون النون . انظر صبح الأعشى حـ ٥ ص ١١٠

وجددوا له البيعة ، وارتحل أبو حمو من حينه إلى تلمسان فدخلها فى أوائل سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، وبلغ ابنَه أبا تاشفين الخبرُ فأسرع إلى تلمسان ، فاعتصم أبوه أبوحمو بمنارة المسجد ، ودخل أبو تاشفين القصر وطلب أباه أبا حمو ، فجاء إليه ، فأدركته الرِّقَّةُ عليه ، فقبَّل يده ، وغدا به إلى القصر فاعتقله ، ثم رغب إلى ابنه أبى تاشفين فى قضاء فرض الحج ، فجهَّزه فى سفينة إلى الإسكندرية ، واستقلَّ أبو تاشفين بملك تلمسان ، وسار أبو حمو فى السفينة حتى بلغ بجاية ، فطلع منها ، وأسعفه صاحب تونس بالعساكر ، وعاد إلى تلمسان وابنه أبو تاشفين مشتغل ببعض حروبه ، فدخلها فى رجب سنة تسعين وسبعمائة ، وعاد مُلك أبى حمو إليه ، ثم نهض أبو تاشفين على أبيه أبى حمو بعساكر بنى مَرِين فقُتِل أبو حمو فى المعركة ، ووصل ابنه أبو تاشفين تلسمان وملكها سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وأقام بها دعوة السلطان أبى العباس صاحب المغرب الأقصى وخطب له على منابره ، وقرَّر على نفسه ضريبة يبعث بها إليه فى كلّ سنة ، وبقى أبو تاشفين على ذلك حتى مات فى رمضان

سنة خمس وتسعين (١٤٩ ا) وسبع مائة ، فبعث السلطان أَبو العباس صاحب الغرب الأَقصى ابنَه أَبا فارس ابن أَبي العباس إلى تلمسان فملكها ، فلما مات السلطان أَبو العباس وملك مكانه ابنه أَبو فارس المذكور الغرب الأَقصى كان أَبو زيَّان بن أَبي حمو معتقلا عندهم ، فأَطلقه وبعث به إلى تلمسان أَميرا عليها نيابة عن أَبي فارس ، فسار أَبو زيان إليها ودخلها ، فبقى حتى قُتل فى سنة ست وثمانِ مائة ، وولى بعده أَخوه محمد المكنى بأَبي زيَّان أَيضاً ، فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل بعده .

وكان الغرب الأَقصى بيد السلطان أَبي العباس [أَحمد] بن أَبي سالم بن أَبي الحسن ، فخرج من فاس لبعض حروبه ، فغار عليها [1] موسى ابن عمه أَبي عنان وملكها فى ربيع الأَول سنة ست وثمانين وسبع مائة ، وقبض على السلطان أَبي العباس وقيده وبعث به إلى الأَندلس فاعتقله هناك ، ثم توفى السلطان موسى بن أَبي عنان ، فملك بعده المستنصر [2] ابن السلطان أَبي العباس ، فخرج عليه الواثق محمد بن

(١) الصواب في اللغة : فأغار عليها .

(٢) في صبح الأعشى ﺟ ٥ ص ٢٠٢ : المنتصر . وكتب في الأصل هنا كلمة المستنصر .

أَبي الفضل بن السلطان أَبي الحسن فملك مدينة فاس من يده سنة سبع وثمانين وسبع مائة ، ثم سار السلطان أَبو العباس إلى فاس فملكها فى رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة . وبعث المستنصر إلى أَبيه أَبي العباس بالأَندلس ، ثم عَدَّى أَبو العباس من الأَندلس إلى سَبْتَة فملكها فى السنة المذكورة ، ثم استنزله عنها ابن الأَحمر صاحب غرناطة وأَضافها إلى مملكته ، ثم ظهرت دعوة أَبي العباس بمراكش من الغرب الأَقصى واستولى جنده عليها ، ثم [1] سار إليها ابنه المستنصر فملكها ، وسار أَبو العباس إلى فاس فملكها فى خامس رمضان من السنة المذكورة ، وبعث بالواثق إلى الأَندلس ، ثم أَمر بقتله فى الطريق فقُتل بطنجة ، وبقى السلطان أَبو العباس بفاس حتى توفى بمدينة تازا فى المحرم سنة ست وتسعين وسبع مائة ، وبايعوا بعده ابنه أَبا فارس . وسار أَبو فارس [2] بعد ذلك إلى فاس فأَقام بها متولياً على الغرب الأَقصى حتى توفى سنة تسع وتسعين وسبع مائة ، وملك بعده

(١) في الأصل هنا زيادة لا معنى لها تخل بالكلام هى : « ثم سار إليها ابنه المستنصر ثم سار السلطان أبو العباس .

(٢) في الأصل : وسار أبو العباس .

سنة خمس وتسعين (١٤٩ ا) وسبـع مائة ، فبعث السلطان أَبو العباس صاحب الغرب الأَقصى ابنَه أَبا فارس ابن أَبى العباس إِلى تلمسان فملـكها ، فلما مات السلطان أَبو العباس وملك مكانه ابنه أَبو فارس المذكور الغرب الأَقصى كان أَبو زيَّان بن أَبى حمو معتقلا عندهم ، فأَطلقه وبعث به إِلى تلمسان أَميرا عليها نيابة عن أَبى فارس ، فسار أَبو زيان إِليها ودخلها ، فبقى حتى قُتل فى سنة ست وثمانِ مائة ، وولى بعده أَخوه محمد المكنى بأَبى زيَّان أَيضاً ، فبقى إِلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل بعده .

وكان الغرب الأَقصى بيد السلطان أَبى العباس [أَحمد] بن أَبى سالم بن أَبى الحسن ، فخرج من فاس لبعض حروبه ، فغار عليها [1] موسى ابن عمه أَبى عنان وملكها فى ربيع الأَول سنة ست وثمانين وسبع مائة ، وقبض على السلطان أَبى العباس وقيده وبعث به إِلى الأَندلس فاعتقله هناك ، ثم توفى السلطان موسى بن أَبى عنان ، فملك بعده المستنصر [2] ابن السلطان أَبى العباس ، فخرج عليه الواثق محمد بن

(١) الصواب في اللغة : فأغار عليها .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٠٢ : المنتصر . وكتب في الأصل هنا كلمة المستنصر .

أَبي الفضل بن السلطان أَبي الحسن فملك مدينة فاس من يده سنة سبع وثمانين وسبع مائة ، ثم سار السلطان أَبو العباس إلى فاس فملكها فى رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة . وبعث المستنصر إلى أَبيه أَبي العباس بالأَندلس ، ثم عَدَّى أَبو العباس من الأَندلس إلى سَبْتَة فملكها فى السنة المذكورة ، ثم استنزله عنها ابن الأَحمر صاحب غرناطة وأَضافها إلى مملكته ، ثم ظهرت دعوة أَبي العباس بمراكش من الغرب الأَقصى واستولى جنده عليها ، ثم [1] سار إليها ابنه المستنصر فملكها ، وسار أَبو العباس إلى فاس فملكها فى خامس رمضان من السنة المذكورة ، وبعث بالواثق إلى الأَندلس ، ثم أَمر بقتله فى الطريق فقُتل بطنجة ، وبقى السلطان أَبو العباس بفاس حتى توفى بمدينة تازا فى المحرم سنة ست وتسعين وسبع مائة ، وبايعوا بعده ابنه أَبا فارس . وسار أَبو فارس [2] بعد ذلك إلى فاس فأَقام بها متولياً على الغرب الأَقصى حتى توفى سنة تسع وتسعين وسبع مائة ، وملك بعده

---

(١) في الأصل هنا زيادة لا معنى لها تخل بالكلام هى : « ثم سار إليها ابنه المستنصر ثم سار السلطان أبو العباس .

(٢) في الأصل : وسار أبو العباس .

أَخوه عامر ، فأَقام سنتين ثم تردى عن فرسه فمات ، وولى بعــده أَخوه أَبو سعيــد عثمان ، فبقى إِلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم ثم المتوكل .

وكانت الأَندلس بيد إِسماعيل بن يوسف بن أَبي الأَحمر ، فبقى حتى مات فى أَول سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ، وولى بعده ابنه أَبو الحجاج يوسف بن إِسماعيل ، فبقى حتى مات سنة أَربــع وتسعين وسبــع مائة وولى بعده ابنــه (١٤٩ ب) أَبو عبد الله محمد ، فبقى إِلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل .

العاشر من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المستعين بالله [1]

وهو الإِمام أَبو الفضل العباس بن الإِمام المتوكل على الله أَبي عبد الله محمد المقدّم ذكره ، ولم يل الخلافة من اسمه العباس غيره ، وهذا اللقب منقول إِليه عن المستعين بالله أَبي العباس أَحمد الثانى عشر [2] من خلفائهم بالعراق . ومن

(١) في تاريخ الخلفاء ص ٢٠٣ أمه أم ولد تركية اسمها خاتون .

(٢) في الأصل « الثالث عشر » وانظر الجزء الأول ٢٣٩

صفتــه شابٌّ أَبيض اللون معتدل القامة أَقنى الأَنف مستدير اللحية بصهوبة . بويــع له بالخلافة بعــد موت والده المتوكل فى السابــع والعشرين من رجب ســنــة ثمان وثمان مائة ، وقام ببيعته السلطان الملك الناصر فرج ، وبقى حتى خلعـــه الملك المُؤَيَّد شيخ ، فى النصف من ذى الحجة سنة سبــع عشرة وثمان مائة ، وحَجَره فى القلعة .

الحوادث والماجريات فى خلافته

فى سنة تســع وثمان مائة خالف الأَميرُ جــكم نـائب حلب وخرج عن الطاعة ، فخرج السلطان الناصر من الديار المصرية إلى الشام لمحاربتــه فى ربيــع الأَول منها ، ثم عاد إلى الديار المصرية فى رجب منها ، عن غير طائل .

وفى سنة عشر وثمان مائة زاد خوفه من الأَمير شيــخ نائب الشام ، فخرج إليه فى المحرم منها ومعه الأَمير يشبك العثمانى ، فلما صار إلى دمشق قبض على الأَمير يشبك والأَمير شيــخ واعتقلهما بدمشق ، ففرَّا من سجنهما ، وعاد السلطان إلى مصر ، فأَتاه الخبر وهو على العريش قافلا فى عاشر ربيــع الآخر بقتل الأَمير يشبك فى حرب

جرت بين الأَميرين شيخ ويشبك وبين نوروز الحافظى ،
وخرج الأَمير شيـــخ من الشام واستولى نوروز عليها ،
واستمر السلطان فى سيره قاصدا مصر ، حتى طلع القلعة
فى الرابـــع والعشرين منه ، ثم غلب الأَمير شيـــخ على
دمشق فخرج (١٥٠١) واستولى عليها . ثم خرج السلطان
فى المحرم سنة اثنتى عشرة وثمان مائة حتى وصل إلى دمشق ،
فخرج منها الأَمير شيـــخ ودخلها السلطان ، ثم خرج منها
يريد الأَمير شيخ فتبعه ، فاعتصم منه بقلعة صَرْخَد ،
فحاصره بها مدة شهر ، ثم حصل الصلح بينهما على : أَن
السلطان ينصرف عنه إلى دمشق . ثم رجـع بعد ذلك إلى
الديار المصرية ، وعاد الأَمير شيـــخ إلى دمشق ، ثم خرج
السلطان فى ربيــع الآخر سنة ثلاث عشرة وثمان مائة ،
وسار إلى دمشق ، فخرج منهـا الأَمير شيـــخ ، ودخلهـــا
السلطان ، ثم خرج منها فى طلب الأَمير شيخ فتبعه إلى
الأبلتين ، ثم كف عن طلبـــه ولحق الأَمير شيـــخ
بقَيْصرية من بلاد الروم ، وعاد الناصر إلى دمشق عن غير
طائل ، فقدم الأَمير شيـــخ من قَيْصرية إلى صرْخـــد ،
وسار منها إلى الديار المصرية ، واستولى على القلعة ،

فأدركته عساكر الناصر ، ففارقها وعاد إلى الشام والسلطان بدمشق ، فخرج منها يريد الأمير شيخ ، وقد تحصن بقلعة الكرك ، فحصره السلطان بها مدة ، ثم رحل عنه بغير طائل على صورة صلح من غير حقيقة ، وعاد إلى الديار المصرية ، وطلع القلعة فى المحرم سنة أربع عشرة وثمان مائة ، ثم توجه فى شوال منها إلى الإسكندرية ، وعاد فى ذى القعدة منها ، ثم سار فى ثانى عشر ذى الحجة منها إلى الشام يريد الأمير شيخ ، ففر منه ، فتبعه إلى بعلبكّ ، فرجع الأمير شيخ إلى اللَّجُّون وهو فى أَثره ، فالتقيا هناك فى يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة وثمان مائة ، فانهزم السلطان إلى دمشق ، فحصره بها حتى قبض عليه يوم السبت عاشر صفر منها ، وقتل بقلعة دمشق فى يوم السبت سابع عشر صفر المذكور ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .

واجتمع رأى العسكر على استبداد أَمير المؤمنين المستعين بالأمر دون سلطان معه ، وأَن يكون الأَميرُ شيخ أَتابك (١٥٠ ب) العساكر بالديار المصرية والأَميرُ نوروز الحافظىُّ نائبَ دمشق ، وأَقام نوروز بدمشق ، وعاد المستعين

بالله هو والأَمير شيخ حتى وصلا إلى الديار المصرية فى ربيع الأَول من السنة المذكورة ، وطلع أَمير المؤمنين المستعين إلى القلعة ، ونزل بالقصور السلطانية ، ونزل الأَمير شيخ أَتابك العساكر بالإِسطبلات السلطانية ، وكان الأَمير الأَتابك هو المتصرف فى أُمور المملكة بتفويض من أَمير المؤمنين المستعين بما وراء سرير خلافته ، وأَمير المؤمنين المستعين هو الذى يكتب على التقاليد والتواقيع والمراسيم والمكاتبات والمناشير وغير ذلك ، والخُطبةُ والسِّكَّةُ على الدنانير والدراهم باسمه على انفراده ، ثم عنَّ للأَمير شيخ أَن يتقلّد السلطنة ، فكُتِب له بها عهد عن أَمير المؤمنين المستعين وخُطِب له بعد الخليفة على عادة الملوك مع الخلفاء ، ونقش اسمه على الدنانير والدراهم بمفرده ، وحجرَ الإِمامَ المستعينَ بالقلعة ، وبلغ نوروزَ الحافظىَّ ذلك فأَظهر المخالفة ، واستبدَّ بالشام وخرج عن الطاعة .

ولايات الأَمصار فى خلافته

كانت الديار المصرية بيد الناصر فرج بن الظاهر برقوق ، فبقى حتى قُبض عليه وقُتل فى صفر سنة خمس عشرة وثمان مائة بدمشق على ما تقدم ، واستبَدَّ أَمير المؤمنين

المستعين بالله بأُمور السلطنة بعده باتفاق من أَهل الدولة على ما سبق ، وبقى حتى قُلِّد السلطنة الملك المُؤيد شيخ ، وعُهِد إليه بها ، وكُتب له بذلك عهد عن الإِمام المستعين على عادة الملوك ذلك ، وهو السلطان القائم بمملكة الديار المصرية والممالك الشامية إلى آخر وقت .

وكانت مكة بيد حسن بن [أَحمد بن] عجلان ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعين .

وكانت المدينة بيد جماز بن هبة ، فبقى إلى أَثناء سنة إحدى عشرة وثمان مائة ، ثم تولى مكانه عجلان بن نُعير فى سنة اثنتى عشرة وثمان مائة (١٥١ ا) فأَقام سنة واحدة ، ثم ولى سليمان بن هبة بن جماز فى سنة ثلاث عشرة وثمان مائة ، فبقى إلى آخر سنة أَربع عشرة وثمان مائة ، ثم تولى مكانه غُرير بن هيازع [١] بن هبة .

وكانت اليمن بيد الناصر أَحمد بن الأَشرف إسماعيل من بنى رسول .

---

(١) كذا في الأصل ولعله : غرير بن جماز . أو عزيز بن جماز . على أنه قد جاء بعد ذلك أيضا غرير بن هبازع من صفحة ٢١٨ .

وبغداد وتوريز وقُنْغُرْلان [1] وهى السلطانية وما مع ذلك من مملكة إيران بيد بنى تمرلنك إلى أَن غلب عليها قرا يوسف التركمانى ، وملكها فى سنة عشر وثمان مائة ، أَو سنة إحدى عشرة ، وأَقرَّ ابنَه أَحمد شاه ببغداد وبلادها ، وابنه بريداخ بتوريز والسلطانية وأَعمالهما ، وهو أَجلهما رتبة .

وكانت خراسان وما وراء النهر وفارس وكرْمان وما مع ذلك مع شاه رو بنِ تمرلنك ، ونوابُه من إخوته وغيرهم مُنبثّون فى جوانب الممالك .

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأَوسط بيد أَبى فارس عزوز .

وتلمسان والغرب الأَوسط بيد أَبى زيان الثانى بن أَبى حمو نحو عشر سنين ، ثم مات وولى أَخوه السعيد ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعين .

والغرب الأَقصى بيد أَبى سعيد عثمان بن أَبى العباس ، فبقى إلى ما بعد خلافة المستعين .

---

(١) في الأصل كانت غير واضحة ثم صححت قنغرلان . هذا وقنغرلان هو اسم السلطانية انظر صبح الأعشى حـ ٤ ص ٣٥٨ وقد كتبت بعد ذلك صوابا في خلافة المعتضد .

وكان الأَندلس بيد محمد بن إسماعيل [1] فبقى حتى توفى فى سنة اثنتى عشرة وثمان مائة ، وملك بعده أَخوه أَبو الحجاج [2] يوسف بن أَبى عبد الله بن أَبى الحجاج ، وهو على ذلك إلى الآن .

الحادى عشر من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية

المعتضد بالله [3]

وهو الإمام الأَعظم أَبو الفتوح داود بن الإمام المتوكل على الله أَبى عبد الله محمد المقدم ذكره .

من صفته : شاب رقيق السِّمن ، حسن اللون ، معتدل القامة ، أَشهل العينين ، أَقنى الأَنف ، مستدير اللحية ، عظيم الهيئة ، عالى الهمة ، وافر العقل ، جزيل الرأْى كثير الصمت ، وقور المجلس ، وافر الجود ، سمح الكف ، متين الدين ، جميل السيرة ، ولم يل الخلافة من اسمه داود غيره .

---

(١) كذا في الأصل وسبق أنه محمد بن يوسف بن إسماعيل .

(٢) لعله ابنه أبو الحجاج يوسف بن محمد بن يوسف وانظر صفحة ٢٢٠ .

(٣) أمه أم ولد تركية اسمها كزل . انظر تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥

بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه المستعين فى رابع المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة ، وكتب له بذلك مبايعة بخط بعض كتاب الحكم ، مصدرة بخطبة من إنشاء علاَّمة الدهر الشيخ تقى الدين بن حجّة ، كما سيأْتى ذكره فى الكلام على البيعات .

وهو - أَعز الله به جانب الدين - قائم بأَمر الخلافة ، ناهض بأَعبائها إلى الآن .



إلى حين تأليف هذا الكتاب فى مبادئ سنة تسع عشرة وثمان مائة .

لما بويع بالخلافة بعد خلع أخيه الإمام المستعين بالله ، والأمير نوروز الحافظى يومئذ نائب السلطنة بالشام المحروس ، امتنع الأمير نوروز عن الانضمام إلى حَوزة السلطان الملك المؤيد ، وأظهر الخلاف ، فسار إليه السلطان الملك المُؤَيَّد بالعساكر فى يوم الاثنين رابع المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة ، وصحبته الإمام الأعظم المعتضد بالله المقدم ذكره ، حتى وافى دمشق ، فاعتصم نوروز بقلعة دمشق بعد أن شَحَنها بالأزواد والعدَد والسِّلاح وسائر آلات الحصار ، فحاصرها السلطان أياما وضايقها ، ونصب عليها المجانيق ومدافع النِّفْط العظام ، وأحضر مدفعا عظيما من صَفَد فنصبه عليها ، وتواتر عليها الرَّمْىُ حتى هُدِم بعض أبراجها ، وأَحسَّ نوروز بالظهور عليه والظفر به ، ففتح القلعة ونزل منها وسلَّم نفسه للسلطان فى العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فلم يلبث بعد ذلك أن قُتل وجُهِّزت رأسه إلى الديار المصرية مع غيرها من رؤس أتباعه ، فعلقت

بباب القلعة ثم بباب زُوَيْلَة ، ثم حضر السلطان بعد ذلك إلى الديار المصرية فى عامه ، وصحبته أَميرُ المؤمنين المعتضد ، وطلع القلعة فى يوم الخميس غرة شهر رمضان من السنة المذكورة على أَتم حال وأَكمل نُصْرة ، وكان النيل فى سنة خمس عشرة وثمان مائة قد وَفَى فى مِسْرَى من شهور القبط ، ونزل السلطان من القلعة فكسره بنفسه . ونظم علاَّمة الدهر الشيخ تقى الدين بن حجة فى ذلك :

أَيَا مَلِكاً بالله أَضحَى مُؤَيَّداً
ومُنتصِبا فى مُلْكِه نَصْبَ تَمْيِيزِ
كَسَرْت بِمِسْرى نِيلَ مِصْرٍ وَتَنْقَضى
وَحقِّك بعد الكَسْرِ أَيَّامُ نَيْـروُزِ

فكان كسر نوروز بعد ذلك فى هذه السنة [1] فسبحان منطق الأَلسنة .

ولما فُتحت القلعة وقُبض على نوروز [2] وأَصحابه ، كتب الشيخ (١٥٢ ا) تقى الدين المشار إليه ، عن السلطان

(١) يلاحظ أنه ذكر قبل ذلك أن هزيمة نوروز كانت سنة ٨١٧ وذكر أن النيل وفى في سنة ٨١٥

(٢) كتبت في الأصل : نيروز

الملك المؤيد ، وهو صحبة الركاب الشريف مُهنِّئا بالفتح والظفر به وبأَصحابه والقبض عليهم ، كِتابا من الشام إلى الديار المصرية بفتح الشام فى السابع والعشرين من صفر من هذه السنة منه :

وسَكِر نُوروز لكثرة المخامرة وعَرْبَد فأَذقناه الحَدّ، إلى أَن صار للرُّمحِ والسيفِ فى جُهَّال جموعه جَزْرٌ ومَدّ .

ومنه :

وتبطَّن بعد ذلك بالقلعة التى هى به غير محروسة وقال إنه مُعتصم فى بُرْجٍ قد شَيَّدَه ، فتَلاَ له لسانُ الحال ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدة ﴾ [1] .

وكتب كتاباً آخر عن السلطان مُهَنِّئا بوقوع نوروز [2] فى القبضة الشريفة .

منه :

وفَسدَتْ أَغذِيتهم بالقلعة فعجزوا عن المعالجة بالبارد والحامى ، وثَقلُوا بعد ذلك على قَلْبِهَا فاستفْرَغَتْهُمْ من أَفواه المرامى .

---

(١) سورة النساء الآية ٧٨

(٢) كتب في الأصل «نيروز» هذا وسبق أن كتب عدة مرات نوروز .

وكتب كتابا آخر مهنئا بحلول الرّكاب الشريف بالقلعة المحروسة ، منه فى الإشارَة إلى استنزال نوروز من قلعة دمشق :

وأهبط اللهُ من ترفَّع بِطارِمَتِها وَتَمَرَّد إلى الهاوِيَة ، وأصلاه نار الجحيم ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ، نَارٌ حَامِيَة﴾ [1] ولا يخفى ظهورُ الأَهِلَّة مِنْ مَواطِئِ خيلنا وقد بَهرت بالأُفق الرُّومِيِّ لَمَعَاتُها ، وبُدُور أَخفاف المَطِيِّ وقد خَيَّلتْ فى غُرَرِ ذلك السَّراب هالاتُها ، وشُهُبُ الأَسِنَّة وقد زادتْ سُمُوًّا كأَنها تحاول ثَأْرا عند بعض النجوم ، والبلادُ الرُّومِيَّة وقد تَلاَ لسانُ الحال عند الغلبة ﴿ أَلم غُلِبَتِ الرُّوم ﴾ [2]

قلت : وقد كتبتُ إلى المَقَرِّ الناصِرِيِّ بن البَارزى كاتبِ السر الشريف كتابا بالتهنئة بهذا الفتح وهو بالشام ، منه :

هذا وسلطانه المؤَيد قَدْ تَدَكْدَكَ بسطوته الأَطوادُ الراسخة ، ونكَّسَ بقَهْرِهِ نواصِىَ القلاع الشامخة ، ودان له بالطاعة حتى النباتُ والجماد ، (١٥٢ ب) وتتابعت فَتكاتُه القامعة فاستأْصلت شَأْفة أَهل الفساد ، ودعا قَلْعَة دمشقَ ،

(١) سورة القارعة الآية ١٠ ، ١١

(٢) سورة الروم الآية ١ ، ٢

فلَبَّتْه ساجدة ، وصاح بها مِدْفَعُه الغضبان فَخَرَّت قائلة ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [١] واستَنْزَلَ الناكث من منيع حِصنه فقلَّده الأَغلالَ بعد أَن كان يُقَلِّدُه المِنَن ، وحاق بالماكرِ مَكْرُه السَّيِّئ فما لبث بعد الاستنزال أَن [٢].

وفى سنة ثمان عشرة وثمان مائة خرج الأَمير قانى بيه نائب الشام عن الطاعة بعد نوروز الحافظىّ ، والتف عليه لفيف من العساكر الشامية ، حتى صار لهم رُمٌّ عظيم وشوكة مُنْكِية ، واستولوا على دمشق وحلب ، فلما انتهى الخبر إلى السلطان بادر الخروج إليهم فى عدد قليل من العسكر وخِفّ من الأَثقال ، وسار من الديار المصرية وصحبته أَمير المؤمنين المعتضد بالله ، أَدام الله أَيامه ، فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ثمان عشرة وثمان مائة ، بعد أَن قدّم إليهم طليعةَ عسكره ، وقبضوا على بعض أُمرائها ، فعاجلهم السلطان بنفسه فى قليل ممن سبق معه من عسكره ، فأَوقع بهم على سَرْمين من أَعمال حلب فى رابع عشر شعبان من السنة المذكورة ، وكسرهم كسرة شنيعة لم

---

(١) سورة يس ٢٩ ، ٥٣

(٢) أى فما لبث بعد الاستنزال أن قتل .

يسمع بمثلها ، وقبض على جماعة من أعيانهم ، ودخل بهم مدينة حلب ، وفرّ قانى بيه فى طائفة قليلة ، فلم يلبث أن قُبض عليه وأُتى به إلى السلطان ، فقُتل هو وغيره ممن وقع فى القبضة الشريفة ، ووجّه برءوسهم إلى الديار المصرية فحُملت على الرماح ، ومُرَّ بها داخل القاهرة وأُتى بها إلى باب القلعة فعلّقت ، ثم إلى باب زويلة فعلّقت عليه ، وأَقام السلطان ومن معه بحلب ، ثم بحَماة إلى أَواخر الشتاء ، ثم أَتى الديار المصرية وصحبته أَمير المؤمنين المعتضد بالله فى سادس عشر ذى الحجة من هذه السنة ، على أَكمل النصر وأَتم التأْييد .

قلت : وكتبتُ إلى المقرِّ الناصرىِّ كاتبِ السرِّ الشريف المقدم ذكره كتابا بالتهنئة بهذا الفتح ، منه :

ويُنهى ورود خبرِ الفتْحِ الذى جَلَّ موقِعُه ففاتتْ عجائبُه الحَصْر ، وآذنَتْ بالظفر مُقدّماتُ نتائجه فكنَّى خليفَته أَبا الفتح وسلطانه أَبا النَّصر .

ومنه :

وقبض (١٥٣) على الناكثين ، فانبسطت لقبْضهم النفوس وأُريقت دماءُ المارقين ، فأُدِيرَتْ على سِباعِ البَرِّ من طِلا

دمائهم الكُؤوس .

ومنه :

وامتطى خبرُه السَّارُّ صهوةَ الشهباء من حَلَبَ استبطاءً لسَيْرِ الرَّواحل ، وسَرى سرورُه وَصَبَّح الديار المصرية وإن كان غيرُه يَسْرِي فَيُصْبِح دونها بِمَرَاحِل .

ومنه :

وحُمِلَتْ رءوس رءوسهم على الرماح فكانت لها عمائم ، وخِيف على باب زُويلَة المجاورةِ المدرسَةَ العَيْنُ فَعُلِّق عليه منها تمائم .

وفى هذه السنة توقف النيل فى أوائل زيادته ، ثم زاد بعد ذلك فأَفعَم ، وانتهى فى زيادته إلى تمام عشرين ذراعا ، وغمر الروابى وملأَ الوهاد ، وزرع الناس فأَكثروا حتى أَتَوْا على ما علاه النيل مما يصلح للزراعة ، ونبتَ الزرعُ أُحسن نبات ، واطمأَنّت بذلك قلوبهم ، وطابت به نفوسهم ، وجرى الحال على ذلك إلى أَواخر رمضان ، وكان الزرع فى السنة الخالية بالوجه البحرى وأَراضى الجيزِيّة وما والاها قليلَ المُتَحَصَّل ، وذهب أَكثرُ ما عند الناس من الحبوب بعد الاقتِيات فى زراعة هذه السنة ، فَنَفِدت الغلالُ من

القاهرة ومصر وبلاد الجيزِيّة والوجه البحرى ، وَعَزَّ القوتُ وعُدِم القمحُ والشعير والفول والخبز من القاهرة ومصر ، حتى لم يَكَدْ يُوجد ، وبلغ سعر القمح فى الظاهر نحو ستمائة درهم كل إردَبّ ، وربما زاد على ذلك ، إلاَّ أنه قد حَفَّ الناسَ فى ذلك لُطْفٌ لم يُوجد فى غيره من الغُلُوَّات من حيثُ طُمأْنينةُ قلوب الناس بما يترَجَّوْنه من نَجابة الزرع وقُرْب إدراكه ، واكتفى ضُعفاء الناس بالباقِلاَءِ الأَخضر وطعام الأُرز وغيره من سائر ما يُطبخ والله يرزق من يشاء بغير حساب .

ولايات الأَمصار فى خلافته

الديار المصرية والبلاد الشامية يومئذ بيد السلطان الملك المُؤيّد شيخ ، بعهد من أَمير المؤمنين المعتضد بالله أَبى الفتح داود خليفة العصر (١٥٣ ب) .

ومكة بيد حسن بن [أَحمد بن] عجلان ، وقد كُتب لرميثة بن محمد بن عجلان بها عن السلطان ، وهو وحسن ابن [أَحمد بن] عجلان يتنازعانها .

والمدينة بيد غُرير بن هيازع[1] .

(١) انظر الهامش في صفحة ٢٠٧ .

واليمن بيد الناصر أَحمد بن الأَشرف إسماعيل من بنى رسول .

وبغداد وتوريز وقُنْغُرْلان وهى السلطانية بيد قرا يوسف التركمانى ، وقد أَقرَّ ببغداد وأَعمالها ابنَه أَحمد شاه ، وتوريز والسلطانية وأَعمالها ابنه بربداخ ، وهما باقيان إلى الآن .

وخراسان وما وراء النهر وسائر بلاد الشرق إلى ما يتاخم بلاد توريز وما معها بيد شاه روخان بن تمرلنك ، ويقال : إنه على جانب عظيم من العدل ومحبة أَهل العلم وتقريبهم .

وتونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأَوسط بيد أَبى فارس عزوز بن السلطان أَبى العباس من الموحدين ، وهو على جانب من الشجاعة وقوة البأْس ، وقد دوّخ البلاد وأَقامها على سَنَن ، وكَفَّ الأَيدى المتعدية ، مع عدل وتواضع وحسن سيرة .

وتلمسان وما معها من الغرب الأَوسط بيد السعيد بن أَبى حمو من بنى عبد الواد ، فبقى حتى غلبه عليها أَخوه عبد

الواحد بن أَبي حمو وأَخرجه من البلد بغدر من أَهلها ، وفرّ السعيد إلى إفريقية ، فمات بِبُونة المعروفة ببلد العُنَّاب ، وبقى عبد الواحد فيها إلى الآن .

والغرب الأَقصى بيد أَبي سعيد عثمان بن أَبي العباس المَرِينى .

وغرناطة وما معها من الأَندلس بيد أَبي الحجاج يوسف ابن أَبي عبد الله بن أَبي الحجاج من بنى الأَحمر[1] .

---

(١) انظر صفحة ٢٠٩ .

الفصل الثانى

من الباب الثانى فى مَقَرَّات الخلفاء[1] ، وما انطوت عليه الخلافة من الممالك ، وبيان ترتيب الخلافة وشعارها ، وكيفيةِ تقليدِ الخليفةِ الملوكَ السلطنةَ .

أَما مقرات الخلفاء فهى أَربع مقرات :

المقرة الأُولى

المدينة النبوية على ساكنها أَفضل الصلاة والسلام

كانت مقرة الخلفاء الراشدين ، إلى حينِ انتقل علىٌّ رضى الله عنه (١٥٤ ا) إلى العراق ، وذلك أَن مبدأَ النبوة كان بمكة ، ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأَقام بها حتى توفى فى الثانى[2] عشر من ربيع الأَول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، ثم كان بعده بها فى الخلافة أَبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، ثم عمر ، ثم عثمان ،

---

(١) انظر صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٦٧

(٢) في صبح الأعشى جـ ٣ ص٢٦٧ «في الثالث عشر» وبالهامش « أن وفاته يوم الاثنين الثانى عشر ولكن في العقد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول ولعل المؤلف اعتمده » أما في هذا الكتاب فمشى المؤلف على المشهور.

ثم عليّ فى أَول أمره ، ثم انتقل بعد ذلك إلى العراق لقتال معاوية ، ثم خلفه ابنه الحسن فيه إلى حين تسليم الأَمر لمعاوية .

المقرة الثانية

الشام

وهى دار خلفاء بنى أُمية إلى حين انقراضهم ، وذلك أَن معاوية كان أَميرا على الشام قبل الخلافة ، ثم استقلَّ بالأَمر حين سلم إليه الحسنُ ، فبقى فى الشام هو ومن بعده إلى حين انقراض خلافتهم بقتل مروان بن محمد ، على ما تقدم ذكره ، وكانت دارُ إقامتهم دمشقَ ، وإن نزلوا غيرها فلغير إقامة .

المقرة الثالثة

العراق

وهو دار خلافة أَمير المؤمنين عليّ بن أَبى طالب حين انتقاله إليه ثم ابنه الحسن إلى حين تسليمه لمعاوية ، ثم كانت دارَ خلافة بنى العباس إلى حين انقراض الخلافة

من العراق بقتل المستعصم . وكان بَدْءُ مبايعةِ السفاح أولِ خلفائهم بالكوفة على ما تقدم ، ثم بنى بعد ذلك بالأَنْبار مدينةً وسماها الهاشميّة ، ونزلها ، فلما ولى أَخوه أَبو جعفر المنصور الخلافةَ بعده بَنَى بغداد وسكنها ، وصارت منزلا لخلفاء بنى العباس بعده إلى حين قتل المستعصم .

المقرة الرابعة

الديار المصرية

وهى الآن دار الخلافة ، وقد تقدم أن أَول من بويع بها منهم (١٥٤ ب) المستنصر بالله أَبو العباس أَحمد بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله ، وقد تقدم أَنه توجه إلى بغداد لقتال التتر فقُتل . ثم الحاكم بأَمر الله أَبو العباس أَحمد بن الحسين جدّ الخلفاء بها الآن . وقد تقدم أَن الأَشرف خليل بن المنصور قلاوون أَسكنه الكبش بخطّ الجامع الطولونى ، ثم صارت مساكنهم على القرب من المشهد النَّفيسى ، وهم على ذلك إلى الآن .

وأَما [1] ما انطوت عليه الخلافة من الممالك فإن حُكمها

(١) صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٦٩

امتدّ فيما بين المشارق والمغارب ، فكان يجرى تحت إمْرتهم من أَقاليم الشرق عراقُ العرب وعراق العجم وأَذربيجان وأَرمينية والأَهواز وكَرْمان وسِجِستان وفارس والسِّند والهِند وما وراء النهر وخُراسان وَطبَرِستان وغير ذلك ، ومن بلاد المغرب إفريقية والغرب الأَوسط والغرب الأَقصى ، والأَندلس فى بعض الأَزمنة . ومن أَوساط الأَقاليم الديارُ المصرية والبلاد الشامية . والثغور والعواصم وبلاد الروم وما فى معنى ذلك . وكانت الأَموال تحمل من جميع الأَقاليم . – بعد تَكْفية الجيوش – إلى بيت المال على بُعد المسافة حتى يقال : إن الرشيد كان يستلقى على قفاه وينظر إلى السحابة فيقول : اذهبى إلى حيثُ شئت يأْتِنِى خراجُك ، وبقى الأَمر على ذلك حتى تغلب المتغلِّبون على الممالك واستولوا عليها ، وصار الأَمر على ما صار إليه الآن ، والله غالبٌ على أَمره .

وأَما ترتيب الخلافة (١)

فاعلم أَنها لم تزل لابتداء الأَمر جارية على ما أُلف من سيرة النبى صلى عليه وسلم من خُشونة العيش والقُرب من الناس واطِّراح الخُيَلاء وأَحوالِ الملوك ، مع ما فتح الله تعالى

(١) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٧٠

على خلفاء السلف من الأَقليم وجُبِيَ إليهم من الأَموال التى لم يفز عظماء الملوك بجزء من (١٥٥ ا) أَجزائها ، وناهيك أَنهم فتحوا عدَّة من الممالك العظيمة التى كانت يُضرب بها المثل فى عظيم قدرها وارتفاع شأْن ملوكها من ممالك الشرق والغرب ، حتى ذُكِر عظماءُ الملوك عند بعض السَّلَف فقال : إنما المَلِك الذى يأْكل الشعير ويعُسُّ [1] على رجليه بالليل ماشيا ، وقد فُتِحت له مشارق الأَرض ومغاربها . يريد عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه . وقد حُكِى أَنه رضى الله عنه حين أَتى لفتح بيت المقدس كان يُخرِج من مِخلاةِ فرسِه كِسَراً يابسة من خُبز فيمسحها من التراب ويأْكلها ، فلما رآه عظماء بيت المقدس قالوا : لا طاقة لنا بهذا .

ولم يزل الأَمر على ذلك إلى أَن سلَّم الحسن رضى الله عنه الأَمرَ لمعاوية بن أَبى سفيان ، فأَخذ فى إظهار أُبَّهة الخلافة وترتيب أُمورها على نظام الملك ، لما فى ذلك من إرهاب العدو وإخافته ، وتزايد الأَمر فى ذلك حتى اضمحلَّ فى جانب الخلافةِ سائرُ الممالك العظيمة وانطوى فى ضِمنها ممالك المشارق والمغارب ، وفاقت بأُبَّهتها الأَكاسرة والقياصرة ،

---

(١) في الأصل : « ويمشى » والتصويب من صبح الأعشى .

وهابتها ملوك الأَرض قاطبة لا سيما فى أَوائل الدولة العباسية ، حتى يُحكى أَن صاحب عَمُّورية من ملوك الروم كانت عنده شريفة من ولد فاطمة رضى الله عنها مأْسورة فى خـلافة المعتصم [1] بن الرشيد فعذَّبهـا فصاحت الشريفة : وامُعتصماه ، فقال لها الملك : لا يأْتى لخلاصك إلاَّ على أَبلق . فبلغ ذلك المعتصمَ فنادى فى عسكره بركوب الخيل البُلْق ، وخرج وفى مقدمة عسكره أَربعةُ آلاف أَبلق ، وأَتى عَمُّوريَّة وفتحها وخلّص الشريفة وقال : اشهدى لى عند جَدِّك أَنى أَتيت لخلاصك ، وفى مقدّمة عسكرى أَربعةُ آلاف أَبلق . على ما تقدم ذكره ، إلى غير ذلك من القوة والعظمة التى كانت الخلافة فيها .

وقد حكى ابن الأَثير فى تاريخه أَنه لما وصلتْ رسلُ ملكِ الروم إلى بغداد فى سنة خمس وثلاثمائة فى خلافة المقتدر ، رُتِّب من العسكر فى دار (١٥٥ ب) الخلافة مائة وستون أَلفا ما بين راكب وراجل ، ووقف بين يدى الخليفة سبعُ مائة حاجب وسبعة آلاف خادم خصِىّ : أَربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود ، ووقف الغِلْمان الحُجريَّة [2]

(١) فى الأصل «المستعصم» وهو سهو.

(٢) فى صبح الأعشى كتبت : «المجرية» هذا والحجرية نسبة إلى الحجرة لاختصاصهم بالقصور.

- الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن - بأتم الزينة والمناطق المُحَلاَّة ، وزُيِّنت دار الخلافة بأنواع الأسلحة وغرائب الزينة ، وغُشِّيت جدرانها بالسُّتور ، وفُرشت أرضها بالبُسط ، وكان عِدَّة البُسط اثنين وعشرين ألف بساط ، وعدة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف سِتر ، منها اثنا عشر ألف ستر من الدّيباج المُذهب ، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب ، الفضة بأغصانها وأوراقها ، وطيورُ الذهب والفضة على أغصانها ، وأغصانُهاَ تتمايل بحركات مصنوعة ، [(١)] والطيور تُصَفِّر بحركات مُرَتَّبة ، وأُلْقيت المراكب والدبادب فى دِجْلة بأحسن زينة ، وكان هناك مائة سَبُع مع مائةِ سَبَّاع ، إلى غير ذلك من الأحوال الملوكية التى يطول شرحها ، قال القُضاعىُّ فى « عيون المعارف » : ولم يزل أمر الخلافة متماسكا [(٢)] إلى حين استُخلف المُتَّقِى [لله] ، فتفرَّد بتدبير الأمور غيرُ الخلفاء ، وتغلّبت على ما نأى من البلدان ، الأقوى فالأقوى ،واقتُصِر على الدعاء لهم على المنابر . وفى أيام المستكفى بالله استولى

---

(١) في صبح الأعشى : موضوعة .

(٢) في الأصل : متماسك .

بنو بُويه على بغداد ، واستبدَّ معزّ الدولة بن بويه بالأَمر ونُقِش اسمُه عـلى الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة ، وشاركه فى الدعاء على المنابر ، وتصرَّف فى أُمور الدولة تصرُّفَ الملوك ، ورَتَّب للخليفة كلَّ يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته لا يصل إِليه غيرها ، بعد أَن كان يُحْمَل إِلى خزانته أَموال المشرق والمغرب . هذا مع تقهقر الخلافة وانحطاط رتبتها يومئذ .

وقد كان للخلافة رسوم جارية على ترتيب خاص ، بعضُها مُضاهٍ لترتيب المُلك الآن ، وبعضها خارج عنه ، منها :

الجلوس عـلى سرير الخـلافة فى المواكب ، وقد ذَكَر (١٥٦ ا) بعض المؤرخين أَن أَصل ذلك أَن معاوية بن أَبى سفيان لما بَدُنَ استأْذن أَصحابه فى اتخاذ شئ يجلس عليه للاستراحة ، فأَذنوا له فى ذلك ، ثم زادوا فى ارتفاعه حتى صار السرير الذى يجلس عليه الخليفة فى المواكب نحو سبعة أَذرع فيما حكاه ابن الأَثير وغيره عند ذكر سلطنة طغريل[1] السلجوقى ، على ما سيأْتى ذكره ، وكان يُفْرَش للخليفة

---

(١) يلاحظ أنه يكتب في الأصل «طغريل» وأن غيره يكتبه طغرل وقد تقدم التنبيه على ذلك .

على سرير الخلافة فرش مرتفعة وهى التى يعبر عنها بسُدَّة الخلافة .

ومنها : الصلاة فى المقصورة فى الجامع فى الجمعة والعيدين ، وقد ذكر المؤرخون أَن أَول من اتخذ المقصورة فى الجامع معاوية ، على ما تقدم ذكره فى ترجمته ، ثم اختُلف فقيل : إنه اتخذها حين طعنه الخارجىُّ ، وقيل : بل رأَى كلبا على منبره فاتخذها ، وقيل : أَول من اتخذها مروان بن الحكم ، اتخذها من حجارة منقوشة فيها كُوًى مُفَتَّحة ، وقيل : أَول من اتخذها عثمان بن عفان رضى الله عنه خوفا أَن يصيبه ما أَصاب أَمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، على ما سيأْتى ذكره فى الباب السابع إن شاء الله تعالى .

ومنها : ضرب الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة ، وقد ذَكر الماوردى فى « الأَحكام السلطانية » (1) أَن أَول من ضرب الدنانير والدراهم فى الإِسلام عبد الملك بن مروان فى سنة خمس وسبعين من الهجرة ، وقيل سنة أَربع وسبعين وكتب عليها ﴿ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ (2) وكان المتولى لأَمر

---

(1) انظر الأحكام السلطانية ص ١٣٩

(2) سورة الإخلاص الآية ١ ، ٢

ذلك الحجاج بن يوسف ، ثم ضربها فى سائر النواحى فى سنة ست وسبعين ، ثم وَلِىَ ابنُ هُبَيرة العراقَ فى أيام يزيد بن عبد الملك فجوّد السِّكَّة ، ثم بالغ خالد القسرى فى تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده ، وقيل : إن أول من ضَرَبها مُصعبُ بن الزُّبير بأَمر أَخيه عبدالله بن الزبير حين استولى على الحجاز ، وكتب على أَحد الوجهين : بركة ، وعلى الوجه الآخر اسم الله تعالى ، ثم غيَّرها الحجاج وكتب عليها : باسم الله ، وكتب بعده : الحجَّاج ، ثم أُضيفت أَسماء الملوك فى السِّكَّة إلى أَسماء الخلفاء ، ثم أُبطلت أَسماء الخلفاء (١٥٦ ب) من السكة جُملة ، واقتُصر على أَسماء الملوك .

ومنها : نقْش اسم الخليفة على ما يُنسج من الكُسْوة والطُّرُز من الحرير والذهب بلون مخالف لِلَوْن الأَصل ، ليمتاز بذلك ما يختص بالخلافة عن غيره ، وهو رسم قديم للخلفاء فى الدولتين الأَموية والعباسية ، ثم أُبدل ذلك باسم الملوك عند تغلُّبهم على الخلفاء ، كما تقدم فى أَمر الدنانير والدراهم .

ومنها : خَطابة الخليفة بنفسه فى مكان إقامته ، وخطابة

الأُمراء بالأَعمال التى يلونها عن الخلفاء ، وهو رسم قديم من صدر الإِسلام إلى حينِ تَقَهقُرِ أَمرِ الخلافة . فأَهمل الخلفاءُ الخطابَة بأَنفسهم ، وفوَّضوها إلى الخطباء ، وقد ذكر ابنُ الأَثير وغيره أَن آخر خليفة خطب بنفسه على منبرٍ بكثرة الراضى ، وإن كان غيره ربما خطب ، نادرا .

ومنها : الدعاء للخليفة على المنابر ، وهو رسم قديم للخلفاء ، ورأَيت فى بعض التواريخ أَن أَول خليفة دُعِى له على منبر أَميرُ المؤمنين على بن أَبى طالب رضى الله عنه ، دعا له عبد الله بن عباس بالبصرة فقال : اللهم انْصُر[1] عَلِىَّ الحقِّ ، فتبعه الناس بعد ذلك فى الدعاء للخلفاء على المنابر فى سائر الأَعمال ، قال أَبو هلال العسكرى فى كتابة « الأَوائل » : وأَول من دُعِىَ له بِنَعْتِه على المنبر محمدٌ الأَمين بن الرشيد فقيل : وأَصْلِح عَبْدَك وخليفتك عبدَ الله محمداً الأَمين . ولم يُذكَر قبله نعتُ أَحد من الخلفاء على منبر . وكانت الخلفاء يُفْرَدُون بالدعاء على المنابر ، إلى أَن غلبت الملوك على الخلفاء فأُشرِكوا معهم فى الدعاء . قال

(١) الكلمة في الأصل تحتمل أيضا : انصره َعلىّ الحق .

محمد بن عبد الله الهمَذانى فى « ذيله على تاريخ الطبرى » :
وأَول من أُشرك فى الدعاء له على المنابر مع الخليفة عضد الدولة ابن بُويه فى سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، فى خلافة الطائع ، ثم جرى الملوك بعده على ذلك .

ومنها : انفراد الخلفاء بالكتابة على ولايات الوظائف ، كالوزارة والقضاء وسائر الولايات ، ولم يزل (١٥٧ ا) ذلك مختصا بهم إلى حين انقراض الخلافة من بغداد إلا ما يُوَلِّيهِ الوزراءُ ومن فى معناهم من صغار الولايات المُفَوَّضَةِ إليهم ، ثم نُقِلَ ذلك إلى الملوك بحكم تفويض الخلفاء الأمورَ العامَّةَ إليهم ، خلا ولاياتِ الملوك فإنها مما يختص به الخلفاء إلى الآن .

وأَما شعار الخلافة [١]

فمنها : الخاتم ، والأَصل فيه ما ثبت فى الصحيح أَن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له : إن الملوك لا يقرأُون كتابا غير مختوم ، فاتَّخذ خاتما من وَرِقٍ ، وجعل نقشه : محمدٌ رسول الله ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٧٣

لبسه أَبو بكر بعده ، ثم لبسه عمر بعد أَبى بكر . ثم لبسه عثمان بعد عمر ، فوقع منه فى بئر أَرِيسَ ، فلم يقدر عليه .

واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيمَ ، لخاتَم ِكلِّ خليفة نقشٌ يخصُّه ، وبقى الأَمر على ذلك إلى حين انقراض الخلافة من بغداد ، إلاَّ أَن المؤرخين أَهملوا ذكر خواتم الخلافة فى أَواخر الدولة العباسية بالعراق .

ومنها : البُرْدَة ، وهى بُرْدة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان الخليفة يلبسها فى المواكب ، قال أَبو السعادات بن الأَثير فى « نهايته فى غريب الحديث »[1] : وهى شَمْلَة مُخَطَّطة ، وقيل كساء أَسود .

وقد اختُلف فى وصولها إلى الخلفاء ، فحكى الماوردى فى « الأَحكام السلطانية »[2] عن أَبان بن تغلب أَن النبى صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية وتناقلها الخلفاء بعده .

والذى ذكره غيره أَن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية وقال :

---

(١) النهاية جـ ١ ص ٧٢ مادة « برد » : « والبردة الشملة المخططة وقيل كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب وجمعها برد » .

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥٣

لم أَكن أُوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحدا ، فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى الماوردى [(١)] أَيضا عن ضمرة [(٢)] بن ربيعة (١٥٧ب) أَن هذه البردة كان النبي صلى الله عليه وسلم أَعطاها أَهل أَيْلَة [(٣)] أَمانا لهم ، فأَخذها منهم عبد الله [(٤)] ابن خالد بن أَبى أَوفى ، وهو عاملٌ عليهم من قِبَل مروان ابن محمد آخرِ خلفاء بنى أُمية ، وبعث بها إلى مروان ، فكانت فى خزانته حتى أُخذت بعد قتله ، وقيل : اشتراها أَبو العباس السفاح أَول خلفاء بنى العباس بثلاثمائة دينار .

ومنها : القضيب ، وهو عمود كان النبي صلى الله عليه وسلم يأْخذه بيده ، قال الماوردى [(٥)] : وهو من تركة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى صدقة .

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٥٣

(٢) في الأصل : حمزة بن ربيعة والتصويب من الأحكام السلطانية . وفي الصحابة ضمرة بن ربيعة ، وليس فيهم حمزة بن ربيعة . راجع الإصابة والذى في صبح الأعشى أيضا حمزة ابن ربيعة .

(٣) في الأصل وصبح الأعشى: « أعطاها لأهل أيلة » والتصويب من الأحكام السلطانية واللغة فإن أعطى تتعدى للمفعولين .

(٤) هوكذلك في صبح الأعشى أيضا أما في الأحكام السلطانية فهو : سعيد بن خالد بن أبي أوفى.

(٥) الأحكام السلطانية ص١٥٣ : وهو من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ....

قلت : وكان القضيب والبُرْدة جميعا عند خلفاء بنى العباس ببغداد ، إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقى من المسترشد بالله ، ثم أُعيدا إلى المقتفى عند ولايته فى سنة خمس وثلاثين وخمس مائة ، والذى يظهر أنهما بقيا عندهم إلى انقراض الخلافة من بغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة ، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة ، وهى مدة قريبة لا تمنع تفاوتهما إليها [1] .

ومنها : ثياب الخلافة ، وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى «تاريخه» عند الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحدِ ملوك بنى أَيوب باليمن أَنه كان به هَوَج ، فادَّعى أَنه من بنى أُمية ، ولبس ثياب الخلافة ، ثم قال : وكان طولُ الكُمِّ يومئذ عشرين شبرا [فيحتمل أَنه أَراد زمن بنى أُمية وأَنه أَراد زمن بنى أَيوب] .

ومنها : لون الأَعلام والخِلَع ونحوها .

فبنو أُمية يقال ، إنه كان شعارهم الخُضْرة ، وقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد صاحب اليمن المقدَّم ذكره أَنه حين ادَّعى الخلافة وأَنه من بنى أُمية لبس الخُضرة ، وهذا

(١) فى صبح الأعشى جـ ٣ ص ٢٧٤ وهى مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتها .

صريح فى أَن شعارهم الخضرة .

وأَما بنو العباس فشعارهم السَّوَاد ، وقد اختُلف فى اختيارهم السواد ، فذكر القاضى الماوردى فى كتابه «الحاوى [الكبير]» فى الفقه أَن السبب فى ذلك أَن النبى صلى الله عليه وسلم عقد لعمِّه العباس رضى الله عنه (١٥٨ ا) فى يوم حنين ويوم الفتح راية سوداء .

وذكر أَبو هلال العسكرى فى كتابه «الأَوائل» أَن السبب فى ذلك أَن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أَمية حين أَراد قتل إِبراهيم بن محمد العباسىِّ المعروف بالإِمام أَوَّلِ القائمين من بنى العباس لطلب الخلافة قال لشيعته : لا يهولَنَّكم قتلى ، فإِذا تمكنتم من أَمركم فاستخلفوا عليكم أَبا العباس يعنى السَّفَّاحَ ، فلما قتله مروان لبس شيعتُه عليه السَّوَادَ ، فلزمهم ذلك وصار شعاراً لهم .

ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد فى كتابه «المغرب» أَنَّ الظافر ، أَحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، لما قتله وزيره عبَّاس ، بعث نساءُ الخليفة شعورَهن طَىَّ الكتب ، إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ

والى مُنْيَة بنى خَصِيب [1] من صعيد مصر ، فحضر إليهم الصالح وقد رفع تلك الشُّعورَ على الرماح ، وأقام الراياتِ السودَ إظهاراً للحزن على الظافر ، ودخل القاهرة وهو على ذلك ، فكان ذلك من الفأْل العجيب ، وهو أن مصر انتقلت إلى بنى العباس وأُقيمت فيها الأَعلام السود بعد خمس عشرة سنة .

وأما كيفية [2] تولية الملوك الخلفاءُ وترتيبهم فى ذلك فله حالتان :

الحالة الأَولى : ما كان الأَمر عليه فى الزمن الأَول ، والخلافةُ بالعراق ، والحالُ فيه مختلف ، فتارة تكون السلطنةُ التى تُوَلَّى بحضرة الخلافة ، كسلطنة بنى بويه وآل سلجوق وغيرهم ، وتارة تكون ببعض الأَطراف ، كالديار المصرية حينئذٍ ونحوِها ، فإن كانت السلطنة بحضرة الخلافة فقد جرت عادتهم فى ذلك أَن يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسىٍّ عالٍ ، ويحضر السلطان الذى تولى فيجلس على كرسىٍّ لطيف (١٥٨ ب) أَمام

(١) في هامش صبح الأعشى تعليق نصه : معجم البلدان [منية أبي الخصيب] .

(٢) صبح الأعشى حـ ٣ ص٢٧٥

كرسيّ الخليفة ، ويحضر أعيان المملكة ورؤساؤها ، ويخاطِب الخليفةُ السلطانَ بالولاية على لسان الوزير ، ثم يُخْلع على السلطان خِلعةُ الخلافةِ ، ويُحمل على مراكب من إصطبلات الخليفة ، ويذهب السلطان إلى داره ، فيرسل السلطان التقادِمَ السنِيَّة .

كما حكى ابن الاثير وغيره أَن السلطان طُغْرلبك [1] ابن ميكائل السَّلجوقى لما تقلد السلطنة عن القائم بأَمر الله فى سنة تسع وأَربعين وأَربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسىٍّ ارتفاعه عن الأَرض نحو سبعة أَذرع ، وعليه البُرْدة ، وأَقبل طغرلبك فى جماعته ، وأَعيان بغداد حاضرون ، فقبلَّ طغرلبك الأَرض وَيدَ الخليفة ، ثم جلس على كرسىٍّ نُصِب له ، ثم قال رئيسُ الرؤساء وزيرُ الخليفة ، للسلطان عن لسان الخليفة : إن أَمير المؤمنين قد ولاَّك جميع ما ولاَّه الله تعالى من بلاده ، وردَّ إليك أَمر عباده ، فاتَّق الله فيما ولاَّك ، واعرف نعمته عليك ، ثم خُلِــع على طغرلبك سبعُ جُبَّاتٍ سُود بزِيق واحد ، وعمامةٌ سوداء ، وطُوِّق بطَوْقٍ من ذهب ، وسُوِّر بسوارين من ذهب ، وأُعطى سيفا بغلاف من

---

(١) هنا كتبت صوابا كما هو في صبح الأعشى ولم تكتب « طغريل» .

ذهب ، ولقَّبــه الخليفة وقُرِئ عهدُه عليه ، فقبَّل الأَرض ويدَ الخليفــة ثانيا وانصرف ، وقد جُهِّز له فرس من إسطبلات الخليفة بمركب من ذهب مُقَنْدَس ، فركب وانصرف إلى داره ، فبعث إلى الخليفة خمسين أَلف دينار ، وخمسين مملوكا من التُّرك بخيولهم وسلاحهم ، مع ثياب وغيرها .

فهذا كان شأْنهم فى تولية السلطنة بحضرة الخلافة .

وإن كان الذى يُولِّيه الخليفةُ السلطنةَ من ملوك الأَطراف جُهِّز له التشريفُ من بغداد صحبةَ رسول من جهة الخليفة ، وهو جُبَّةٌ أَطلس أَسود بطراز مُذْهَب ، وطَوْقٌ من ذهب يجعل فى عنقه ، وسِوارَانِ من ذهب يُجعلان فى يديه ، وسيفٌ قِرَابُه مُلَبَّسٌ بالذهب ، وفرَسٌ بمَرْكبٍ من ذهب ، وعَلَمٌ (١٥٩ ا) أَسودُ مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ، يُنشر على رأسه ، وصحبة ذلك تقليدُه بالسلطنة ، وربَّما جُهِّز مع خِلعة السلطان خِلَع أُخرى لولده أَو وزيره أَو أَحد أَقاربه ، بحسب ما يقتضيه الحال حينئــذ ، كما كان يُبعث مثل ذلك إلى السلطان صــلاح الدين يوسف بن أَيوب بالديار المصرية ، ثم إلى أَخيه العادل فمَنْ بعده مِن ملوك بنى أَيوب ،

إلى أَن كان آخر من وصل إليه ذلك منهم من بغداد الملك الناصر يوسف بن السلطان [العزيز بن السلطان] صلاح الدين عن المستعصم بالله فى سنة خمس وخمسين وستمائة .

وكان من عادتهم فى ذلك أَنه إذا وصل التشريف والتقليد إلى سلطان تلك الناحية أَن يَلْبسَ السلطانُ الخِلعة والعمامةَ ، ويتقلَّد السيف ، وَيركب الفرس ، ويَسير فى موكبه حتى يصل إلى مقرِّ مُلكه .

الحالة الثانية : ما الأَمرُ مستقرّ عليه بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية ، والأَمر فيه على نحو ما سبق فى الحالة الأُولى فيما إذا كان السلطانُ الذى يُوَلَّى بحضرة الخلافة ، لأَن الخلعة تكون جبة واحدة بزيق ، لا سبع جبات بزيق واحد ، وقد كان فيما تقدم يلبس السلطان طوق الذهب دون السوارين (1) ، ثم تُرِكَ الطوق والسواران جميعا ، وبقى ما عدا ذلك من أَصناف التشريف .

وأَوّل تقليد قُلِّدَه سلطانٌ من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية تقليدُ الملِك الظاهر بيبرس البندقدارى صاحب الديار

---

(1) في الأصل « طوق الذهب مع السوارين » ووضع بالهامش بالخط نفسه : « دون السوارين » ووضع علامة صح . فيحتمل أن يكون الكلام « طوق الذهب مع السوارين [ثم طوق] دون السوارين ثم ترك الطوق والسواران » لكن تقليد الظاهر بيبرس خلا من السوارين .

المصرية عن الإمام المستنصر بالله أَبى العباس أَحمد بن
الظاهر بالله بن الناصر لدين الله أَول خلفائهم بالديار المصرية ،
فى شعبان من شهور سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وذلك أَنه
بعد أَن بايع السلطانُ الملكُ الظاهرُ المستنصرَ بالله المقدَّمَ ذكره
بالمجلس العام ، قلَّده السلطنةَ وكُتِبَ له بذلك عهدٌ من
إنشاء صاحبِ ديوان إنشاء السلطان الصاحبِ فخر الدين
إبراهيمَ بنِ لقمان (١٥٩ ب) وكتبَ السلطانُ الكتبَ إلى
النُّوَّاب والملوك بالأَقطار بأَن يُخْطب له على المنابر مع السلطان
ويُبدأَ به فى الذكر ، ويُنقش اسمه معه فى السِّكَّة على
الدنانير والدراهم ، فلما كان يوم الجمعة بعد ذلك خطب
الخليفةُ بنفسه بجامع القلعة ، ثم لما كان يوم الاثنين بعد
ذلك ركب السلطانُ إلى خَيمةٍ ضُرِبت له بالبستان الكبير
بظاهر القاهرة المحروسة من الجهة البحرية ، ونزل بها هو
والخليفة ، ولبس منه خلعة الخلافة وهى عمامة بنفسجىّ
وجُبَّة سوداء وطوق ذهب فى عنقه ، وسيف بداوىّ تقلده ،
وجلس السلطان مجلسا عاما بحضرة الخليفة والوزير والقضاة
والأُمراء والعلماء ، ونُصب لكاتب سرّه الصاحبِ فخرِ الدين
ابن لقمان مِنْبَرٌ ، فصعد عليه وقرأَ تقليد السلطـان ،

ثم ركب السلطانُ بالخلعة والطَّوق ودخل من باب النصر من المدينة وهى مزينة له ، وحَمَل وزيره الصاحب بهاء الدين ابن حنَّا التقليدَ على رأسه ، ومشى به فى الموكب بين يدى السلطان ، والأُمراءُ مشاةٌ حوله وأَمامه .

ورأَيت فى بعض التواريخ أَن الإِمام الحاكم بأَمر الله أَبا العباس [1] أَحمد بن المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان حين عَهِد بالسلطنة إلى الملك المنصور أَبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعته الحاكمَ المذكورَ عند موت أَبيه فى سنة اثنتين وأَربعين وسبعمائة ، طلع الأَمراءُ والقضاةُ إلى القلعة ، واجتمعوا بدار العدل ، وجلس الخليفةُ على الدرجة الثالثة من التخت ، وعليه خلعةٌ خضراءُ وعلى رأَسه طرحةٌ سوداء مرقومة بالبياض ، وخرج السلطان من القصر إلى الإِيوان من باب السرِّ على العادة ، فقام له الخليفة والقضاة والأُمراء وجاء السلطان فجلس على الدرجة الأُولى من التخت دون الخليفة ، ثم قام الخليفة فقرأَ ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَان ﴾ [2] إلى آخر الآية ، وأَوصى السلطانَ

---

(١) فى الأصل أبى العباس .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠

بالرفق بالرعية وإقامةِ الحق . (١٦٠ ا) وإظهارِ شعائر الإسلام ونُصرةِ الدين ثم قال : فَوَّضْتُ إليك جميعَ أَمر المسلمين ، وقلّدتُك ما تقلَّدتُه من أُمور الدين ، ثم قرأ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ﴾ [1] إلى آخر الآية ، ثم أُتِى الخليفةُ بخلعةٍ سوداءَ وعمامةٍ سوداءَ مرقومةِ الطَّرَف بالبياض ، فألبسها السلطانَ ، وقلَّده سيفه ، ثم أُتِىَ بالعهد المكتوب عن الخليفة ، فكَتَبَ عليه ما صورته : فوَّضْتُ إليه ذلك ، وكَتبَ أَحمدُ بن عَمِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وكتب القضاةُ الأَربعةُ شهادَتهم بالتَّوْلِية . ثم أُتى بالسِّماط على العادة .

وأَخبرنى من حضر تقليدَ الإمام المتوكِّل على الله أَبى عبد الله محمدٍ السلطانَ الملكَ الناصر فرجَ بن الظاهر برقوق بعد وفاة والده الظاهرِ أَنَّ الخليفةحضر هو وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى والقضاةُ الأَربعة وأَهلُ العلم وأُمراءُ الدولة إلى مقعدٍ بالإسطبلات السلطانية ، وجلس الخليفةُ فى صدر المكان على مقعدٍ مفروشٍ له ، ثم أَتى السلطانُ وهو يومئذ حَدَث السنِّ ، فجلس بين يديه ، فسأَله شيخ

---

(١) سورة الفتح الآية ١٠

الإسلام عن بلوغه الحُلُمَ فأجاب بأَن نَعَم ، فخطبَ الخليفةُ خطبةً ، ثم خاطب السلطانَ بتفويض الأَمر إليه ، على نحو ما تقدم ذكره ، ثم أُتِى الخليفةُ بِخلعةٍ سوداء وعمامةٍ سوداء مرقومةِ الطرفِ بالبياض فألبسهما للسلطان ، ولبس الخليفةُ أَيضا خلعةً سوداء بعمامةٍ سوداء مرقومة ، ثم جلس الخليفة فى مكانه الذى كان جالسا فيه على المقعد ، ونُصِب للسلطان كرسىٌّ إلى جانب المقعد الذى عليه الخليفة فجلس عليه ، وجلس الأُمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم .

قلت : والذى استقرّ عليه الحالُ فى جائزة تقليدِ السلطنةِ مما يُرْسِل به السلطانُ إلى الخليفة أَلف دينار ، مع قماش سِكَنْدَرِىّ ضمن بُقْجة ، بحسب الحال . (١٦٠ ب)

الفصل الثالث

من الباب الثانى

في ذكر المشاهير ممن ادّعى الخلافة فى بعض الأَقاليم ، وبطلان شبهة دعاويهم .

أَما المشاهير ممن ادّعى الخلافة فى بعض الأَقاليم ، فاعلم أَنه قد قام على خلفاء بنى العباس فى أَول أَمرهم قائمون من العَلَويِّين فى بلادٍ وأَزمان مختلفة ، فمنهم من قُبِض عليه ولم يتمَّ له أَمر ، كمحمد بن علىٍّ ، الخارج على أَبى جعفر المنصور ، ومنهم من فرَّ إلى البلاد البعيدة ودعا إلى نفسه فكان له دولةٌ ، كإِدريس الأَكبر بن حسن المُثَلَّث ابن حسن المثنّى بن الحسن السِّبْطِ حين فرّ إلى الغرب الأَقصى ، فكان له ولعقبه به دولة ، ثم انقرضت ، إلا أَنه لم يَدَّعِ أَحدٌ منهم الخلافة ، وطالت دولته .

إلاَّ ثلاث طوائف :

الطائفة الاولى

بنو أُمية بالأَندلس

وذلك أَن بنى العبــاس عند استيــلائهم على الأَمر ، وانتقال الخلافة إِليهم ، تتبعوا بنى أُمية بالقتل ، فهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هِشام بن عبد الملك بن مروان ، وسارحتّى دخل الأَندلس ، فعُرِف بالدَّاخل لذلك ودعا إِلى نفسه بالخلافة هناك ، واستولى على ما كان بيد المسلمين من الأَندلس فى سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة ، وقصده بنو أُميّة من المشرق والتجئُوا إِليه ، وتوفى فى ربيع الآخر سنة إِحدى وسبعين ومائة ، وملك بعده ابنه هِشام ، واستخلف بعده ابنه الحَكَم [ابنه عبد الرحمن وملك بعده ابنه محمد] وملك بعده ابنه المنذر ، وملك بعده أَخوه عبد الله وملك بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله وتلَقب بالناصر ، وخوطب بأَمير المؤمنين بعد أَن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة ، وهو أَول من تلقب (١٦١ ا) منهم بأَلقاب الخلافة ودُعى بأَمير المؤمنين ، وكانوا قبل ذلك يخاطبون بالإِمارة خاصة ، وولى الأَمر بعده ابنه الحكم ، وتلقب

بالمستنصر ، وعهد إلى ابنه هشام ولقّبه المُؤَيَّد ، فغلبه على الأَمر محمد بن هشام بن عبد الجَبَّار بن عبد الرحمن الناصر المُقَدّم [ذكره] وتلقّب بالمهدى (١) [ثم غلبه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، ثم غلبه محمد بن هشام المهدى المذكور] ثم عاد هشام بن الحكم المقدّم ذكره ، ثم عاد سليمان بن الحكم المُقَدَّم ذكره ولُقِّب بالمستعين ، ثم غلبه المهدىُّ محمد بن هشام المقدَّم ذكره ، ثم غلبه المستعين على قُرْطُبة ثم قُتِل المهدىُّ محمد بن هشام المذكور وعاد [هشام] إلى خلافته [هذا كله والمستعين محاصر لقرطبة إلى أن افتتحها عنوة وقتلوا] المُؤَيَّدَ (٢) هشاماً ثم غلب علىٌّ وقاسم ولدا حَمّود من الأَدارسة على قرطبة ، وقتلوا المستعين وأَزالوا مُلْك بنى أَمية من الأَندلس ، ثم غلب على الأَندلس المُرْتَضى بالله عبدُ الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ، ثم ولى بعده المستظهر بالله عبدُ الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار ، ثم غلب عليه المستكفى بالله محمد بن

(١) في الأصل تكرار ونقص ، ففيه . بن عبدالناصر المقدم ثم غلبه عليه محمد بن هشام وتلقب بالمهدى فحذفنا المكرر وأثبت الزيادة من صبح الأعشى حـ ٥ ص ٢٤٥

(٢) في الأصل « وعاد إلى خلافته وقتل المؤيد هشاما » والتصويب والزيادة من صبح الأعشى .

عبد الرحمن بن عبيد الله [1] بن عبد الرحمن الناصر ، ثم رجع الأَمر إلى الأَدارسة ، ثم بُويع للمعتـــد بالله هشام بن محمد أَخى المرتضى ، وتوفى سنة ثمان وعشرين وأَربعمائة ، وانقطعت دولتهم من الأَندلس .

وقد مضى القول على ذلك مفصلا فى خلال تراجم الخلفاء.

الطائفة الثانية :

العبيديون

وهم أَبناء عبيـــد الله المهـــدى [2] ، ويقال لهم العلويُّون ، نسبة إلى أَمير المؤمنين علىٍّ بن أَبى طالب رضى الله عنه ، والفاطِميُّون ، نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالمصرِيين ، نسبة إلى مصر لاستقرارهم بها آخرا ، وكان مبدأ أَمرهم أَن المكتفى بالله طَلَب عُبيد الله المذكور وهو يومئذ بِسَلَمْيَه لأَمر بلغه عنه ، ففرّ من الشام إلى العراق ، ثم لحق بمصر (١٦١ب)

(١) في الأصل : « عبدالله » والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : قال صاحب كتاب « المشرق في تاريخ المشرق » . وصحح ابن الطوير نسبهم وقال المهدى من أولاد الثلاثة الذين اختفوا .

فى جماعة من خاصته ، ولحق بإفريقية من بلاد المغرب فى زى التجار ، ووصل إلى المغرب الأَقصى ، ودخل سِجِلْمَاسة ببلاد المغرب ، فورد على عاملها كتابٌ بالقبض عليه ، فقُبِض عليه هو وابنه أَبو القاسم نزار ، وكان أَبو عبد الله الشيعى من شيعته قد أَقام له الدعوة بتلك البلاد قبل دخولها ، فسار من إفريقية فى جماعة من البربر ودخل سِجِلْماسة ، وأَخرج عُبيدَ الله المهدىَّ [وابنه] من الحبس وبايعه وارتحل به إلى افريقية ، فنزلوا رُقَادة من بلاد إفريقية فى أَوائل سنة سبع وتسعين ومائتين ، فبويع بها المهدىُّ البيعةَ العامَّة واستقام أَمره ، وولَّى ابنه أَبا القاسم عهدَه وبنى مدينة المَهْدِيَّة بإفريقية ، وجعلها دار ملكه ، واستولى على فاس من الغرب الأَقصى ، ودخل ملوكُها من الأَدارسة تحت طاعته ، وبقى حتى مات ، وولى بعده ابنه أَبو القاسم نزار المقدّم ذكره ، ثم ولى بعده ابنه المنصور بالله إسماعيـــل ، فلم يَتَسَمَّ بالخليفة ولا غَيَّر السِّـكَّة ولا الخُطبة والبُنُودَ ، ثم ولى بعد موته ابنه المعز لدين الله أَبو تَميم مَعَدٌّ ، فبعث قائده جوهرًا إلى الديار المصرية فملكها وبنى القاهرة فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ثم استناب

بإفريقية وسار إلى مصر ، فملكها واستوطنها[١] ، وولى بعده ابنه العزيز [٢] بالله أبو المنصور ، وولى بعد وفاته ابنه الحاكم بأمر الله أبو [علىّ] المنصور ، ثم تولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علىّ ، وولى بعد وفاته [ابنه] المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ ، وولى بعد وفاته ابنه المستعلى بالله ، وولى بعد وفاته الآمر بأحكام الله أبو علىٍّ المنصور ، وولى بعد وفاته ابن عمه الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير [٣] أبي القاسم محمد ، وولى بعد وفاته ابنه الظافر بأمر الله إسماعيل ، ثم ولى بعده ابنه الفائزبنصر الله أبو القاسم عيسى . وولى بعد وفاته العاضد لدين الله أبو محمد[٤] عبد الله (١٦٢ ا)

---

(١) في هامش الأصل في الصفحة السابقة بخط مختلف نص محله يكون بمناسبة المعز وهو : وولى بعده ابنه المعز لدين الله وكان فاضلا لم يحدث بالديار المصرية أمرا قبيحاً . وكان يقول : السخاء يأتى للقلب ، ودخل إلى مصر سنة إحدى وستين وثلاثمائة وبنيت القاهرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وزينت مصر عند دخول المعز لدين الله فلم يدخل إلى مصر ونزل القاهرة وقرأ القراء بين يديه ونثر على الناس أربعين ألف دينار وكنى معز لدين الله بأبى تميم واسمه معد . عاش من العمر خمسا وأربعين سنة . وقال المؤرخون: المعز بن القائم بن منصور بن المهدى من أولاد إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين السبط بن على بن أبي طالب .

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف ما يأتى : وعاش العزيز بالله إحدى وأربعين سنة وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وستة أشهر وكان يصل الناس بالجوائز ويتصدق في يوم ركوبه بالمال الكثير ووصل عطاؤه إلى العراق .

(٣) في صبح الأعشى : بن الآمر أبي القاسم . انظر الجزء الثالث ص ٤٣١

(٤) في الأصل : ابنه العاضد لدين الله أبي محمد . وليس الفائز أباه انظر هامش صفحة ٤٦ .

ابن يوسف وتوفى يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة ، بعد أن قطع السلطانُ صلاح الدين يوسف بن أيوب الخطبة له ، وخطب للخلفاء العباسيين ببغداد .

الطائفة الثالثة :

الحَفْصِيُّون

من بقايا الموحدين بإفريقية وكان مبدأ أمرهم أن بلاد المغرب كان قد ظهر فيها القول بالظَّاهر حتى حملهم ذلك على القول بالتجسيم وما فى معناه من لوازم الوقوف مع الظاهر ، وكان محمد بن تُومَرت من بعض بطون المَصامدة من البربر أهل بيته أهل دين وعبادة ، وقد شب فى طلب العلم ورحل إلى المشرق قاصدا الحج ، ودخل العراق ولقى أكابر علمائه وفحول النُّظَّار به ، وأخذ مذهب أبى الحسن الأشعرى فى القول بتأويل المتشابه عن علماء الأشاعرة ، ولقى الإمام أبا حامد الغزالىَّ وصحبه ، ثم عاد إلى بلاد الغرب وطعن على أهله فى الوقوف مع الظاهر ، وَحَمَلَهم على القول بالتأْويل ، والأَخذِ بقول الأَشاعرة فى جميع العقائد ، إلاَّ أنه كان يقول بقول الإمامية من الشِّيعة فى عصمة الإمام ،

وانتهى إلى بِجاية فأَقام بها مدة يُدَرِّس العلم ، واجتمع عليه بها عبد المؤمن أَحد أَصحابه ، ثم سار إلى بلاد المصامدة من [1] البربر فنشر بها العلم وأَظهر بها مذهب الأَشاعرة .

وكان الكُهَّان والمنجِّمون يُحَدِّثون بظهور ملك بالمغرب من البربر ، فشاع فى الناس أَنه ذلك الملك ، واختار من أَصحابه عشرة فجعلهم خاصته ، وهم عبد المؤمن بن على وأَبو حفص عمر بن علىّ ، وغيرهما ، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد ، جُنوحاً إلى تكفير أَهل الظاهر القائلين بالتجسيم ، فبايعوه ، وكان قبل ذلك يُلَقَّب بالإِمام ، فتلقَّب بعد المبايعة بالمهدىّ ، ولقَّب عبد المؤمن بن علىٍّ (١٦٢ ب) بالخليفة إشارة إلى أَنه خليفته ، ولقب أَبا حفص عمر بن علىٍّ بالشيخ ، وسمى أَتباعه المُوَحِّدين ، تعريضًا بتكفير المُجَسِّمة ، ولم يزل حتى توفى ، فاستقر فى خلافته عبد المؤمن ابن على المقدم ذكره ، واستولى على الأَندلس والغرب الأَقصى والغرب الأَوسط فى سنة سبع وأَربعين وخمسمائة ، ثم استولى على إفريقية فى سنة خمس وخمسين [2] وخمسمائة ،

---

(١) في صبح الأعشى حـ٥ ص ١٣٦ وارتحل معه إلى المغرب وصار إلى بلاد هرغة من البربر .

(٢) في صبح الأعشى حـ٥ ص١٢٦ واستكمل فتحها سنة ست وخمسين .

وولى إفريقية ابنه أَبا موسى عمران ، ولما توفى عبد المؤمن استقر بعده ابنه المنصور يعقوب بن عبد المؤمن ، فولّى على إفريقية أَبا سعيد بن الشيـــخ أَبى حفص المقدّم ذكره ، ثم استولى على إفريقية بعد ذلك الناصر بن المنصور يعقوب بن عبد المؤمن ، وولى عليها الشيـــخ أَبا محمد [عبد الواحد] بن الشيخ أَبى حفص ، وولى بعد وفاته[1] ابنُه أَبو زيد عبد الرحمن بن الشيـــخ [أَبى] محمـــد ، ثم عُزل عنها ووُلِّىَ مـــكانه أَبو العُلاَ إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن ، ومات بتونس فولى بعده أَبو زيد بن أَبى العُلاَ ، ثم ولى بعده أَبو محمد عبد الله بن أَبى محمد عبد الواحد بن الشيـــخ أَبى حفص ، ثم غلبه عليها أَبو زكريا يحيى بن أَبى محمد عبد الواحد ، ثم بويـــع بعد وفاته ابنه أَبو عبد الله محمد وتلقَّب المستنصر بالله ، وهو أَول من تلقَّب منهم بأَلقاب الخلافة ، وانتهى أَمره إلى أَن بويع له بمـــكّة ، وبُعِث بالبَيعة إليه ، وتبعه أَعقابه فى التلقيب بأَلقاب الخلافة ، ثم بويع بعد وفاته ابنـــه يحـــيى ، وتلقـــب بالواثق ، ثم انخلع عن الأَمر لعمه أَبى إسحـــاق إبراهيم بن

(١) في الأصل : وولى بعد ذلك وفاته ابنه .

يحيي ، ثم ولى بعده ابنه أَبو فارس عبد العزيز ، ثم غلبه عليها أَبو حفص عمر بن يحيي بن عبد الواحد بن أَبى حفص ، ثم بويع بعد وفاته أَبو عصيدة بن الواثق بن المستنصر المقدّم ذكره ، ثم بويع بعد وفاته أَبو بكر بن عبد الرحمن بن أَبى بكر يحيي بن عبد الواحد بن أَبى حفص ، ثم غلبه عليها أَبو البقاء خالد [1] وتلقب الناصر لدين الله ، ثم غلبه عليها أَبو يحيي زكريا بن أَحمد ابن محمد اللحيانى بن عبد الواحد (١٦٣ ا) ابن الشيخ أَبى حفص ، ثم بويع بعده محمد المعروف بأَبى حربة [2] ابن أَبى يحيي زكريا بن أَحمد ، ثم غلبه عليها أَبو بكر المقدّم ذكره ، ثم بُويع بعد وفاته ابنه أَبو حفص عمر بن أَبى بكر ، ثم غلبه عليها السلطان أَبو الحسن المَرِينى صاحب الغرب الأَقصى واستخلف عليها ابنه أَبا الفضل ، فغلبه عليها الفضل بن أَبى [3] بكر المقدم ذكره . وولى

(١) في الأصل : « ثم غلبه عليها ابنه أبو البقاء خالد » . هذا وأبو البقاء خالد هو ابن أبي زكريا يحيى بن السلطان أبي إسحاق . انظر صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٢٩ وما تقدم في الأصول في الولايات صفحة ١٤١ .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣٠ « بأبى ضربة » . هذا وقد سبق أيضا أن ذكر في الأصل أبو حربة .

(٣) في الأصل : « فغلبه عليها أبوالفضل بن أبي بكر» والتصويب من صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣١

بعد وفاته أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر ، وولى بعد وفاته ابنه أبو البقا خالد ، ثم غلبه عليها أبو العباس أحمد بن [محمد بن] أبي بكر بن يحيي بن إبراهيم بن يحيي ابن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ، ثم ولى بعد وفاته ابنه أبو فارس عَزّوز ؛ وهو القائم بها إلى زماننا فى سنة ثمان عشرة وثمان مائة ، على ما مرّ ذكر تواريخ ذلك وتفاصيل أحواله فى الكلام على ولايات الأمصار فى تراجم الخلفاء .

وأما بطلان شبهة دعوى الطوائف الثلاث الخلافة

فالقول العام فى ذلك ما تقدم من أن جمهور العلماء رضى الله عنهم على أنه لا يصح نصب خليفتين ، وإن تباعد إقليماهما ، احتجاجاً بعموم قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » على ما تقدم ذكره فى الفصل الثالث من الباب الأول . والخلفاء المقدّم ذكرهم من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ، ثم من خلفاء بنى أمية ، ثم من خلفاء بنى العباس بالعراق ، ثم من خلفائهم بالديار المصرية إلى آخر وقت جارون على نسق واحد ، يليها منهم الواحد بعد الواحد ، إما بالعهد من الذى قبله ،

وإما ببيعــة من أهــل الحلّ والعقد ، فمن خرج عنهم أَو شَقَّ عصاهم فهو باغٍ لا تَسوغُ مبايعته ولا تحــل متابعته . ويزيد العُبَيدِيُّون والحَفصيون على ذلك فى بطلان شبهة دعواهم بالطعن فى النسب الذى هو أَحد شروط الإمامة ، على ما تقدم ذكره ، فالعُبيْدِيون (١٦٣ ب) يقولون إن جدّهم عبيد الله المهدى هو ابن محمد الحبيب بن جعفر المُصَدَّق بن محمد المــكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين السِّبط بن أَمير المؤمنين علىّ بن أَبى طالب رضى الله عنــه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : هو عبيد الله بن محمد بن ميمون بن محمد بن إسماعيل ، والباقى على ما تقدم ، ويقولون : إن أَباه محمدًا الحبيب حين أَدركته الوفاة عَهِد إلى ابنه عبيد الله وقال له : أَنت المهدىّ وتُهاجر بعدى هجرةً بعيدة ، وتلقى مِحنة شديدة .

واعترض هذا النسبَ عليهم معترضون ونفوهم عنه ، وبالغوا فى أَمرهم ، حتى نسبوهم إلى دَيْصان الذى تُنسب إليه طائفة الديصانية ، نسبة إلى ديصان صاحب كتاب « الميزان فى نصرة الزندقة » واعتنوا بشأْن ذاك حتى كُتب

به محضر ببغداد فى سنة اثنتين وأَربعمائة بأَمر القادر بالله ، فى زمن الحاكم بأَمر الله أَحد خلفائهم ، وكتب فيه جماعةٌ من العلويين والقضاة ، وممن كتب فيه أَبو عبد الله ابن النعمان فقيه الشيعة .

ونسخة المحضر على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه :

هذا ما شهد به الشهود أَن معدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد مُنتسب إلى ديصان بن سعيد الذى يُنسب إليه الديصانية ، وأَن هذا الناجم منهم هو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم حُكِم عليه بالبوار والدمار وهو معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد – لا أَسعده الله – وأَن من تقدَّمه من سلفه الأَرجاس الأَنجاس – عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين – أَدعياءُ خوارج لا نسب لهم فى ولد علىٍّ بن أَبى طالب ، وأَن ما ادَّعوه من الانتساب إليهم زور وباطل ، وأَن هذا الناجم معَدًّا هو وسلفه كفار فُسَّاق زنادقة ملحدون معطِّلون ، وللإسلام جاحدون ، أَباحوا الفروج وأَحَلُّوا الخمور وسَبُّوا الأَنبياء وادَّعُوا الرُّبوبية .

وفى آخره :

وكُتب فى شهر ربيــع الأَول سنة اثنتين وأَربعمائة .

وربما وقع الطعن فيهم بما هو أَسوأ من ذلك ، حسب ما ذكره صاحب حماة أَن بعضهم جعل نسبهم فى اليهود فقال : إن عبيد الله المهدى كان اسمه سعيد بن أَحمد القداح بن ميمون بن ديصان ، وقيل سعيد بن الحسين بن محمد ، وإن الحسين تزوج امرأَة يهودية وهويها [1]

(١١٦٤) والحفصيون يقولون إن جدهم أَبوحفص المذكور هو أَبو حفص عمر بن يحي بن محمد بن وانُّود [2] بن علىّ بن أَحمد بن ولاّل [3] بن إدريس بن خالد بن الْيَسَع ابن إلياس بن عمر بن وافتف [4] بن محمد بن نحيَّه [5] بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

وقد اعترض عليهم معترضون فى ذلك ، فمنهم من يقول إنه منسوب إلى بنى عَدِىٍّ رهطِ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومنهم من يقول بل هو منسوب إلى هَنْتَاتَةَ ــ بفتح

(١) الكلمة غير واضحة وتحتمل أيضا « وتهود » .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٥ ص ١٣٤ بن وانودين بن على .

(٣) في صبح الأعشى : والال .

(٤) في صبح الأعشى : وافتق.

(٥) هكذا ضبط في الأصل . وفي صبح الأعشى : « نجيه » تصغير « نجه » .

الهاء وإسـكان النون وفتـح التاء المثناة فوق وبعدها ألف ثم تاء مثناة فوقُ مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى قبيلة من قبائل المَصَامدة من البربر بجبال دَرَن المتاخمةِ لمرَّاكُش ، وهى قبيلة واسعة كبيرة ، وكان أَبو حفص هذا شيخَهم وكبيرَهم .

قال صاحب «العِبَر» : ولعلَّ هذا النسبَ القُرشيَّ وقع فى المصامدة ، والتحمَ بهم ، واشتملت عليه عصبتهم [1] شأْن الأَنساب التى تقع من قوم إلى قوم .

ويؤكد نفى الخـلافة عنهم أَن السلطان أَبا زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن الشيـخ أَبى حفص كان يمتنـع من التلقب بأَلقاب الخلافة ، ويمنـع من يخاطبه بها ، مقتصرا على التلقُّب بالإمارة ، حتى لقد رفع إليه بعضُ شعرائه قصيدةً مدحه بها أَولها :

أَلاَ صِـلْ بالأَميرِ المؤمنينـا
فأَنت بهـا أَحقُّ العـالمينـا

فنهاه عن ذلك ، ومنعهم من خطابه بها ، وإنما تلقب بلقب الخلافة ابنه المستنصر بالله أَبو عبد الله محمد بعده على ما تقدم ذكره

(١) في صبح الأعشى : عصبيتهم .

الباب الثالث

في ذكر ما يُكتب للخلفاء من البيعات في القديم والحديث (١٦٤ ب) وفيه فصلان :

الفصل الأَول

في البيعات

وهي تكتب لمن يقوم بالخلافة بمبايعة أَهل الحلّ والعقد دون عهد من الخليفة قبله ، بالشروط السابقة ، على ما تقدم ذكره في الكلام على الطرق التي تنعقد بها الإِمامة في الباب الأَول من الكتاب

واعلم أن الصدّيق رضي الله عنه لم تُكْتب له بيعة بالخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يُنْقل ذلك ، ولو وقع لنُقل كما نُقل كتاب عهد الصديق بالخلافة لعمر رضي الله عنهما ، على ما سيأْتي ذكره ، وكذلك سائر الخلفاء بعده لم تُكتب لهم مبايعة ، إلى أَن كانت أَيام عبد الملك بن مروان في الدولة الأَموية [1] ، رتب الحجاج بن يوسف

(١) في الأصل « الأيوبية » وهو خطأ واضح .

أَيماناً للبيعة يُحَلف بها للخليفة عند أَخذ البيعة له ، وابتُدِئ كتابةُ البيعات من يومئذ ، ونَظْمُ الأَيمان فى خلالها ، واستمرَّ ذلك فيما بعده ، واختلفت أَساليب الكُتَّاب بعد ذلك دولةً بعد دولة ، وقد استقر أَمرهم فى ذلك على أَربعة مذاهب .

المذهب الأَول

أَن تفتتح البيعة بأَن يقال : تُبايع عبدَ الله أَبا فلان فلانا [1] أَمير المؤمنين على كذا وكذا ، على أَنك إِن خالفت فى ذلك أَو فى شيء منه كان لازمك كذا وكذا . مع بسط القول فى ذلك بما يناسب المقام وتأْكيده بالأَيمان المُعَقَّدَات والأَلِيَّاتِ المُحْرِجات .

وعلى هذا الأُسلوب كانت طريقة الأَولين فى الخلافة الأَموية . (١١٦٥) وصدر الخلافة العباسية ، فإِن كانت المبايعة من جماعة كتب : تبايعون ، بلفظ الجمع .

---

(١) في الأصل أبا فلان فلان .

وهذه نسخة بيعة من ذلك [1]

أَوردها أَبو الحسين بن إسحاق [2] الصابى فى كتابه «غرر البلاغة» فى الكتابة وهى :

تبايع عبد الله أَبا فلان فلانا [3] أَمير المؤمنين بيعة طوع واختيار ، وتبرع وإيثار ، وإعلان وإسرار ، وإظهار وإضمار ، وصِحَّة من غير نَغَلٍ [4] ، وسلامة من غير دَغَل ، وثباتٍ من غير تبديل ، ووقار من غير تأْويل ، واعتراف بما فيها من جمع الشمل ، واتصال الحبل ، وانتظام الأُمور ، وصلاح الجمهور ، وحقن الدماء ، وسكون الدهماء ، وسعادة الخاصة والعامة ، وحسن العائدة على أَهل الملة والذمة ، على أَن عبد الله فلانا أَميرَ المؤمنين عبدُ الله الذى اصطفاه ، وأَمينه الذى ارتضاه [5] ، وخليفته الذى جعل طاعته جارية بالحق ، وموجبة على الخلق ، ومُوردة لهم مَوْرِدَ الأَمن ، وعاقدةً لهم مَعاقدَ اليُمْن ،

---

(١) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٢٨٠

(٢) في الأصل : بن أبي إسحاق .

(٣) في صبح الأعشى تبايع عبدالله أمير المؤمنين فلانا .

(٤) في صبح الأعشى وصحة من نغل .

(٥) هذه العبارة غير موجودة في صبح الأعشى .

وولايتَهُ مُؤذِنة لهم بجميل الصنـع ، ومؤدية بهم إلى جزيل النفع ، وإمامتَه الإمامة التى اقترن بها الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ، وأَمَّل فيها قمْع الملحد الجاحد ، وردّ الجائر الحائد ، وقَسْمَ العاصى الخالع ، وعطفَ الغاوى[1] المنازع ، وعلى أَنك ولى أَوليائه ، وعدو أَعدائه : من كل داخل فى الجملة ، وخارج عن الملة ، وعائذ بالحوزة[2] ، وحائد عن الدعوة ، ومستمسك بما بذلته عن إخلاصٍ مِنْ رأْيك ، وحقيقةٍ من وفائك ، لا تنقض ولا تنكُث ، ولا تخلف ولا توارِى ولا تُخادِع ، ولا تُداجِى ولا تُخاتِل ، علانيتُك مثل نيّتك ، وقولك مثل طَوِيَّتك ، وعلى (١٦٥ ب) أَلاَّ ترجع عن شىء من حقوق هذه البيعة وشرائطها ، على مرّ الأَيام وتطاولها ، وتغير الأَحوال وتنقلها ، واختلاف الأَزمان وتقلّبها ، وعلى أَنك فى كل ذلك من أَهل الملّة الإِسلامية ودُعاتها ، وأَعوان الدولة العباسية ورُعاتها ، لا يتداخل قولَك مواربة ، ولا يداخله مداهنة ، ولا يعترضه مغالطة ، ولا يتعقبه مخالفة ، ولا تختل به أَمانة ، ولا تُعِله خيانة ، حتى تلقى الله مقيما على أَمرك ، ووفيًّا

(١) فى صبح الأعشى : الغازى .

(٢) هذه العبارة غير موجودة فى صبح الأعشى .

بعهدك ، إذ كان مبايعو ولاة الأَمر وخلفاء الله فى الأَرض :
﴿ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [١]

عليك بهذه البيعة - التى أَعطيت بها صفقة يَدِك ، وأَصفيت فيها سريرةَ قلبك ، والتزمت القيام بها ما طال عمرك ، وامتد أَجلك - عهدُ الله إن عَهْدَ الله كان مسئولا ، وما أَخذه على أَنبيائه ورسله وملائكته وحملة عرشه من أَيمان مغلظة ، وعهود مؤكدة ، ومواثيق مشدّدة ، على أَنك تسمع وتصغى ، وتطيع فلا تعصى ، وتعدل ولا تَميد ، وتستقيم ولا تحيد [٢] وتفى ولا تغدر ، وتثبت ولا تتغير ، فمتى زلت عن هذه المحجة خافرا لأَمانتك ، ورافعاً لديانتك ، فجحدت الله تعالى ربوبيته ، وأَنكرته وحدانيتَه ، وقطعت عصمة محمد صلى الله عليه وسلم منك وجذذتها [٣] ، ورميت طاعته وراء ظهرك ونبذتها ، ولقِيتَ الله يوم الحشر إليه ، والعرض عليه ، مخالفا لأَمره ،

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) في الأصل : تميل والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) حذذتها : قطعتها .

وخائنا لعهده ، ومقيماً على الإنـــكار له ، ومصرا عـــلى الإشراك به ، وكل ما حلله الله لك محرم عليك ، وكل ما تملـــكه يوم رجوعك عن بَذْلك ، وارتجاعـــك ما أَعطيته من [1] قولك ، من مال موجود ومذخور ، ومصوغ ومضروب ، وسارح ومربوط ، وسائم ومعقول ، وأَرضٍ وضَيْعَةٍ ، وعَقارٍ وعُقْدةٍ ، (١١٦٦) ومملوك وأَمَة ، صدقةٌ عـــلى المساكين ، محرّمة على مر السنين ، وكل امرأة لك تملك شَعرَهَا وبَشَرَها ، وأُخرى تتزوجهـــا من بعدها ، طالق ثلاثاً بتاتا ، طلاق الحرج والسنة ، لا رجعة فيها ولاَ مَثْنَوِيّة ، وعليك الحج إلى بيت الله الحرام الذى بمـــكة ثلاثين مرة [2] حاسرا حافيا ، وراجلا ماشيا ، نَذْرا لازماً ، ووعدا صادقاً ، لا يبرئك منها إلاَّ القضاء لها ، والوفاء بها ، ولا قَبِل اللهُ منك توبةً ولا رجعة ، ولا إقالةَ عَثْرَةٍ ولا ضَرْعَة ، [3] وخَذَلَكَ يوم الاستنصار بحوله ، وأَسلمك عند الاعتصام بحبله ، وهذه اليمين قولك قلتَها قولا فصيحـــاً ، وسردتها سَرْدًا صحيحـــاً ، وأَخلصت فيهـــا سِرَّك إخلاصاً متينـــاً ،

(١) في صبح الأعشى : في قولك .

(٢) في صبح الأعشى : دفعة .

(٣) هذه العبارة غير موجودة في صبح الأعشى .

وصدقت بها عزمك صدقاً يقيناً ، والنيـّة فيها نية فلان أَمير المؤمنين دون نيّتك، والطوية [فيها طويته] دون طويتك ، وأَشهدتَ الله على نفسك بذلك ، وكفى بالله شهيدا ، يوم تجد كلُّ نفس عليها حافظاً ورقيباً .

قلت وعلى هذا الأُسلوب فى المبايعة رتب الكتاب الأَيمان التى يحلف بها عن السلطان فى زماننا .

المذهب الثانى

فى البيعات أَن تُفتتح البيعة بلفظ : من عبد الله أَبى فلانٍ فلانٍ أَميرِ المؤمنين . سلام عليكم ، فإِن أَمير المؤمنين يحمد إِليكم الله الذى لا إِله إِلا هو ، ويسأَله أَن يصلى على ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يقال : أَما بعد ، فالحمد لله . ويؤتى بخطبة مناسبة المقام ، ثم يُعَزَّى بالخليفة الماضى إِن كانت البيعة مرتبة على موت خليفة ، ويذكر قيامه بأَعباء الأُمة إِلى حين ذهابه ، ثم يقال : إِنه لم يوجد من ينهض بأَعباء الخلافة بعده إِلا ولده فلان ، أَو أَخوه أَو ابن عمه (١٦٦ ب) أَو نحو ذلك ، ويؤتى بتقريظه وذكر استحقاقه للخلافة دون غيره ، ثم القائم

بالبيعة له بحضرته أو فى بعض الأطراف بأخذ البيعة له على مَنْ قِبله من الرعيَّة ، وعلى ذلك كانت تكتب بيعات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية بجملتها .

وهذه نسخة بيعة من هذا النمط [1]

من عبد الله [ووليّه] أبى فلانٍ فلانِ بنِ فلان الإمام الفلانى بأمر الله تعالى أمير المؤمنين إلى من يضمه نطاق الدولة العباسية [2] من أُمرائها وأعيانها ، وكبرائها وأوليائها ، على اتساع شعوبهم ، وعساكرها على اختلاف ضروبهم ، وقبائل عربها القيسية ، واليمنية [3] وكافة من تشمله أقطارها من أصناف الرعية ، الأمير منهم والمأمور . والمشهور منهم والمغمور ، والأسود والأحمر ، والأصغر والأكبر ، وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذى لا إله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلى على ابن عمه محمد [4]

---

(١) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٢٨٧

(٢) في صبح الأعشى العلوية . وهو الصواب

(٣) في الأصل : « ولى جهتها » .

(٤) في صبح الأعشى : غير موجودة كلمة « ابن عمه » .

خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأَئِمة المهدِيِّين وسلَّم تسليما .

أَما بعد ، فالحمد لله مولى المنّ الجسيم ، ومُبدى الطَّوْلِ العميم ، ومانــح جزيل الأَجر بالصبر العظيم ، منيل النعم المتسعة الفنون (١) ومدنى المهج المتعالية التناول للمنون ، ومبيد الأَعمار ومفنيها ، وناشر الأَموات ومحييها ، والفاتح إذا استغلقت الأَبواب ، والقائل : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٢) الذى لا يُغَير ملــكه مرور الغِيَرِ ، ولا يصرف سلطانه تصرُّفُ القدر ، ولا يُدرك قِدَمُهُ وأَزلِيَّتُه ، ولا يَنْفدُ بقاؤُهُ وسرمدِيَّتُه ، مُسلم الأَنام للحِمَام ، ومُصمِى الأَنفس بسهام الاخترام ، ومورد البشر من المنية منهلا ما برحوا فى رَنْقه يكرعون ، ولمُرِّه يبجعون (٣) ومفسر ذلك بقوله . (١٦٧ ا) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٤) والحمد لله الذى نصب الأَنبياء لمراشده أَعلاما ، وحفظ ببعثهم من الحق والهدى نظاما .

(١) في صبح الأعشى : مفيد النعم المتشعبة .

(٦) سورة الرعد الآية ٣٨

(٣) في صبح الأعشى « ولمره المشرق يتجرعون » وفي الأصل مضروب على كلمة المشرق .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٥

وجعـــل نبوة ابن عمنا [(١)] محمد صـــلى الله عليه وسلم لنبواتهم ختاما [(٢)] ولم يحم [(٣)] نبيًّا مع ما شرفه من تناول وحْيه وتلقِّيه ، ولا عصم إماما مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقِّية ، من لقاء المَنيَّة ، ووداع الأُمْنِيَّة ، بل أَجَّل لـــكم منهم أَجـــلا مـــكتوباً ، وفسح له أَمدا محصورا محسوباً ، لا يَصْرِفُ عن وصوله مَقيلُه ، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلةٍ سبيلُه ، قدرة محـــكمة الأَسباب ، وعبرة واضحة لأُولى الأَلباب ، وقضية أَوضحها فرقانه الذى أَقر بإِعجـــازه الجاحد بها ، إذ يقول مخاطباً لنبيه ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [(٤)] والحمد لله الذى منـــح أَمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأَنوارها ، وحاز له من ذَخَائرها وأَودعه من أَسرارها ، وحوَّله فى آخر تراثها [(٥)] ، وأَصار له شرف ميراثهـــا ، وجعله القائم بحقه ، والمرشد لخلقه ، والماحى بهداه ليـــلا

(١) في صبح الأعشى : جدنا .

(٢) في صبح الأعشى هنا زيادة خمسة أسطر.

(٣) في صبح الأعشى : ولم يخل .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٤

(٥) في صبح الأعشى : ما خوله فاخر تراثها .

من الضلال بَهيما ، والحاوى بخلافته مجـدا لا يزال ثناؤه عظيما ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ (١) يحمده أَمير المؤمنين على أَن أَوضح بآبائه الأَئمة سُبـل الحَقائق ، فأَصبحوا خلفاء الخالق وأَئمة الخلائق ، وخوَّله ما اختصهم به من الإِمامة ، ورفعه بها إِلى أَشمخ منازل العُلا وأَرفع مواطن الـكرامة ، ويستمده شـكرا يوازى النعم التى أُثبتت [له] على سرير الخلافة ومنبرها (٢) قدما ، وصَبْراً يوازن الفجيعةَ التى قلَّ لها فيض المدامع دما .

ويَسأَله أَن يصلى على ابن عمه (٣) محمد صلى الله عليه وسلم الذى فضَّ بجهاده جموع الإِلحاد ، وحصر باجتهاده مَن مال عن الهـدى وحاد ، وصـدع بما أُمر به . (١٦٧ ب) حتى عم التوحيد ، ودانت لمعجزاته الأُمم وقد دعاها وهو المُفْرَدُ الوحيد ، ولم يزل مبالغا فى مرضاة ربه ، حريصا على إِظهار دينـه بيده ولسانه وقلبـه ، حـتى استأْثر به وقبضه ، وبدّله من الدنيا شرفَ جواره وعوّضـه ، وأَصاره إِلى أَفضل نبي نَفَّرَ (٤) وبَشَّر ، وأَحيا دين الله وأَنشر ،

(١) سورة النساء الآية ٧٠

(٢) في صبح الأعشى : وسرها .

(٣) في صبح الأعشى : جده .

(٤) في صبح الأعشى : بصر .

وإن الإمام [1] الفلانى لدين الله أَميرَ المؤمنين كان وليًا لله شرّفه واستخلصه ،وأَفرده بإمامة عصره وخصّصه ، وفوّض إليه أَمر خلافته ، وأَحلّه محلاًّ تقع مطارح الهمم دون عُلُوِّه وإنافتــه ، فقام بحقّ الله ونهض ، وعمل بأَمره فيما سن وفرض ، وقهر الأَعداء بسطواته وعزائمه ، وصرف الأُمور بأَزِمَّة التدبير وخزائمه ، وبالغ فى الذبِّ عن أَشياع الملة ، واجتهد فى جهاد أَعداء القِبلة ، ووقف على مصلحة البلاد أَمَله ، ووَفَّر على ما يُحْظِى عند الله قولَه وعملَه ، ولم يترك فى مرضاة خالقه مشقة إلا احتملها ، ولا روية إلا صرفها فى إرشاد خلقه وأَعملها ، حتّى بلغ الغاية المحدودة ، واستــكمل الأَنفاس المعدودة ، وأَحسن الله له الاختيار ، وآثر له النُّقْلة من هذه الدار ، والزلفى لسكنى دار القرار ، والفوزَ بمصاحبــة الأَنبيــاء الأَبرار ، والحلولَ فى حظائر قُدُسه مع آبائه الأَئمة الأَطهار ، فصار [2] إليــه طاهر السريرة ، جميل المذهب والصورة ، مستوجبا بسعيه أَفضل رضوانه ، ممهِّدا بالتقوى لتدبيره أَكنافَ جنانه .

(١) في صبح الأعشى زيادة أربعة أسطر قبل جملة وإن الإمام .

(٢) في صبح الأعشى : فسار .

وأَمير المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزيّةَ التى عظم بها المصاب ، وعذب [1] عند تجرعها المصا ب ، وأَضرمت القلوبَ نارا ، وأَجرت الآماق دماً مُمَارا ، وأَطاشت بهولها الأَكبادَ بالحَرَق ، وكَحَلت الأَجفانَ بالأَرق ، وكادت لهجومها الصدورُ تقذف أَفئدتَها ، والدنيا تَنْزع نَضْرتَها وبهجتَها ، وقواعد الملة تضعف وتَهى ، والخطوب (١٦٨ ا) الكارثة تَسْهَر [2] ولا تنتهى ، فإِنا لله وإِنا إِليه راجعون ! ! تسليماً لأَمره الذى لا يدفع ، وإِذعاناً لقضائه الذى لا يُصد ولا يمنع .

وكان الإِمام الفلانى لدين الله أَمير المؤمنين عند نُقْلته جعل لى عَقْدَ الخلافة ، ونصّ عليه بارتقاء منصبها المخصوص بالإِنافة ، وأَفضى إِلىّ بسرها المكنون ، وأَودعنى [3] غامضَ عِلمها المَصُون ، وعهد إِلىّ أَن أَشملكم بالعدل والإِحسان ، والعطف والحنان ، والرحمة والغفران ، والمن الرائق الذى لا يكدره امتنان ، وأَن أَكون لأَعلام الهدى ناشرا ، وبما أُرضى الله مجاهرا ، ولأَحزاب القبلة

(١) في صبح الأعشى : وعظم .

(٢) في صبح الأعشى : « تصر » وفسروها بمعنى تدوم .

(٣) في الأصل : انتقل الكلام إلى ضمير الغائب : « وأودعه . . وعهد إليه . . . » وتبعت ما سار عليه صبح الأعشى .

مُظاهرا مُظافرا ، ولأَعداء الملة مرغما قاهرا ، ولمنار التوحيد رافعا ، وعن حوزة الإسلام بغاية الإمكان دافعا ، مع علمه بما خُصصت به[1] - أَمير المؤمنين - من كرم الشيم ، وفطرت عليه من الخلال القاضية مصالح الأُمم ، وأُوتيته من استحقاق الإمامة واستيجابها ، ومنحته من الخصائص المبرمة لأَسبابها . .

فتعزَّوْا جميع الأَولياء ، وكافة الأُمراء ، وجميع الأَجناد ، والحاضر من الرعايا والباد ، عن إمامكم المنقول إلى دار الكرامة ، بإمامكم الحاضر الموجود الذى أَورثه الله مقامه ، وادْخُلوا فى بيعته بصدور مشروحة نقيّة ، وقلوب على محض الطاعة مطويّة ، وثبات فى الولاء والمشايعة مرضية ، وبصائرَ لا تزال بنور الهدى والاستبصار مُضيّة ، وأَميرُ المؤمنين يسأَل الله أَن يجعل إمامته محظوظة بالإقبال ، دائمة الكمال ، صافية من الأَكدار ، معضودة بمواتاة الأَقدار ، ويوالى حمده على ما منحه من الاصطفاء الذى جعله لأُمور الدين والدنيا قواما ، وأَقامه

(١) في الأصل : « مع علمه بما خص به أمير المؤمنين . . . » بلفظ الغيبة كما بدأ واستمر . وحولت الكلام تبعا لصبح الأعشى الذي لا توجد فيه كلمة « أمير المؤمنين » .

للبرية سيدا وإماما ، فاعلموا هذا واعملوا به ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا

(١٦٨ ب) المذهب الثالث

أَن يفتتح البيعةَ بلفظ : هذا . ويُعزِّى بالخليفة الذاهب إِن كانت البيعة مرتبة على موت ، ثم يُهنِّئ بالخليفة المستقرّ ، أَو يُلَوِّح بذكر الخَلع الموجب لخلع المخلوع واستحقاق المستقر فى الخلافة ، بحيث لا يكون فى التلويح إِلى الخلع تنقيصٌ لجانب المخلوع ، ولا حطّ لقدره ، إِلا أَن يكون الخلع قد وقع لموجب شَرعىٍّ اقتضاه الحال . وربما افتتحت البيعة بآية من كتاب الله تعالى .

وهذه نسخة بيعة [1]

أَنشأَها المقرّ الشهابىُّ بنُ فضل الله عند موت الإِمام المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان بن الحاكم بأَمر الله ومبايعة ابنه الحاكم بأَمر الله بعده ، امتحاناً لخاطره واختبارا لذهنه ، ولم يكتب بها . وهى :

(١) صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٢٠.

﴿إِنَّ الَّذِين يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً﴾ (١) هذه بيعةُ رضوان، وبيعةُ إحسان، وبيعة(٢) رضى يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن، بيعة يلزم طائرها (٣) العُنُق، وتحوم بشائرها على الأُفق، وتحمل أَنباءها البرارى والبحارُ مشحونةَ الطُّرُق، بيعة تَصْلُح بسببها الأُمة، ويمنح بسَبْلها(٤) النعمة، ويُؤلِّف بها الأَسباب وتجعل بينهم مودَّةً ورحمة، بيعة يجرى بها الرِّفاق؛ وتتزاحم زُمر الكواكب على حَوْض المجرة للْوفاق (٥)، بيعة سعيدة ميمونة، بيعة شريفة بها السلامة فى الدِّين والدنيا مضمونة، بيعة صحيحة شرعية [بيعة ملحوظة مَرْعيّة]، بيعة تُسابق إليها كلُّ نيَّة، وتُطاوع (١٦٩ ا) كلُّ طويّة، وتُجمِع عليها أَشتات البريَّة، بيعة يستهلُّ بها الغمام، ويتهلل البدرالتمام، بيعة متفق على الإجماع عليها، والاجتماع لبسط الأَيدى إليها، انعقد

---

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) في الأصل: وجمعة رضى. والتصويب من صبح الأعشى.

(٣) في الأصل: ظاهرها.

(٤) في صبح الأعشى تصلح لنسبها الأمة وتمنح بسببها النعمة.

(٥) في الأصل: يجرى بها الوفاق... على خوض المجرة الرقاق.

عليها الإجماع ، وانعقدت صحتها بمن سمع ذلك [1] وأَطاع ، وبذل فى تمامها كل امرئ ما استطاع ، وحصل عليها اتفاق الأَبصار والأَسماع ، ووصل بها الحق إلى مستحقه ووافق [2] الخصم وانقطع النزاع ، ونَظَمها [3] كتاب كريم يشهده المقربون ، ويتلقاه الأَئمة الأَقربون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [4] ﴿ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [5] وإلينا ولله الحمد وإلى بنى العباس ، أَجمع على هذه البيعة أَرباب العقد والحل ، وأَصحاب الكلام فيما قلّ وجلّ ، وولاة الأُمور والأَحكام ، وأَرباب المناصب والحُكَّام ، وحملة العلم والأَعلام ، وحماة السيوف والأَقلام ؛ وكابر بنى عبد مناف ، ومن انخفض قدره وأَناف ، وسروات قريش ووجوه بنى هاشم والبقية الطاهرة من بنى العباس ، وخاصة الأَئمة وعامة الناس ، ببيعة تُرسَى بالحرمين خيامُها ،

(١) في صبح الأعشى : لله .

(٢) في صبح الأعشى : وأقر .

(٣) في صبح الأعشى : وتضمنها .

(٤) سورة الأعراف الآية ٤٣

(٥) سورة يوسف الآية ٣٨

وتخفق على المأزمين أعلامُها ، وتتعرّف عرفات ببركاتها وتُعرف بمنًى أيامها ، ويؤمن عليها يوم الحجّ الأكبر ، ويُؤَمّ ما بين الركن والمقام والمنبر ، ولا يتبقّى إلا [(1)] وجه الله الكريم ، وفضله العميم ، لم يبق صاحب عِلْم [(2)] ولا عَلَم ، ولا ضارب بسيف ولا كاتب بقلم ، ولا ربّ حكم ولا قضاء ، ولا من يرجع إليه فى اتفاق ولا إمضاء ، ولا إمام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو فتيا يُسأَل فيجيب ، ولا مَنْ بين جنبتى المساجد ، ولا من تضمهم أجنحة المحاريب ، ولا من يجتهد فى رأْى فيخطئ أَو يصيب ، ولا متحدث بحديث ، ولا متكلم بقديم وحديث ، ولا معروف بدين وصلاح ، ولا فرسان حرب وكفاح ، ولا راشق لسهام ولا طاعن برماح ، ولا ضارب بصفاح ، ولا ساع على قدم ولا طائر بجناح ، ولا مخالط للناس ولا قاعد فى عُزْلة ، ولا جمع كثرة ولا قلّة (١٦٩ ب) ولا من يستقل بالجوزاء لواؤه ، ولا يقل فوق الفرقد ثواؤه ؛ ولا باد ولا حاضر ، ولا مقيم ولا سائر ؛ ولا أَول ولا آخر ، ولا مُسرّ فى باطن ولا معلن فى ظاهر ،

(١) في صبح الأعشى : ولا يبتغى بها إلا .

(٢) في صبح الأعشى : صاحب سنجق .

ولا عرب ولا عجم ، ولا راعى إبل ولا غنم ، ولا صاحب أَنـاة ولا إبدار ، ولا ساكن فى حضر وباديـة بدار ، ولا صاحب عمد ولا جدار ، ولا سابـح [1] فى البحـار الزاخرة والبرارى القفار ، ولا من يتوقَّل صهوات الخيل ، ولا من يُسْبل على العجـاجة الذيل ، ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجـوم الليل ، ولا من تظله السماء وتقله الأَرض ، ولا من تدلّ عليه الأَسماء على اختلافها وترتفع درجات بعضهم على بعض ، حتى آمن بهذه البيعة وأَمَّن الله عليه وهداه إليها ، وأَقرّ بها وصدق ، وغض لها بصره خاشعا وأَطرق ، ومد إليهـا يده بالمبايعة ، ومعتقده بالمتابعة ، رضى بها وارتضاها ، وأَجاز حـكمها على نفسه وأَمضاها [ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها] ﴿ وقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [2] .

والحمد لله الذى نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أَحـكم الحاكمين ، والحمد لله الذى أَخذ حق آل بيت نبيه من أَيدى الظالمين ؛ والحمد لله رب العالمين ، ثم

---

(١) في صبح الأعشى : ولا ملجج .

(٢) سورة الزمر الآية ٧٥

الحمد لله رب العالمين ، ثم الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله رب العالمين ، وإنه لما استأثر الله بعبده [سليمان] أبي الربيع الإمام المستكفى بالله أمير المؤمنين - كرم الله مثواه - وعوّضه عن دار الإسلام بدار السلام ، ونقله فزكى بدنه عن شهادة الإسلام بشهادة الإسلام (1) ، حيث آثره ربه بقربه ، ومهد لجنبه ، وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه ، وخار له فى جواره رفيقا ، وجعل له على صالح نفسه (2) طريقاً ؛ وأنزله ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقا ﴾ (3) الله أكبر ليومه لولا مُخلّفه كادت تضيق الأرض بما رحبت ، وتجزى كل نفس بما كسبت ، وتنبئ كل سريرة بما ادّخرت (1170) وما خبت ، لقدْ ، أُضْرم سعيرٌ إلا أنه فى الجوانح ، لقد أُصر (4) منبرٌ وسريرٌ لولا خلفه الصالح ، لقد اضطرب مأْمور وأَمير لولا الفكر بعده فى عاقبة المصالح ، لقد غاضت البحار ، لقد غابت الأنوار ، لقد غالب البدورَ وما يلحق (5) الأَهلة من المحاق

(1) في صبح الأعشى : دار السلام بدار السلام ... شهادة السلام ...
(2) في صبح الأعشى : سلفه .
(3) سورة النساء الآية ٦٩.
(4) أصر : انكسر . وفي صبح الأعشى : اضطرب .
(5) في الأصل : « لقد غابت البدور وما يلحق . . . » والتصويب من صبح الأعشى .

ويدرك البدر من السرار، نسفت الجبال نسفا، وخبت مصابيح النجوم وكادت تُطْفَى ﴿ وجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صفًّا ﴾ (١) لقد جمعت الدنيا أَطرافها وعزمت على (٢) المسير، وخضعت (٣) الأُمة لهول المصير، وزاغت يوم موته الأَبصار ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ (٤) وبقيت الأَلباب حيارى، ووقفت تارة تصدق وتارة تتمارى، لا تعرف قرارا ولا على الأَرض استقرارا ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ (٥)، ولم يكن فى النسب العباسى، ولا فى جميع من فى الوجود، ولا فى البيت المسترشدى، ولا فى غيره من بيوت الخلفاء، من بقايا آباءٍ لهم وجدود، ولا من تلده إحدى (٦) الليالى وهى عاقر غير ولود، من تُسَلِّم إليه أُمةُ محمد صلى الله عليه وسلم عقدَ نِيَّاتها، إلَّا واحد

(١) سورة الفجر الآية ٢٢

(٢) في صبح الأعشى : وأزمعت .

(٣) في صبح الأعشى : وجمعت .

(٤) سورة العاديات الآية ١١

(٥) سورة الحج الآية ١ ، ٢

(٦) في صبح الأعشى : أخرى .

وأين ذلك الواحد ، هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الأَطهار ، وتراث أَجداده ولا شيء هو إلاَّ ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار ، وهو ابن المنتقل إلى ربه ، وولد الإمام الذاهب لصلبه ، المُجمع على أنه فى الأَنام فرد [1] هو الأَمام ، وواحد وهكذا هو فى الوجود الإمام ، وأَنه الحائز لما زُرَّتْ عليه جيوبُ المشارق والمغارب ، والفائز بملك ما بين الشارق والغارب [2] ، الراقى فى صفح السماء هذه الدورة الْمُنيفة ، الباقى بعد الأَئمة الماضين رضى الله عنهم ونِعم الخليفة ، المجتمع (١٧٠ ب) فيه شروط الإمامة المتَّضِع لله وهو من بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة ، الذى تَصَفَّحَ السحابَ نائلُه ، والذى لا يَغُرُّه عاذره ولا يُغَيِّره عاذله ، والذى :

تعوّد بَسْطَ الكف حتى لو أنه
ثناها لقبض لم تُطعْه أَنامِلُهْ

والذى :

لا هو فى الدنيا مُضيعٌ نصيبَه
ولا وَرِقُ الدنيا عن الدين شاغلُهْ

---

(١) في صبح الأعشى : فرد الأيام .
(٢) في الأصل : المشارق والمغارب .

والذى ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا مال باصره[1] وقام قائمه ، ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف أَنه ما خاب مُستكفيه ولا غاب حاكمه ، نائب الله فى أَرضه ، والناهض بسنته وفرضه[2] ، والقائم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه ، وتابع عمله الصالح ووارث علمه ، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه أَحمد أَبو العباس الحاكم بأَمر الله أَمير المؤمنين ، ابن الامام المستكفى بالله أَبى الربيع سليمان[3] ، أَيد الله تعالى ببقائه الدينَ ، وطوق بسيفه الملحدين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكتب له النصر إلى يوم الدين ، وكفّ بجهاده المفسدين ، وأَعاذ به الأَرض ممن لا يدين بدين ، وأَعاد بعدله أَيام آبائه الخلفاء الراشدين ، والأَئمة المهديين ، الذين قَضَوْا بالحق وبه كانوا يَعْدِلُون ، وعليه كانوا يعملون ، ونصر أَنصارَه ، وقَدَّرَ اقتدارَه ، وأَسكن فى القلوب هيبته ووقاره[4] ، ومكَّنَ له فى الوجود وجمع له أَقطارَه .

ولما انتقل ، إلى الله [ذلك] السيّد ولَحِقَ بدار الحق أَسلافَه ،

---

(١) في صبح الأعشى : إلا قال ناصره .

(٢) جملة (والناهض بسنته وفرضه) غير موجودة في صبح الأعشى .

(٣) جملة (ابن الامام . . . . سليمان) غير موجودة في صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى : وأسكن في قلوب الرعية سكينته ووقاره .

ونُقِلَ إلى سُرُر الجنة من سرير الخلافَة ؛ وخلا العصر من إمــام يُمسك ما بقى من نهــاره ، وخليفةٍ يغالب مُرْبَدَّ الليلِ[1] بأَنواره ، ووارثِ نبيٍّ بمثله ومثل أَبيــه استغنى الوجود بعد ابن عم نبيّه خاتم الأَنبياء صلى الله عليه وسلم عن نبيٍّ مُقْتفٍ على آثاره ، ونَسِي ولم يَعْهَدْ فلم يَبْقَ إذْ لم يوجد النص إلاَّ الإِجماع ، وعليه كانت الخلافة بعد (١٧١ ا) رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع ، اقتضت المصلحةُ الجامعةُ عقدَ مجلس كلُّ طَرْف به معقود ، وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود ، وجُمع الناس له ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[2] ، فحضر من لم يُعبأْ بعده بمن تخلّف ، ولم يُرْبأْ معه[3] وقد مد يــده طائعا لمن مدَّها وقد تــكلّف ، واجتمعوا على رأْى واحد واستخاروا الله تعالى فيه فخار ، وناهيك بذلك من مُختار ، وأُخِذَتْ يمينٌ تُمدّ إليها الأَيمان ، ويُشدّ بها الإِيمان ، وتُعطَى عليها المواثيق ، وتُعْرَضُ أَمانتُها على كل فريق ، حتى تقلَّد كلٌّ من حضر فى عنقه هذه الأَمانة ، وحط يده على

---

(١) في الأصل : مزيد الليل .

(٢) سورة هود الآية ١٠٣

(٣) لم يربأ به : لم يبال به ولم يكترث .

المصحف الكريم وحلف بالله العظيم وأَتمّ أَيْمانه ، ولم يقطع ولم يستثن ولم يتردد ، ومن قطع من غير قصد أَعاد وجدّد ، وقد نوى كل من حلف أَن النية فى يمينه نيةُ من عُقِدت هذه البيعة له ، ونيّة من حَلَف لَه ، وتذمَّم بالوفاءِ فى ذمته وتكفَّله ، على عادة أَيْمان البيعة بشروطها وأَحكامها المُرَدّدة ، وأَقسامها المؤكدة ، بأَن يَبْذُلَ لهذا الإمام المفترضة طاعتُه الطاعَةَ ، ولا يفارق الجمهورَ ولا يُظْهرَ عن الجماعة [انجماعَه] وغير ذلك مما تضمنته نُسَخُ الأَيمان المكتتَب فيها أَسماءُ من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يُكتب منهم ، وخطوط العُدُول الثِّقات عمن لم يَكتب وأَذنوا لمن يَكتب عنهم ، حسب ما يَشهد به بعضهم على بعض ، ويتصادق عليه أَهل السماءِ والأَرض ، بيعة تم بمشيئة الله تَمامُها ، وعم بالصَّوْبِ الغَدَق غمامُها ، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾ [1] ووهب لنا الحَسَنَ ، ثم الحمد لله الكافى عبدَه ، الوافى وعدَه ، الموافى لمن يضاعف على كل موهبة حمدَه ، ثم الحمد لله على نِعَمٍ يرغَبُ أَمير المؤمنين فى ازديادها ، ويَرْهَبُ إلا أَن يقاتل أَعداءَ الله بأَمدادها ،

(١) سورة فاطر الآية ٣٤

ويرأب بهـا ما آثر فيما آثر مماليـكه مما بان من مباينـة أضدادها .

نحمده (١٧١ ب) والحمد لله ، ثم الحمد لله ، كلمة لا يُمَلُّ من تردادها ، ولا نُخِلّ بمـا ينوب [١] السهام من سدادها ، ولا نظلُّ إلاّ على ما يُوجَب بِكثرة أَعدادها ، وتيسير أَقدار [٢] على أَورادها ، ونشهد أَن لا إله إلاّ الله وحـده لا شريك له شهادة يتقايس دمُ الشهداءِ ومَدُّ مِدَادها ، وتتنافسُ طُررُ الشباب وغُرر السحـاب على استمدادها ، وتتجانس رُقُومُها المدبَّجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها ، والليالى من دِثارها ، والأَعداء من حِدادها ، ونشهد أَن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعـلى جماعـة آله مَنْ سَفَلَ منْ أَبنائها ومَنْ سلف من أَجدادها ، ورضى الله عن الصحابة أَجمعين ، والتابعين لهم بإِحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فإِن أَمير المؤمنين ، لِما أَكسبه الله تعالى من ميراث النبوة ما كان لجده ، ووهبه من الملك السليمانى

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٢٦ : ولا نبخل بما يفوق السهام .

(٢) في صبح الأعشى حـ ٩ يوجب كثرة أعدادها وتيسير إقرار .

عن أَبيه ما لا ينبغى لأَحد من بعده ، وعلمه منطق الطير بما تتحمله حمائم البطائق من بدائع البيـان ، وسخَّر له من البريد على متون الخيل ما سُخِّر من الريح لسليمان ، وآتاه من خاتم الأَنبياء ما أَمده به أَبوه سليمان وتصرف ، وأَعطاه من الفخـار ما أَطاعه به كل مخلوق ولم يتخلّف ، وجعل له من لباس بنى العباس ما يقضى له سوادُه بسُؤْدَد الأَجداد ، وينفض على كَحَل الهُدْب ما فَضَل عن سويداء القلب وسواد البصر من السَّواد ، ويَمُدّ ظلَّه على الأَرض فـكل مـكان حَلَّه دارُ مُلْك وكلُّ مدينةٍ بغداد ، وهو فى ليلهِ السَّجّاد ، وفى نهاره العسـكرى وفى كرمه جعفر الجواد ، يديم الابتهال إلى الله تعالى فى توفيقه ، والابتهاج بما يُغصُّ كلَّ عدو بريقِه ، ويَبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الأَهم من مصالح الإِسلام ، وصالح الأَعمال مما يتحلّى به الإِمام ، ويقدِّم التقوى أَمامه ، وَيقْرنُ عليها أَحكامه ، ويتَّبع الشرع الشريف (١٧٢ ا) ويقف عنده ويوقف الناس ، ومن لا يحمل أَمره طائعاً على العين حمله بالسيف غصباً [1] على الراس ، ويُعَجِّل أَمير المؤمنين بما

(١) في الأصل : عصابة . والتصويب من صبح الأعشى .

يَشفى به النفوس، ويزيل به كيد الشيطان إنه يؤوس، ويأْخذ بقلوب الرعية وهو غنى عن ذا ولكنه يسوس ، وأَمير المؤمنين يُشهد اللهَ وخليقتَه عليه أَنه أَقر كلَّ امرئ من ولاة الأُمور الإِسلامية على حاله ، واستمر فى مقيله تحت كَنَف ظلاله ، على [اختلاف] طبقات ولاة الأُمور ، وتفرقهم فى الممالك والثغور ، برا وبحرا ، سهلا وَوعْرا ، وشرقا وغربا ، وبُعدا وقُربا ، وكلَّ جليل وحقير ، وقليل وكثير ، وصغير وكبير ، وملك ومملوك وأَمير ، وجندى يَبْرُقُ له سيف شهير ، ورمح طرير ، ومَنْ مع هؤلاء من وزراء وقضاة وكتاب ، ومن له يد تبقى فى إنشاءٍ وتحقيق حساب ، ومن يتحدث فى بريد وخراج ، ومن يُحتاج إليه ومن لا يُحتاج ، ومن فى الدروس والمدارس والرُّبُط والزوايا والخَوانق ، ومن له أَعظم التعلقات وأَدنى العلائق ، وسائرَ أَرباب المراتب ، وأَصحاب الرواتب ، ومن له فى مال الله رزق مقسوم ، وحق مجهول أَو معلوم ، واستمرارَ كلِّ امرئ على ما هو عليه ، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه ، فمن زاد تأْهيله ، زاد تفضيله ، وإلا فأَمير المؤمنين لا يرى [1] سوى وجه الله ، ولا يحابى أَحدا فى دين ،

(١) في صبح الأعشى : لا يريد .

ولا يحـــامى [عن] أحد فى حق فإن المحاماة فى الحق مداجاة على المسلمين ، وكلما هو مستمر إلى الآن ، مستمر على حـــكم الله مما فهّمه اللهُ له وفهّمه سليمانَ ، لا يغير أمير المؤمنين فى ذلك ولا فى بعضه ، ما يعتبر مستديماً [(1)] شكر الله عـــلى نعمه ، وكذلك يجازى من شـــكر ، ولا يكدِّر على أَحـــد موردا نزَّه الله به نِعمَه الصافيةَ عن الـــكدر ، ولا يَتـأَوَّل فى ذلك متـأَوِّل ولا من فَجَرَ نعمة أَو كفر ، ولا يَتَعلَّل متعلِّل فإن أَمير المؤمنين يَعُوذُ بالله ويُعِيذُ (١٧٢ب) أَيامه من الغِيَر ، وأَمر أَميرُ المؤمنينَ - أَعلى الله أَمرَه - أَن يُعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر فى الآفاق ، وأَن يضرب باسمهما النقود المتعامل بها على الإطلاق ، ويبتهل بالدعاءِ لهما عطْف الليل والنهار ، ويصرّح منه بما يشرق به وجهُ الدرهم والدينار ، ويضاهى [(2)] بـــه المنابر ودور الضرب : هاتيك ترفع اسمهما على أَســـرة مهودها ، وهذى على أَسارير نقودها ، وهذى تقام بسببها الصَّلاة ، وتلك تدام بها الصِّلات ، وكلاهما تُستمال به القلوب ، ولا يلام على ما تَعِيه الآذان وتُوعيه الجُيوب ،

---

(١) في صبح الأعشى : بعضه ، معتبر مستمرّ بما شكر اللهَ . . . .

(٢) في صبح الأعشى : وتباهى .

وما منهما إلا من تحدق نحوه الأَحداق [1] ، وتميل إليه الأَعنـاق ، وتبلغ به المقاصـد [ويقوى بهما المُعاضد] وكلاهما أَمر مطاع ، من غير نزاع ، وإذا لمعت أَزِمَّةُ الخُطَب طار للذهب شعاع ، ولولاهما ما اجتمع جمع ولا انضم ، ولا عرف الأَنام بمن تـأْتم ، فالخُطَبَ والذَّهَب معناهما واحد ، وبهما يَذكر اللهَ قُيمَاءُ المساجد، ولولا الأَعمال ، ما بذلت الأَموال ، ولولا الأَموال ، ما وليت الأَعمال ،ولأَجل ما بينهما من هذه النسبة قيـل : إن الملك له السِّكَّة والخُطبة ، وقد أَسمع أَمير المؤمنين فى هذا الجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب، ويتداوله كلّ بعيد وقريب، وإن الله أَمر بأَوامر ونهى عن نواه وهو رقيب، ويستفرغ [2] الأَولياء له السجايا ،وتفرِّع [3] الخطباءُ فيها بنعوت الوصايا ، وتـكمل بها المزايا ، وتتـكلم بها المواعظ [4] وتخرج من المشايـخ الخبايا من الزوايا ، وتسمر بها السُّمّار ، وتتناقلها رواة الأَخبار [5] ، ويترنم بها الحادى والملاّح ،

---

(١) في صبح الأعشى : تحدِّق بجواره الأحداق .

(٢) في صبح الأعشى : وتستفزع الأولياء لها .

(٣) في صبح الأعشى : وتتضرع .

(٤) في صبح الأعشى : ويتكلم بها الواعظ .

(٥) هذه الجملة لم ترد في صبح الأعشى

ويَرقّ سَجْوها [1] فى الليــل المقمر ، ويُرْقَم على جنب الصباح ، وتُعطِّر بها مــكةُ بطحاءَها وتحيا بحديثها قُباه ، ويلقّنها كلُّ أَب فَهْمَ ابنه ويسأَل كلُّ ابن أَن يُجيب أَباه ، وهو لــكم أَيهــا الناس من أَمير المؤمنين [2] وعليــكم بَيّنة ، وإليــكم ما دعاكم به إلى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ، ولأَمير المؤمنين عليــكم الطاعةُ ولولا قيام الرعايا بها ما قبل الله أَعمالَها ، ولا أَمسك (١٧٣ ا) بهــا البحر ودحا الأَرض وأَرسى جبالها ، ولا اتفقت الآراء عــلى من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أَذيالها ، وأَخذها دون بنى أَبيه ولم تــكن تصلح إلاّ له ولم يــكن يصلح إلاَّ لهــا ، وقد كفاكم أَمير المؤمنين السؤال بما فتــح لــكم من أَبواب الأَرزاق ، وأَسباب الارتفاق ، وأَحسن لــكم من وفاقــكم وعلّمــكم مكارم الأَخلاق ، وأَجراكم على عوائدكم ولم يُمسك خشية الإملاق ، ولم يبق على أَمير المؤمنين إلاّ أَن يسير فيــكم بــكتاب الله وسنــة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما ينتفع به من يجىء – أَطال الله بقاء أَمير المؤمنين –

---

(١) في صبح الأعشى : ويروق شجوها .

(٢) في صبح الأعشى : « رشد وعليكم بينة » . وفي الأصل مضروب على كلمة « رشد » .

من بعده ، ويزيد على كل من تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد ، وينيم الرعايا بعدله الشامل فى مهاد ، وأَمير المؤمنين يقيم عبادة [1] موسم الحج فى كل عام ، ويشمل بكرمه سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام، ويجهز السبيل على عادته ويرجو أَن يعود إلى حاله الأَول فى سالف الأَيام ، ويتدفق فى هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل إلى ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ، ويقوم بِقَوَمَة [2] قبور الأَنبياء صلوات الله عليهم أَين كانوا وأَكثرهم فى الشام ، والجمع والجماعات هى فيكم على قَديم سُنَنها وقَويم سَنَنها ، وستزيد فى أَيام أَمير المؤمنين بمن انضمّ إليه وفيما يتسلمه من بلاد الكفار ويُسلم على يديه ، وأما الجهادُ فيكفى [3] باجتهادِه القائمُ عن أَمير المؤمنين بأُموره المقلَّدُ عنه جميع ما وراء سريره ، فأَمير المؤمنين قد وكل إليه ـ خلد الله سلطانه ـ الأَنام [4] وقلده سيفه الراعب بوارقه ليسلَّه واجده [5] على الأَعداء سلَّ خياله عليهم فى

(١) في صبح الأعشى : على عباده .

(٢) في الأصل : مقامه والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) في صبح الأعشى فيكتفى بأحبتها والقائم .

(٤) في صبح الأعشى : عناد الأيام .

(٥) في الأصل : ليلة واحدة .

الأَحـلام ، ويؤكد أَمير المؤمنين فى ارتجاع ما غلب عليه العِدَا ، وانتزاع أَيديهم من بلاد الإِسلام فإِنه حقٌّ[1] وإِن طال عليه المَدَى ، وقد تقدّمت الوصية بأَن يغزو العدوَّ المخذول برًّا وبحرا ، ولا يكف عمن يظفر به منهم قتلا وأَسْرا ، ولا يفك أَغلالا (١٧٣ ب) ولا إِصرا ، ولا ينفكُّ يرسل عليهم فى البحر غِربانا ، وفى البر من الخيل عِقبانا ، يحمل منها كل فارس صقرا ، ويحمى الممالك ممن يجوز أَطرافها بأَقدام وَيتخوَّل أَكنافها بالإِقدام ، وينظر فى مصالح القلاع والحصون والثغور ، وما يُحتاج إِليه من آلات القتال ، وما تُجتاحُ به الأَعداء ويَعْجز عنه المحتال ، وأُمهات الممالك التى هى مرابط البنود ومرابض الأُسود والأُمراء والعساكر والجنود ، وترتيبهم فى الميمنة والميسرة وبالجناح الممدود[2] ، وليتفقد أَحوالهم بالعرض ، بما لهم من خيل تعقد بين السماء والأَرض ، ومالهم من زرد مصون ، وبَيْض مَسَّها ذائب ذهب فكانت كأَنها بَيْضٌ مكنون ، وسيوف قواضب ، ورماح لكثرة طعنها من الدماء خواضب ، وسهام تواصلُ القسى وتفارقها ، فتحن

---

(١) في صبح الأعشى أضاف المحققون [ما بأ] يديهم .

(٢) في صبح الأعشى : ومرابض الأسود والجناح الممدود .

حنين مفارق ، وتزمجر القوس زمجرة مغاضب .

وهذه جملة أَراد أَمير المؤمنين بها تطييب قلوبكم ، وإِطالة ذيل التطويل على مطلوبكم ، ودماؤكم وأَموالكم وأَعراضكم فى حماية إلاَّ ما أَباح الشرع المُطَهَّر ، ومزيد الإِحسان إِليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر ، وأَما جُزئيات الأُمور فقد علمتم بأَن فيمن تقلد عن أَميرالمؤمنين غِنًى عن مثل هذه الذكرى ، وولاة حقٍّ[1] لا تشغل بطلب شيء فكرا ، وفى ولاة الأُمور ، ورعاة الجمهور ، ومن هو سداد عمله ومداد أَمله ، ومراد من هو منكم معشر الرعايا من قِبَله ، وأَنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أَمير المؤمنين ومَنْ حولَكم ، وأَنتم وهم فما منكم إلا من سيعرف أَمير المؤمنين ويمضى فى مراضى الله على سلفه ، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى فى طاعة الله فى خلفه ، وكلكم سواء فى الحق عند أَمير المؤمنين ، وله عليكم أَداء النصيحة ، وإِبداء الطاعة بسريرة صحيحة ، وقد دخل كل منكم فى كنف أَمير المؤمنين وتحت رأْفته ، ولزمه حكم بيعته ، وأُلزم (١٧٤ ا) طائرَه فى عنقه ،

(١) في صبح الأعشى : وفتى حق .

ويستعمل كل منكم فى الوفاء ما أَصبح به عليماً ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١)

هذا قول أَمير المؤمنين ، وعلى هذا عُهد إليه وبه يَعْهَد ، وما سوى هذا فهو فجور لا يُشْهَدُ به عليه ولا يَشْهَد ، وهو يَعْمل فى ذلك كله ما تُحمد عاقبتُه من الأَعمال ، ويَحْمِل منه ما يصلح له المآل لا المال (٢) ، وأَمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ، ويستعيذ بالله من الإِهمال ، ويسأَل الله أَن يُمِدَّه بما يُحبُّ من الابتهال ولا يَمُدَّ له حَبْلَ الإِمهال (٣) ، ويختم أَميرُ المؤمنين قوله بما أَمر الله به من العدل والإِحسان ، ويحمد الله وهو من الخلق أَحمَدُ وقد آتاه الله مُلْك سليمان ، والله تعالى يُمتع أَميرَ المؤمنين بما وهبه ، ويملكه أَقطار الأَرض ويُورثه بعد العمر الطويل عَقِبَه ، ولا يزال على أَسِرَّةِ العلياء قُعُودُه ، ولباس الخلافة به أُبَّهة (٤) الجلالة كأَنه ما مات منصوره ولا أَودى (٥) مَهدِيُّه ولا ذهب رشيده .

---

(١) سورة الفتح الآية ١٠

(٢) في صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٣١ : ما يصلح به الحال والمآل .

(٣) جملة « ويسأل الله » ساقطة من صبح الأعشى .

(٤) في الأصل : أهبة .

(٥) في الأصل : ودى . وفي صبح الأعشى ردى .

المذهب الرابـــع

من البيعات التى تــكتب للخلفاء أن تفتتـــح البيعة بالحمد لله ، وهو الذى استقر عليه العمل فى زماننا جريا على طريقة متأَخرى كُتَّاب الديار المصرية فى كتابة عهود الخلفاء والملوك .

وهذه نسخة [1] بيعة أَنشأْتهــا

مرتبة على موت الخليفة [2] الذى قبله وهى :

الحمد لله الذى جعل الأُمة المحمدية أَبذخَ الأُمم شَرَفا ، وأَكرمها نِجَارًا وأَفضلها سلفا ، وجعل رتبة الخلافة أَعلى الرتب رتبة وأَعزها كَنَفا ، وخصَّ الشجرة الطيبة من قريش بأَن جعل منهم الأَئمة الخُلَفا ، وآثر (١٧٤ ب) الأُسرة العباسية منها بذلك ، دعوةٌ سبقت من ابن عَمهم المصطفى ، وحفظ بهم نظامها على الدوام فجعل ممـــن سَلَف منهم خَلَفا

نـحمده على أَن هيأَ من مقدمات الرَّشَد ما طاب الزمان

---

(١) صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٠٨

(٢) في هامش الأصل بخط مختلف من قارئ نصها « خليفة من ؟ هنا سقط » .

به وصفا ، وجدد من رسوم الإمامة بخير إمام ما دَرَسَ منها وعفا ، وأَقام للمسلمين إماماً تَأَرَّجَ الجوُّ بنَشْره فأَصبح الوجود بِعَرْفه معترفا .

ونشهد أَن لا إِله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسَّك بعهدها فوفى ، وأَعطاها صفقة يده للمبايعة فلا يبغى عنها مَصْرِفا ، وأَن محمدا عبده ورسوله الذى تدارك الله به العالم بعد أَن أَشْفَى فشفى ، ونسختْ آيةُ دِينه الأَديانَ وجلا بشرعته المنيرة من ظلمة الجهل سَدَفا ، وجعل مُبايِعَهُ مبايعا لله يأْخذه بالنَّكْث ويوفِّيه أَجرَهَ على الوفا ، صلى الله عليه وعلى آله الأَطهار وعترته الشُّرفا ، ورضى الله عن أَصحابه الذين ليس منهم من عاهد الله فغدر ولا وادّ فى الله فجفا ، خصوصا من جاء بالصدق وصدّق به فكان له قرابة القرب وصفوةَ الصفا ، [1] والمرجوع إِليه فى البيعة يوم السقيفة بعدما اشرأَبَّتْ نحوها نفوس كادت تذوب عليها أَسفا ، والقائم فى قتال أَهل الردة من بنى حَنيفَة حتى استقاموا على الحنيفة السمحة حُنَفا ، ومن استحال دلو الخلافة فى يده غَرْبا فكان أَشدّ [2] عبقرى

(١) في صبح الأعشى : قرابة وصفوة الصفا .

(٢) في صبح الأعشى : أفيد عبقرى .

قائم بأَمرها فكفى ، وعمّت فتوحه الأَمصار وحملت إليه أَموالها فلم يمسكها إقتارا ولم يبذر فيها سَرَفا . ومن كان فضله لِسَهْم الاختيار من بين أَصحاب الشورى هدفا ، وجمع الناسَ فى القرآن على صحيفة واحدة وكانت قبل ذلك صُحُفا ، ومن سرى إليه سرٌّ «أَما تَرْضَى أَن تكونَ منى بمنزلة هارون من موسى» فغدى يجر من ذيل الفَخار سُجُفا ، واستولى على المكارم من كل جانب فحاز أَطرافها طَرَفاً طَرَفا ، وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل الحق ولطريق الهدى (١٧٥ ا) اقتفى ، صلاة ورضوانا يذهبان الداء العضال من وخامة الغدر ويجلبان الشِّفا ، ويرفعان قدر صاحبهما فى الدنيا ويُبَوِّئان منتحلَهما من جنات النعيم غُرفا .

أَما بعد ، فإن عَقْدَ الإمامة لمن يقوم بأَمر الأُمة واجب الإجماع ، مستند لأَقوى دليل تنقطع دون نقضه الأَطماع ، وتَنْبُو عن سماع ما يخالفه الأَسماع ، إذ العباد مجبولون على التباين والتغاير ، مطبوعون على التخالف والتنافر[1] ، مضطرون إلى التعاون والتجاور ، مفتقرون إلى التعاضد

(١) في صبح الأعشى : مطبوعون على التحالف والتناصر .

والتناصر ، فلا بد من زعيم يمنعهم من التظالم ، ويحملهم علـى التناصف فى التداعى والتحاكم ، ويقيم الحدود فتصان المحارم عن الانتهـــاك ، وتحفظ الأَنسابُ عن الاختلاط والاشتراك ، ويحمى بيضة الإسلام فيمنع أَن تطرق ، ويصون الثغور أَن يُتَوصّل إِليها أَوْ يُتَطرّق ، ليعزّ الإِسلامُ دارًا ، ويطمئن المستخفى ليلا ويأْمَنَ الساربُ نهارا ، ويذبّ عن الحُرَم فتُحترم ، ويذود عن المنــكرات فلا تُغْشَى بل تُصْطَلَم ، ويجهِّز الجيوش فتنكأ العدوّ ، ويغير على بلاد الــكفر فيمنعهم القرارَ والهُدُوّ ، ويرغم أَنف الفئة الباغية ويقمعها ، ويزجر [1] الطائفة المبتدعة ويردعها ، ويأْخذ أَموال بيت المال بحقها فيُطاوَع ، ويصرفها إِلى مستحقها فلا يُنازَع ، لا جرم اعتُبر للقيام بها أَكملُ الشروط وأَتمّ الصفات ، وأَكرم الشيم وأَحسن السِّمات .

وكان السيد الأَعظم الإِمام النبوى سليل الخلافة ، وولى الإِمامة ، أَبو فلان فلانٌ العباسىّ – المتوكّلُ على الله مثلاً – أَميرُ المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الراشدين [2] ،

---

(١) في صبح الأعشى : ويدغم .

(٢) مكان هذه الجملة في صبح الأعشى : سلك الله تعالى به جدد آبائه الراشدين .

هو الذى جمـع شروطها فوفّاها ، وأَحاط منها بصفات الـكمال واستوفاها ، ورامت به أَدنى مراتبها فبلغت به إلى أَغياها ، وتسوَّر إلى معاليها فرقى إلى أَعلاها ، واتَّحدَ بها فكان معنى صورتها ومغناها . وكانت الإمـامة قد تـأَيَّمت (١٧٥ ب) ممن يقوم بـأَعبائها ، وعزت خُطّابُهـا لقلّة أَكْفَائها ، فلم تُلْف لها بعلا تطلبه يـكون لها قرينا ، ولا كُفُوًا تخطبه يـكون لديها مكينا ، إلا الإمام الفلانى المُشار إليه ، فدعت لخِطبتها وهى بنت [1] عرسـه ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [2] فـأَجاب خِطْبَتَهَا ، ولبّى دعوتها ، لتحقّقه رغبتها إليه ، وعلمه بوجوب إجابتها عليه ، إذ هو شبلها الناشئ بغابها ، وغيثها المستمطَر من سحابها ، بل هو أَسدها الهصور ، وقُطْب فلكها الذى عليه تدور ، ومعقلها الأَمنـع الحصين ، وعِقْدها الأَنفس الثمين ، وفارسها الأَروع وليثها الشهير ، وابن بجدتها الساقطة منه على الخبير ، وتلادها العليم بـأَحوالها ، والجدير بمعرفة أَقوالها وأَفعالها ، وترجمانها المتـكلم بلسانها ، وعالمها المتفنن فى أَفنانها ، وطبيبها

(١) في صبح الأعشى : بيت عرسه .
(٢) سورة يوسف الآية ٢٣

العارف بطبها ، ومنجدها الكاشف لكربها .

وحين بلغت من القصد سُولها ، ونالت بالإجابة منه مأْمولها ، وحرم على غيره أَن يَسُومَها لذلك تلويحا ، أَو يعرج على خطبتها تعريضاً وتصريحا ، احتاجت إلى ولىٍّ يوجب عقدها ، وشهود تحفظ عهدها ، فعندها قام السلطان الأَعظم الملك الفلانى - بالأَلقاب السلطانية إلى آخرها - خلد الله سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأَعوانه ، فانتصب لها وليّا ، وأَقام يفكر فى أَمرها مليّا ، فلم يجد أَحق بها منه فتجنبَ عَضْلَها ، فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلاَّ لها ، فجمع أَهل الحلّ والعقد ، المُعْتَزِينَ [1] للاعتبار والعارفين بالنقد ، من القضاة والعلماء ، والأُمراء ووجوه الناس وأَعيان الدولة والوزراء [2] وأَهل الخير والصلحاء ، وأَرباب الرأْى والنصحاء ، فاستشارهم فى ذلك فصوّبُوه ، ولم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه ، فاستخار الله تعالى وبايعه ، فتبعه أَهل الاختيار فبايعوا ، وانتهى ذلك إلى الكافة فتابعوا [3] ، وانقادوا (١٧٦ ا) لحكمه

(١) في الأصل : المعتبرين . والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى .

(٣) هذه العبارة لم ترد في صبح الأعشى .

وطاوعوا ، فقـابل عقـدها بالقبول بمحضر من القضاة والشهود فلزمت ، ومضى حكمها على الصحة وانبرمت ، ولما تمّ عقدُها ، وطلع بصبح اليُمن سعدُها ، التمس المقام الشريف السلطانىّ الملكىّ الفلانىّ المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع محلّه ، وقرن بالتوفيق فى كلّ أَمر عَقده وحَلَّه ، أَن يناله عهدها الوفىّ ، ويرد منها موردها الصفىّ ، ليرفع بذلك عن أَهل الدين حُجْبا ، ويزداد من البيت النبوى قُرْبا ، فتعرض لنفحاتها من مقرَّاتها ، وتطلّب بركاتها من مَظنَّاتها ، ورغب إلى أَمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ، صلوات الله عليهم أَجمعين ، أَن يجدّد له بعهد السلطنة الشريفة عَقْدا ، ويأْخذ له من أَهل البيعة بذلك عهدا ، ويستحلفهم على الوفاء لهما بما عاهدوا ، والوقوف عندما بايعوا عليه وعاقدوا ، ليقترن السعدان فيعم نَوْؤهما ، ويجتمع النيران فيبهر ضوؤهما ، [فلباه تلبية راغب ، وأَجابه إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب] وعهد إليه فى كل ما تقتضيه أَحكام إمامته فى الأُمة عموماً وشيوعا ، وفوّض له حكم الممالك الإسلامية جميعا ، وجعل إليه أَمر السلطنة المعظمة بكل نطاق ، وأَلقى إليه

مقاليدها وصرفه فيها على الإطلاق، وأقامه على الأمة بعهد الخلافة وصيّا ، وجعله للإمامة بتفويض الأَمر إليه وليّا ، ونشر عليه لواء الملك وقلده سيفه العضْب ، وأَلبسه الخلعة السوداء فابيض من سوادها وجه الشرق والغرْب ، وكتب له بذلك عهدا كبت عدوّه، وزاد شرفه وضاعف سموّه ، وطولب أَهل البيعة بالتوثيق على البيعتين بالإيمان فأَذعنوا، واستُحلفوا على الوفاء فبالغوا فى الأَيمان وأَمعنوا ، وأَقسموا بالله جهد أَيمانهم ، بعد أَن أَشْهدوا الله عليهم فى إسرارهم وإعلانهم، وأَعطوا المواثيق المغلظة المشدّدة، وحلفوا بالأَيمان المؤكّدة المعقَّدة، على أَنهم إن أَعرضوا (١٧٦ ب) عن ذلك وأَدبروا ، أَو بدلوا فيه أَو غيّروا ، أَو عرجوا عن سبيله أَو حادوا ، أَو نقصوا منه أَو زادوا ، فكل منهم برىء من حول الله وقوته إلى حول نفسه وقوته ، وخارج من ذمته الحصينة إلى ذمته ، وكل امرأَة فى نكاحه أَو يتزوجها فى المستقبل فهى طالق ثلاثا بتاتا، وكلما راجعها فهى طالق طلاقا لا يقتضى إقامة ولا ثباتا ، وكل مملوك فى ملكه أَو يملكه فى المستقبل حر لاحق بأَحرار المسلمين ، وكل ما ملكه أَو يملكه من جماد وحيوان صدقة على الفقراء

والمساكين ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ، والوقوف بعرفة وسائر المشاعر العظام ، مُحْرما من دُويرة أَهله ماشيا ، حاسرا عن رأْسه وإن كان به أَذى حافيا ، يأْتى بذلك فى ثلاثين حجة متتابعة على التمام ، لا يُجزئه واحدة منها عن حجّة الإسلام ، وإهداء مائة بدنة للبيت العتيق كل سنة على الدوام ، وعليه صوم جميع الدهر إلاّ المنهى عنه من الأَيام ، وأَن يفك أَلف رقبة مؤمنة من أَسر الكفر فى كل عام ، يمين كل منهم فى ذلك على نيَّة أَمير المؤمنين ، وسلطان المسلمين ، فى سره وجهره ، وأَوله وآخره ، لا نيَّةَ للحالف فى ذلك فى باطن الأَمر ولا فى ظاهره ، لا يُورِّى فى ذلك ولا يستثنى ، ولا يتأَول ولا يستفتى ، ولا يسعى فى نقضها ، ولا يخالف فيها ولا فى بعضها ، متى جنح إلى شىء من ذلك كان آثما ، وما تقدم من تعقيد الأَيمان له لازما ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلا ، ولا يُجزئه عن ذلك كفّارة أَصلا ، كل ذلك على أَشد المذاهب بالتخصيص ، وأَبعدها عن التساهل والترخيص ، وأَمْضَوْها بيعة ميمونة ، باليمن مبتدأَة بالنُّجْح مقرونة ، وأَشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من الأَئمة الأَعلام ، والشهود

والحكام ، وجعلوا الله على ما يقولون وكيلا ، فاستحق عليهم (١٧٧ ا) الوفاء بقوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذا عاهَدْتُمْ ولا تَنْقُضُوا الأَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [١] وهم يرغبون إلى الله أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأُجور ، ويلجئُون إليه أَن يجعل أَئمتهم ممن أَشار تعالى إليه بقوله ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وآتَوُا الزَّكاةَ وأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [٢] [إن شاء الله تعالى] .

وهذه نسخة [٣] بيعة أَنشأْتها أَيضاً

على هذه الطريقة مرتبة على خلع . وهى :

الحمد لله الذى جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأَمنا ، وأَقام سور الإمامة وقاية للأَنام وحصنا ، وشدّ منها بالعصابة القرشيةِ أَزْرًا وشاد منها بالعُصبة العباسية رُكْنا ، وأَغاث الخلق بإمام هُدًى حَسُنَ سيرةً وصفا سريرةً فراقَ صورةً ورقّ معنى ، وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن

(١) سورة النحل الآية ٩١

(٢) سورة الحج الآية ٤١

(٣) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣١٣

الانقياد إليه أَعلى ولا أَدنى ، ونزع جلبابها عمن شغل قلبه (١) بغيرها فلم يعرها نظرا ولم يُصْغِ لها أُذنا ، وصرف وجهَها عمن أَساءَ فيها تصرفا فلم يَرْفع بها رأْسا ولم يَعْمُرْ لها مَغْنى .

نحمده على نعمٍ حلَتْ للنفوس حين حَلَّتْ [ومِنن جَلَت الخطوبَ حين جلّت] ومَسارَّ سرتْ إِلى القلوب فَسَرَّتْ ، ومبارَّ أَقرّتِ العيونَ فَقَرَّتْ ، وعوارفَ أَمَّتِ الخليقةَ ، فتوالت وما وَلَّتْ ، وقدمٍ صدقٍ ثبتت إِن شاءَ الله فى الخلافة فما تَزَلْزَلَتْ ولا زَلَّتْ .

ونشهد أَن لا إِله إِلاَّ الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا من دَرَك الشكوك كالِئة ، ولمهاوى الشُّبَهِ دارئة ، وللمقاصد الجميلة حاوية ، ولشُقّة الزيغ والارتياب طاوية ، وأَن محمداً عبده ورسوله الذى نصح للأُمة إِذ بلّغ فشفَى عَليلَها ، وأَوردها من مناهل الرَّشَدِ (١٧٧ ب) ما أَطفأَ وهَجَها وَبرّد غليلَها ، وأَوضح لهم مناهج الحق ودعاهم إِليها ، وأَبان لهم سبل الهداية فـ ﴿ مَنِ اهْتَدَى

(١) هذه الكلمة غير موجودة في صبح الأعشى .

فَإِنَّما يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها ﴾[1]
صلى الله عليه وعلى آله أَئمة الخير وخير الأَئمة ، ورضى عن أَصحابه أَولياء العدل وعدول الأُمة ، صلاةً ورضواناً يعمان سائرهم ، ويشملان أَولهم وآخرهم ، سيما الصديق الفائز بأَعلا الرتبتين صدقا وتصديقا ، والحائز قَصَبَ السبق فى الفضيلتين علماً وتحقيقاً ، ومَنْ عَدَلَ الأَنصارُ إليـــه عن سعد بن عبادة بعد ما أَجمعوا على تقديمه ، وبادر المهاجرون إلى بيعته اعترافاً بتفضيله وتـــكريمه ، والفاروق الشديد فى الله بأْساً واللين فى الله جانباً ، والمُوفِى للخلاَفة حقا والمؤدى للإمامة واجبا ، والقائم فى نصرة الدين حقّ القيام حتى عمت فتوحُه الأَمصارَ مشارقا ومغاربا ، وأَطاعته العناصر الأَربعة إذ كان لله طائعاً ومن الله خائفاً وإلى الله راغبا ، وذى النُّورَيْنِ المعوَّل عليه من بين سائر أَصحاب الشورى تنويها بقدره ، والمخصوص بالاختيار تفخيماً لأَمره ، من حُصِر فى بيته فلم يمنعه ذلك عن تلاوة كتاب الله وذكره ، وشاهـد سيوفَ قاتليه عِياناً فقابل فَتكَاتِهـا بجميــل صبره ، وأَبي الحسن الذى أَعرض عن الخلافة

---

(1) سورة الإسراء الآية ١٥

حين سُئلها ، واستعفى منها بعدما اضطّر إليها وقبِلها ، وكُشف له عن حقيقة الدنيا فما أَمَّ قِبلتَها بقلبه ولا وَلّى وجهه قِبَلها ، وصرّح بمقاطعتها بقوله : « يا صفراء غُرِّى غيرى يا بيضاءُ غرى غيرى » . لمّا وصلها من وصلها ، وسائر الخلفاء الراشدين بعدهم ، الناهجين نَهْجهم والواردين ورْدَهم .

أَما بعد ، فإِن للإِمامة شروطاً يجب اعتبارها فى الإِمام ، ولوازمَ لا يُغْتَفَر فواتُها فى الابتداء ولا فى الدوام ، وأَوصافا يتعيَّنُ إعمالُها ، وآدابا لا يَسَعُ إهمالُها ، من أَهمها العدالة التى مِلاكها التقوى ، (١١٧٨) وأَساسها مراقبة الله تعالى فى السر والنجوى ، وبها تقع الهيبة لصاحبها فى القلوب فَيُجَلّ ، وتميل النفوس إليها فلا تُمَلّ ، فهى الملَكة الداعية إلى ترك الكبائر واجتنابها ، والزاجرةُ عن الإِصرار على الصغائر وارتكابها ، والباعثة على مخالفة النفس ونهيها عن الشهوات ، والصارفةُ عن انتهاك حرمات الله التى هى أَعظم الحرمات ، والموجبة للتعفف عن المحارم ، والحاملة عن تجنب الظُّلامات ورد المظالم . والشجاعة التى بها حماية البيضة والذَّبُّ عنها ، والاستظهار بالغزو على

نكاية الطائفة الكافرة والغض منها ، والقوّة بالشَّوكة على تنفيذ الأَوامر وإمضائها ، وإقامةِ الحدود واستيفائها ، ونشر كلمة الحق وإعلائها ، ودحض كلمة الباطل وإخفائها ، وقطع مادة الفساد وحسم أَدوائها ، والرأْى المؤدِّى إلى السياسة وحسن التدبير ، والمُغْنى فى كثير من الأَماكن عن مزيد الجِدّ والتشمير ، والمُعينُ فى خُدَع الحرب ومكائده ، والمُسعف فى مصادر كل أَمر وموارده .

هذا وقد جعلنا الله تعالى أُمة وسطا ، [ووعظنا بمن سلف من الأُمم ممن تمرّد وعتا أَو تجبّر وسطا] وعصم أُمتنا أَن تجتمع على الضلال ، وصان جمعنا عن الخطإِ [1] فى الفِعل والمقال ، ونَدَبَنا إلى الأَمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسوّغ لأَئمتنا الاجتهاد فى النوازل والأَحكام فاجتهادهم لا يُحظر ولا ينكر ، [2] خصوصاً فى شأْن الإِمامة التى هى آكد أَسباب المعالم الدينية وأَقواها ، وأَرفعُ المناصب الدنيوية وأَعلاها ، وأَعز الرتب رتبة وأَغلاها ، وأَحقها بالنظر فى أَمرها وأَولاها . وكان القائم بأَمر المسلمين الآن

(١) في صبح الأعشى : عن الخطل .

(٢) في صبح الأعشى : فاجتهادهم لا ينكر .

فلان بن فلان الفلانى ممن حاد عن الصراط المستقيم ، وسلك غير النهج القويم ، ومال عن سنَنِ الخلفاء الراشدين فأَدركه الزلل ، وقارف المـآثم فعاد بالخَلَل ، فعاث فى الأَرض فسادا ، وخالف الرُّشْدَ عِنَادا ، ومال (١٧٨ ب) إلى الغىّ اعتمادا وأَسلم إلى الهوى قيادا ، قد انتقل عن طور الخلافة ، وعزيز الإنافة ، إلى طور العامة فاتصف بصفاتهم ، واتَّسم بسماتهم ، فمُنْـكَر يجب عليـه إنـكاره قد باشره ، وصديق سَوْءٍ يتعين عليه إبعاده قد وازره وظاهره ، إن سلك فسبيل التُّهمَة والارتياب ، أَو قصَدَ أَمرا نَحَا فيه غيرَ الصواب ، منهمك على شهواته ، منعـكف على لذاته ، متشاغل عن أَمر الأُمة بأَمر بنيه وبناته ، الجبن رأْس ماله ، وعدم الرأْى قرينه فى أَفعاله وأَقواله ، قد قنـع من الخلافة باسمها ، ورضى من الإمامة بوَسْمها ، وظن أَن السُّؤدَدَ فى لُبْس السواد فمال إلى الحَيْف ، وتوهم أَن القاطعَ الغِمْدُ فَقَطَـعَ النظر عن السيف .

ولمـا اطّلع الناس منه على هذه المنـكَرات ، وعَرَفوه بهذه السِّمات ، وتحققوا فيه هذه الوَصَمات ، رغبوا فى استبداله ، وأَجمعوا على خلعه وزواله ، فلَجَئوا إلى السلطان

الأَعظم الملك الفلانى - بالأَلقاب السلطانية إلى آخرها - نصر الله جنوده ، وأَسمى جدوده ، وأَرهف على عُداة الله حدودَه ، ففوَّضوا أَمرهم فى ذلك إليــه ، وأَلقوا كَلَّهم عليه ، فجمع أَهل الحل والعقد منهم ، ومن تَصْدُر إليهم الأُمور وترد عنهم ، فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وانسلخوا عن طاعته ، وجرّدوه عن خلافته تجريد السيف من القِراب ، وطوَوا حكم إمامته كَطَىِّ السِّجلِّ للكتاب ، وعندما تم هذا الخَلْع ، وانطوى حكمُه على البت والقطع ، التمس الناس إماماً يقوم بأُمور الإمامة فَيُوفِيها ، ويجمع شروطها ويستوفيها ، فلم يجدوا لها أَهلا ، ولا بها أَحق وأَولى ، وأَوفى بهـا وأَملى ، من السيد الأَعظم الإمام النبوى سليل الخلافة ، ووليد الإمامة أَبى فلانٍ فلانٍ العباسى - الطائع لله مثــلا - أَمير المؤمنين . (١٧٩ ا) لازال شرفه باذخا ، وعرينه الشريف شامخا ، وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا ، فسامُوه بيعتها فلبَّى ، وشامُوا برق ولايته فأَجاب وما تـأَبَّى ، علماً منه بأَنها تعيّنت عليه ، وانحصرت فيه فلم تجد أَعلى منه فتعدِلَ إليه ، إذ هو ابن بجدتها ، وفارس نجدتها ،

ومُزيل غُمَّتها ، وكاشف كُرْبتها ، ومُجَلِّى غَياهِبِها ، ومُحْمِدُ عواقبها ، ومُوضِّح مذاهبها ، وحاكمها المكين ، بل رشيدها الأَمين ، فنهض المقامُ الشريفُ السلطانى الملكىّ الفلانىّ – المشار إليه – قَرَنَ اللهُ مقاصدَه الشريفة بالنجاح ، وأَعماله الصالحة بالفلاح ، وبدر إلى بيعته فبايع ،وَائْتَمَّ به من حضر من أَهل الحَلِّ والعقد فتابع ، [وقابل عقدها بالقبول فمضى ، ولزم حكمها فانقضى] واتصل ذلك بسائر الرعية فانقادوا ، وعلموا صوابه فمشوا على سَنَنِه وماحادوا : وشاع ذلك فى الأَمصار ، وطارت به مخلَّقات البشائر إلى سائر الأَقطار ، فتعرّفوا منه اليُمن فسارعوا إلى امتثاله ، وتحقّقوا صحة الأَمر [(١)] وثباته بعد اضطرابه واعتلاله ، واستعاذوا من نقص يصيبه بعد تمامه بهذا الخليفة وكماله ، فعندها أَبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصرها ، وجميل وفائها وكريم مظهرها ، وجادت بجزيل الامتنان وتَلاَ لسانُ كرمها الوفىّ على وليها الصادق ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسانِ إِلاّ الْإِحْسانُ﴾ [(٢)] فجدد له بالسلطنة الشريفة عهدا ، وطوّق جيده بتفويضها إليه عقدا ، وجعله وصيَّه فى الدين ،

(١) في صبح الأعشى : صحته وثباته .

(٢) سورة الرحمن الآية ٦٠

ووليّه فى أَمر المسلمين ، وقلّده أَمر الممالك الإِسلامية وأَلقى
إِليه مقاليدها ، وملكه أَزِمَّتها وحقَّق له مواعيدها ، وعقد
له لواءها ونشر عليه أَعلامها ، وصرّفه فيها على الإِطلاق
وفوض إِليه أَحكامها ، وأَلبسه الخلعةَ السوداءَ فكانت
لسؤدده شعارا ، وأَسبغ عليه رداءها فكان له دثارا ،
وكتب له العهدَ فسقى المَعاهِدَ صَوْبُ العِهاد ، ولَهِجَ
الأَنامُ بذكره فاطمأَنت (١٧٩ ب) العباد والبلاد ، وعندما
تم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأَصل ، وأَمْسَتِ الرعايا بما
آتاهم الله من فضله فرحين ، وبنعمته مستبشرين ، طولب
أَهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من
التكدر بعد الصفاء ، من توثيق عَقْدِهَا بمؤكَّد أَيمانها ،
والإِقامة على الطاعة لخليفتها وسلطانها ، فبادروا إِلى ذلك
مسرعين ، وإِلى داعيه مُهطعين ، وبالغوا فى المواثيق
وأَكدوها ، وشددوا فى الأَيمان وعقدوها ، وأَقسموا بالله
الذى لا إِله إِلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالِم خائنةِ
الأَعين وما تخفى الصدور فى البدء والإِعادة ، على الوفاء
لهما والموالاة ، والنصح والمصافاة ، والموافقة والمشايعة ،
والطاعة والمتابعة ، يوالون من والاهما ، ويعادون من

عاداهما ،لا يقعدون عن مناصرتهما عند مُلمّة ، ولا يرقبون فى عدوهما إلاًّ ولا ذمة ، جارين فى ذلك على الدوام والاستمرار ، والثبوت واللزوم والاستقرار ، على أَن من بَدَّل منهم من ذلك شرطا أَو أَعْفَى له رسما ، أَو حاد عن طريقه أَو غيّر له حكما ، أَو سلك فى ذلك غير سبيل الأَمانة ، أَو استحل الغدرَ أَو أَضمر الخيانة ، معلناً أَو مُسِرًّا فى كله أَو بعضه ، متأَولا أَو محتالا لإِبطاله أَو نقضه ، فقد بَرِئَ من حول الله المتين وقوته الواقية ، وركنه الشديد وذمته الوافية ، إلى حول نفسه وقوته ، وركنه وذمته ، وكل امرأَة فى عصمته الآن أَو يتزوجها مدةَ حياته طالق ثلاثا بصريح لفظه لا يتوقف على نية ، لا يُفَرق فيه بين زَمَن سُنَّة[1] ولا بدعة ولا رجعة فيه ولا مَثْنَويّة ،وكل مملوك فى مِلْكه أَو يملكه فى بقية عمره من ذكر أَو أُنثى حرٌ من أَحرار المسلمين ، وكل ما هو على ملكه أَو يملكه [فى بقية عمره] إلى آخر أَيامه من عَيْنٍ أَو عَرض صدقةٌ للفقراء والمساكين ، وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجَّةً بثلاثين عُمْرةً (١٨٠ ا) راجلا حافيا حاسرا ، لا يقبل اللهُ منه غير الوفاء بها باطنا ولا ظاهرا ، وإهداء

(١) في صبح الأعشى : بين سنة .

مائة بدنة فى كل حَجَّة منها فى عُسرته ويسرته ، لا تُجْزِئه واحدة منها عن حَجَّة الإِسلام وعمرته ، وصومُ الدهر خلا المنهىَّ عنه من أيام السَّنة ، وصلاةُ ألف ركعة فى كل ليلة لا يباح له دون أَدائها غَمْض ولا سِنَة ، لا يَقبل منه صرفا ولا عدلا ، ولا يُؤْجَرُ على شىء من ذلك قولا ولا فعلا ، متى وَرَّى فى ذلك أَو استثنى ، أَو تأَوّل أَو استفتى ، كان الحِنْثُ عليه عائدا ، وله إلى دار البوار قائدا ، معتمدا فى ذلك أَشدَّ المذاهب فى سرّه وعلانيته ، على نية المستحْلف له دون نيته ، وأَمضوها بيعة محكمة المبانى ثابتة القواعد ، كريمة المساعى جميلة المقاصد ، طيبةَ الجنَى جميلةَ العوائد ، قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد ، وأَشهدوا على أَنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإِسلام وعلمائه ، وأَئمة الدين وفقهائه ، بعد أَن أَشهدوا الله عليهم ، وكفى بالله شهيدا ، وكفى به للخائنين خصيما : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (1) والله [تعالى] يجعل انتقالهم من أَدنى إلى أَعلى ، ومن يُسرى إلى يُمنى ، ويحقق

---

(1) سورة الفتح الآية ١٠

لهم بمن استخلفه عليهم وعدَه الصادقَ بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ (1) إن شاء الله تعالى .

قلت : والذى استقر عليه الحال فى كتابة بيعات الخلفاء بالديار المصرية الآن أن يتعاطى كتابةَ البيعة كُتَّابُ الحكم الذين هم موقعو قضاة القضاة ، ولا إلمام لهم بصنعة (١٨٠ ب) الإنشاء ، فإن وقعت العنايةُ بكتابة تلك البيعة أمر كاتبُ السرِّ مَنْ له ملكةٌ فى صنعة الإنشاء من رءُوس كتاب الديوان فأنشأ لها صَدْرا على طريقة كتاب الإنشاء ، مفتتحا بخطبة مشتملة على براعة استهلال تناسب المقام ، وتدفع إلى من يتعاطى كتابة تلك البيعة من كُتَّاب الحكم فيصدِّر بها ما يكتبه ، ثم تأتى عقب ذلك بصورة الحال الواقعة فى البيعة سردا ويشهد فى آخرها .

وهذه نسخة بيعة الإمام الأعظم المعتضد بالله أبى الفتح خليفة العصر :

---

(١) سورة النور الآية ٥٥

الموضوع له هذا الكتاب ، وصدرها من إنشاء علامة العصر وإمام أَهل الأَدب الشيخ تقىّ الدين بن حجّة ، مشيرا فيه إلى سلطانه القائم ببيعته الملكِ، المؤيدِ أَبى النصر شيخ ، مُلَوِّحا بذكر شيخ الإِسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى وهى :

الحمد لله الذى شدّ عضد الأُمة بمن أَمسى به مُعْتضدا ، وأَسعفنا من البيت النبوى بخليفة ما برح شيخ الملوك فى تقديم بيته الشريف مجتهدا ، وأَقام العلم العباسى بعد أَبى مسلم بأَبى النصر فأَكرم حسن الختام وحسن الابتداء ، فله الحمد أَولا وآخرا ، وباطنا وظاهرا ، ونكرر حمده على سلطان مؤيّد تحفّ به العلماء الأَعلام ، وظهر لجلالهم فى أَيامه الزاهرة بهجة فقال مُوَرِّياً : هذا زمان مشايخ الإِسلام نحمده على حكمته التى اقتضت أَن تكون الخلافة عمدة لأَحكام يزول بها الالتباس ، وهو القائل ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) وأَشهد أَن لا إِله إِلا الله وحده لا شريك له القادر الذى أَطلع بدور الخلافة كاملة (١٨١ ا) فى المطالع

(١) سورة ص الآية ٢٦

الهاشمية ، وبلَّ ظمأَ الإسلام لسقايتها العباسية ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى يجب تقديم آل بيته فى إيضاح كل أَمر وإِشكاله ، فصَلَّى اللهُ عليه وعلى آله ، صلاةً يَصلُ بها الحقُّ إلى أَربابه ، وينتظم شمل أَبى الفتح بأَبى النصر فى ذهاب كل منهما وإيابِه ، ما تراعت فى مدائحه النظائر ، ومُلئت بالبديع بطون الدفاتر [(١)] .

(١٨٢ ا) تنبيه — قد ذكر محمد بن عمر المدائنى فى كتاب « القلم والدواة » أنه كان يكتب للخلفاء فى قرطاس من ثلثى طومار ، والطومار هو : الفرخة الورق الكاملة ، والمراد الورق البغدادى ، فإن الخلافة ببغداد كانت . وحينئذ فكانت البيعات تُكتب فى قطع الثلثين المذكور ، والذى يظهر أَن ذلك كان فى أَول أَمرهم ، وأَنه بعد ذلك كان يكتب لهم فى قطع البغدادى الكامل ، أَما الآن فالذى استقر عليه الحال فيما يكتب فيه بيعات الخلفاء من بنى العباس بالديار المصرية [(٢)] .

---

(١) ترك فى الأصل بياض قدره صفحتان ونصف ولعل المؤلف كان يريد إثبات البيعة فى هذا الفراغ ثم نسى أن يكتبه .

(٢) كذا نقص بالأصل وانظر صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٣٢ عن قطع الورق والجزء السادس أيضا من صبح الأعشى ص ١٨٩ وص ١٩٠ فى بيان مقادير قطع الورق المستعمل فى زماننا وفيه ثلاث جمل . . . .

الفصل الثانى

(١٨٢ ب) من الباب الثانى فيما يكتب للخلفاء من العهود ، وهى ما يكتب لمن يقوم بالخلافة بعهد من الخليفة قبله ، بالشروط المعتبرة فى ذلك ، على ما تقدم ذكره فى الكلام على الطرق التى تنعقد بها الإمامة فى الباب الأول من الكتاب ، وقد تقدم هناك أن الصّدّيق رضى الله عنه عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب له بها عهدا بخطّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وللكُتّاب فى كتابة عهود الخلفاء للخلفاء مذهبان .

المذهب الأوّل

أن يُفتتح العهد بلفظ : هذا ما عهد فلان لفلان أو : هذا عهد فلان لفلان . أو : هذا كتاب كتبه [1] فلان لفلان . وما أشبه ذلك ، ثم يُؤتى بوصف الخليفة والتنبيه على وجه استحقاقه الموجب لتقدمه على غيره ،

(١) فى صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٥٨ : أو هذا كتاب اكتتبه فلان لفلان .

ثم يُذكر تفويض الخلافة إليه بعد العاهد ، ويؤتى من وصيّته بما يناسب المقام ، مقتصرا فى ذلك على الإشارة والتلويح ، غير مصرح فيه بلفظ الأَمر ، كما يقال فى عهود الملوك : أَمره بكذا . وأَمره بكذا ، على ما سيأْتى فى ذكر عهودهم للملوك ، تعظيما لشأْن ولى العهد بالخلافة ، وتشريفاً لمقامه عن أَن يكون مأْمورا ، وعلى هذه الطريقة كانت عهود الخلفاء من السلف رضوان الله عليهم ، وعلى نهجها مشى أَفاضلُ الكتاب المعتبرين بديوان الخلافة فى العراق ، واختاره أَفاضل الكتاب من المتأَخرين بالديار المصرية ، وصرحوا باختياره فى مُصنَّفاتهم . والأَصل فى ذلك ما رُوى أَن الصديق رضى الله عنه كتب فى (١٨٣ ا) عهده بالخلافة لأَمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه بخطّ عثمان بن عفان ونسخته [١] : هذا ما عهد أَبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آخر عَهده بالدنيا ، وأَوّلَ عهده بالآخرة ، إنى استخلفت عليكم عمرَ بنَ الخطاب ، فإن برَّ وعدل فذلك ظنى به ، وإن بدَّل أَو غيَّر فلا علم لى بالغيب ، والخيرَ أَردتُ بكم ،

(١) فى صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٥٩ : ونسخته - فيما رواه البيهقى فى « السنن » واقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى فى « حسن التوسل » .

ولـكل امرئ ما اكتسب من الإثم [1] ﴿ وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ[2] ﴾ .

ثم تصرّفوا فيه بعد ذلك بالزيادة وبسط القول .

وعلى هذا الأُسلوب

كتب سليمانُ بنُ عبد الملك بن مروان أَحدُ خلفاء بنى أُمية عهدَه لعمرَ بنِ عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك بن مروان [3] بعده .

ا وهذه نسخته [4]

فيما ذكره ابن قتيبة فى « تاريخه » [5]

هذا ما عهِد عبدُ الله سليمانُ بنُ عبد الملك أَميرُ المؤمنين وخليفةُ المسلمين ، عهد أَنه يَشهد للهِ عز وجل بالربوبية والوحدانية ، وأَن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ،

(١) أصلها قوله تعالى « لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم » سورة النور الآية ١١

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧

(٣) في الأصل : ثم يزيد بن معاوية بن يزيد بعده . والتصويب من صبح الأعشى ٩/٣٦٠ وبما تقدم من المؤلف في ترتيبه حـ ١ ص ١٤١ و ١٤٥ وما جاء في العهد صوابا .

(٤) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٦٠

(٥) في صبح الأعشى . في تاريخ الخلفاء .

بعثه إلى محسنى عباده بشيرا ، وإلى مذنبيهم نذيرا ، وأن الجنة والنار مخلوقتان حق [1] ، خلق الجنة رحمة وجزاء لمن أَطاعه ، والنار نقمة وجزاء لمن عصاه ، وأَوجب العفو جودا وكرما لمن عفى عنه ، وأَن سليمان مقرٌّ على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه ، وبما تعلمه نفسه من معصية ربه ، موجبا على نفسه استحقاق ما خلق من النقمة ، راجيا لنفسه ما خلق من الرحمة ، ووعد من العفو والمغفرة ، وأَن المقادير كلَّها خيرها وشرها مقدورة بإرادته ، مُتكوِّنة [2] بتكوينه ، وأَنه الهادى فلا مُغْوِيَ ولا مُضلَّ لمن هداه (١٨٣ ب) وخلقه لرحمته ، وأَنه الفاتن فلا هادى ولا مرشد لمن فتنه وخلقه لنقمته [3] ، وأَنه يفتن المؤمن [4] فى قبره بالسؤال عن دينه ونبيه الذى أُرسل إلى أُمته ، لا مَنْجَى لمن خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه المسأَلة إلاَّ لمن استثناه عز وجل فى علمه . وسليمانُ يسأَل الله الكريم بواسع فضله ، وعظيم مَنِّه ، الثباتَ على ما أَسرَّ وأَعلن ، من معرفة حقه وحقّ نبيه

(١) في صبح الأعشى : حقا .

(٢) في صبح الأعشى : مكونة .

(٣) جملة « وأنه الفاتن . . . » لا توجد في صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى : الميت .

عند مسألة رسله ، والنجاةَ من هولِ فتنةِ فتّانِيه . ويشهد أَن الميزان يوم القيامة حقٌّ يقين ، يزن سيئاتِ المُسيئين وحسناتِ المحسنين ، ليُرِيَ عبادَه من عظيم قُدرته ما أَراده من تَعَبُّده [1] لعباده بما لم يكونوا يحتسبونه ، وأَن من ثقلت موازينه فأُولئك هم المفلحون ، ومن خفَّت موازينه يومئذ فأُولئك هم الخاسرون ، وأَن حوض محمدٍ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يوم الحشر [2] والموقف للعرض حق ، وأَن عدد آنيته كنجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأْ أَبدا ، وسليمانُ يسأَل الله بواسع [3] رحمته أَن لا يرده عن حوض نبيـــه عطشان ، [4] ، وأَن أَبا بـــكر وعمر خيرُ هذه الأَمة بعد نبيها [5] ، والله يعلم بعدهما حيثُ الخير وفيمن الخير من هذه الأُمة ، وأَن هذه الشهادة كلّها المذكورة فى عهده هذا يعلمها الله من سره وإعلانه وعقد ضميره ، وأَنه [6] بها عَبَدَ ربّه فى سالف أَيامه وماضى عمره ، وعليها

(١) سقطت كلمة « تعبده » من صبح الأعشى وأضاف المحققون بدلها كلمة « الخير » .

(٢) في صبح الأعشى : المحشر .

(٣) في الأصل : بوسع .

(٤) في الأصل : عطشا .

(٥) في صبح الأعشى : نبينا .

(٦) في الأصل وأن بها .

أَتاه يقينُ ربه ، وتوفَّاه أَجله ، وعليها يُبعث بعد موته إن شاء الله ، وأَن سليمان كان له بين هذه الشهـــادة بلاَيا وسيّئاتٌ لم يـــكن له عنها محيد ولا بدّ ، جرى بها عليه المقدورُ ـ من الربِّ ـ النافذُ إلى إتمام ما حَدّ ، فإن يَعْفُ ويصفحْ فذاك ما عُرِف منه قديماً ، ونُسب إليه حديثاً ، وتلك صفتُه التى وصف بها نفسه فى كتابه الصادق ، وكلامه الناطق ، وإنْ يُعاقبْ وينتقمْ فَبِما قدَّمت يداه وما اللهُ بظلاَّم للعبيد . وأَن سليمان يُحرِّجُ على من قرأَ عهده هـــذا وسمع ما فيه من حِـــكَمِه [1] أَن ينتهــى إليه فى أَمره ونهيـــه ، بالله العظيم ومحمد رسوله (١١٨٤) الكريم < و > أَن يدع الإِحَنَ المُضْغَنة ، ويأْخذ بالمكارم المُدْجَنة ، ويرفــع يديه إلى الله بالضمير النَّصوح ، والدعاء الصحيح ، والصَّفْــح الصريـــح ، يسأَله العفوَ عنِّى ، والمغفرة لى ، والنجاة من فزعى والمسأَلةِ فى قبرى ، لعلّ الوَدُود أَن يجعل منـــكم مُجابَ الدعوة بما مَنَّ علىَّ من صَفْحه يعود إن شاءَ الله . وأَن ولىَّ عهد سليمانَ بنِ عبد الملك أَمير المؤمنين ، وصاحبَ أَمره بعد موته ، فى جنده ورعيته ،

---

(١) في صبح الأعشى : حكمة .

وخاصته وعامته ، وكلٍّ من استولانى [1] الله عليه ، واسترعانى فى النظر [2] فيه ، الرجلُ الصالحُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ ابنُ عمى ، لما بَلَوْتُ من باطن أمره وظاهره ، ورجوتُ الله بذلك ورضاه [3] ورحمته إن شاءَ الله ، ثم من بعده يُسَلَّم إلى يزيدَ بنِ عبد الملك بن مروان إن بقى بعده ، فإنى ما رأيت منه إلاَّ خَيرا ، ولا اطّلعت له مكروها [4] . وصغارُ ولدى وكبارُهم إلى عمرَ إذ رجوت أن لا يأْلُوَهم رَشَدًا وصَلاَحاً ، والله خليفتى عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين ، وهو أرحم الراحمين ، وأَقِرُّوا لعهدى [5] ، عليكم السلام ورحمة الله .

ومن أَبى من أَمرى [6] هذا ، أَو خالف عهدى هذا — وأَرجو أَن لا يخالفه أَحد من أُمة محمدٍ — فهو ضالٌّ مُضِلٌّ مُسْتَعْتَبٌ ، فإن أَعْتَبَ [7] وإلا فإنى لمنْ خالف عهدى فيهم

(١) في صبح الأعشى : من استخلفنى .

(٢) في صبح الأعشى : واسترعانى النظر .

(٣) أضاف محققو صبح الأعشى ص ٣٦٢ كلمة فصارت الجملة : ورجوت الله بذلك [وأردت] رضاه .

(٤) في صبح الأعشى : على مكروه .

(٥) في صبح الأعشى : واقرءوا عهدى .

(٦) في صبح الأعشى : ومن أبى أمرى .

(٧) مستعتب مطلوب استرضاؤه فان أعتب أى أجاب إلى الرضا وترك ما كان يغضب عليه لأجله .

بالسيفِ السيفِ والقتلِ القتلِ [1] ، فإنهم مستوجبون لهما ، وهم لهيبته مُلْقِحون ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان .

وعلى هـذا

كتب المأمونُ بخطِّه عهدَ عليِّ بن موسى العلويِّ ، المعروفِ بالرِّضَى [2] ، بالخلافة بعدَه .

وهذه نسخته [3]

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارونَ الرشيدِ أميرُ المؤمنين بيده ، (١٤ ب) لعليِّ بنِ موسى بنِ جعفرٍ وليِّ عهده .

أما بعد ، فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام دينا ، واصطفى له من عباده رسلا دالِّين عليه ، وهادين إليه ، يبشر أَوَّلُهُم بآخرهم ، ويصدِّق تاليهم ماضِيَهم ، حتى انتهت نبوَّةُ الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على فَتْرَةٍ

---

(١) في الامامة والسياسة وإلا فالسيف والله المستعان .

(٢) ضبط في صبح الأعشى الرضى على وزن تقى وكذلك فيما جاء في العهد ولكن ضبط الأصل في آخر العهد يؤيد ما ضبطنا وفي ابن خلكان ترجمة على بن موسى كتب على الرضا وهذا يؤيد ماضبطته .

(٣) في صبح الأعشى ص ٣٦٢ : وهذه نسخته فيما ذكر صاحب العقد .

من الرسل ، ودُرُوس من العلم ، وانقطاعٍ من الوَحْى ، واقترابٍ من الساعة ، فختم اللهُ به النبيّين ، وجعله شاهدا لهم ، ومُهيمنا عليهم ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذى ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [1] بما [2] أَحل وحرم ، ووعد وأَوعد ، وحذّر وأَنذر وأَمر به ونهى عنه ، لتكون له الحجة البالغة على خلقه و ﴿ ليهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3] فبلّغ عن الله رسالَتَه ، ودعا إلى سبيله بما أَمره به من الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أَحسن ، ثم بالجهاد والغلْظة ، حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده صلى الله عليه ، فلما انقضت النبوَّةُ ، وخَتَم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوَحْىَ والرّسالة ، جعل له قِوَام الدين ، ونظامَ أَمر المسلمين ، بالخلافة وإتمامها وعزِّها ، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التى بها تُقامُ فُرائضُ الله وحُدُوده ، وشرائع الإِسلام وسُنَنه ويُجَاهَدُ بها عَدُوُّه ، فعلى خلفاء الله طاعته فيما

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢

(٢) في الأصل بما حل وحرم . وفي صبح الأعشى فأحل وحرم .

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٢

استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده ، وعلى المسلمين طاعةُ خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حقِّ الله وعدله ، وأَمْن السُّبُلِ وحَقْنِ الدماء ، وصَلاَح ذاتِ البَيْنِ ، وجمع الأُلْفة ، وفى إخْلالِ ذلك اضطرابُ حَبْلِ المسلمين واختلالُهم واختلافُ مِلَّتهم وقَهرُ دينهم ، واستعلاءُ عدوِّهم ، وتفرُّقُ الكلمة ، وحَسَرَاتُ [1] الدنيا والآخرة .

فحقّ على من استخلفه الله فى أَرضه ، وائْتمنه على خلقه ، أَن يؤثر ما فيه رِضَى الله وطاعته ، ويُقِرَّ لما [2] الله (١١٨٥) وَاقِفُهُ عليه وسائِلُهُ عنه ، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمَّله الله وقلّده ، فإن الله عز وجلّ يقول لنبيه داود عليه السلام ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [3] وقال عز وجل ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [4] وبلغنا أَن

---

(١) في صبح الأعشى : وخسران الدنيا والآخرة .

(٢) في صبح الأعشى ويعد [ل] فيما الله .

(٣) سورة ص الآية ٢٦

(٤) سورة الحجر الآيتان ٩٢ ، ٩٣

عمر بن الخطاب قال : لو ضاعت سَخْلة بجانب الفرات لتخوَّفت أَن يسأَلنى الله عنها ، وأَيم اللهِ إِن المسئول عن خاصَّة نفسه ، الموقوفَ على عمله ، فيما بين الله وبينه ، متعرِّض لأَمرٍ [1] كبير ، وعلى خطر عظيم ، فكيف بالمسئول عن رعاية الأُمة ، وبالله الثِّقة ، وإِليه المَفْزَعُ والرغبةُ فى التوفيق مع العصمة ، والتسديد والهدايةِ إِلى ما فيه ثُبوت الحُجَّة ، والفوزُ من الله بالرضوان والرحمة .

وأَنْظَرُ الأَئمةِ لنفسه ، وأَنصحُهم لله فى دينه وعباده وخلافته فى أَرضه ، مَنْ عمل بطاعة الله وكتابه وسنّة نبيه عليه السلام فى مُدَّة أَيّامه ، واجتهد وأَجهد رأْيه ونظره فيمن يُولِّيه عهده ، ويختاره لإِمامة المسلمين ورعايتهم بعده ، ويَنْصِبُه عَلَماً لهم ، ومفزعاً فى جميع أُلْفَتهم ، ولَمِّ شَعَثهم ، وحَقْنِ دمائهم ، والأَمنِ بإِذن الله من فرقتهم ، وفساد ذات بينهم واختلافهم ، ورَفْعِ نَزْغ الشيطان وكَيْدِه عنهم ، فإِن الله عز وجل جعل العهْدَ بالخلافة [2] من تمام أَمر الإِسلام وكماله ، وعزّه وصلاح أَهله ، وأَلهم

---

(١) في الأصل : متعرض أمر كبير .

(٢) في الأصل : « جعل العهد بعد الخلافة » والتصويب من صبح الأعشى ح ٩ ص ٣٦٤

خلفاءه من تَوكيده [1] لمن يختارونه له من بعدهم ما عَظُمت به النعمة ، وشَمِلَت فيه العافية ، ونقض الله بذلك مَرَّ [2] أهلِ الشقاقِ والعداوةِ والسعْيِ في الفرقة والرَّفْضِ [3] للفتنة ، ولم يزل أَمير المؤمنين منذ أَفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعَة مذاقها وثِقَلَ مَحْمَلِها ، وشدَّةَ مُؤْنَتِهَا (١٨٥ب) وما يجب عليه من تقلُّدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمَّله منها ، فأَنْصَبَ بَدَنَه ، وأَسهر عينه ، وأَطال فكره ، فيما فيه عزُّ الدين ، وقَمْعُ المشركين ، وصلاحَ الأُمة ، ونشْرُ العدل ، وإقامةُ الكتابِ والسُّنَّة ، ومنعه ذلك من الخفض [4] والدعة ، مُهَنَّأَ العيش ، علْمًا بما اللهُ سائلُه عنه ، وحرْصا [5] أَن يلقى الله مُناصِحَهُ في دينه وعباده ، ومختارا لولاية عهده ، ورعاية الأُمَّة من بعده ، أَفضلَ مَنْ يَقْدر عليه في دينه وَوَرَعِهِ وعلمه ، وأَرْجَاهُمْ للقيام بأَمر الله وحقِّه ، مناجياً اللهَ بالاستخارة في ذلك ،

---

(١) في صبح الأعشى : من توسيده .

(٢) المر : الحبل .

(٣) الرفض أن يطرد الرجل غنمه وإبله إلى حيث يهوى فإذا بلغت تركها ولها عنها .

(٤) في الأصل : « من الغض والدعة » والتصويب من صبح الأعشى ج ٩ ص ٣٦٥

(٥) في صبح الأعشى : ومحبة .

ومسألَته[1] إلهامَه ما فيه رضاه وطاعَتُه في ليله ونهاره ، ومُعْمِلاً في طلبه والتماسه من أهل بيتهِ من وَلَدِ عبدِ الله بن العباس وعليِّ بن أَبي طالب فِكْره ونظره ، مقتصرا ممن[2] علم حاله ومذهبه منهم على علمه ، وبالغا في المسألة عمَّن خفي عليه أَمرُهُ جُهْدَهُ وطاقَتَهُ ، حتى استقصى أُمورهم بمعرفته ؛ وابتلى أَخبارهم مشاهَدَةً ، وكشف ما عندهم مُسَائَلةً ، فكانت خِيرَتُه - بعد استخارته لله وإِجْهاده[3] نفسَه في قضاء حقه وبلاده من البَيْتَيْن جميعاً - عليَّ بنَ موسى بنِ جعفر بنِ محمد بنِ عليِّ بنِ الحُسين بنِ عليِّ بن أَبي طالب ، لَمَّا رأَى فَضْلَه البارع ، وعمله الناصع ، وورعه الظاهر وزهده الخالص ، وتخلِّيَه من الدنيا ، وتسلُّمَهُ من الناس ؛ وقد استبان له ما لم تَزل الأَخبارُ عليه مُتَوَاطِئة ، والأَلسنُ عليه متفقة ، والكلمة فيه جامعة ، ولِمَا لم يَزَلْ يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً ، وحَدَثاً ومُكْتَهِلا ، فعقد له بالعهد بالخلافة[4] ، إيثارًا لله والدين ونظرًا للمسلمين ،

---

(١) في صبح الأعشى : ويسأله .

(٢) في صبح الأعشى : فيمن .

(٣) في الأصل : « واجتهاده » والتصويب من صبح الأعشى .

(٤) في صبح الأعشى . فعقد له بالعقد والخلافة .

وطلباً للسلامة وثبات الحُجَّة والنجاة فى اليوم الذى يقوم فيه الناس لربّ العالمين ، ودعا أَميرُ المؤمنين وَلَده وأَهلَ بيته وخاصَّتَه وقُوَّاده وخَدَمه فبايعوه مسارعين مسرورين ، عالمين بإيثار أَمير المؤمنين (١٨٦ ا) طاعَةَ الله على الهوى فى ولده وغيرِهم ممن هو أَشْبَكُ به رَحِماً وأَقربُ قرابةً ، وسمَّاهُ الرِّضَى ، إذ كان رضًى عند أَمير المؤمنين . فبايعُوا معشرَ أَهلِ بيت أَمير المؤمنين ومَنْ بالمدينة المحروسة من قُوَّاده وجنده وعامَّة المسلمين الرِّضَى من بعده ، على اسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده ، بيعةً مبسوطةً إليها أَيديكم ، منشرحة لها صدورُكم ، عالمين بما أَراد أَميرُ المؤمنين بها ، وآثر طاعةَ الله والنظرَ لنفسه ولكم فيها ، شاكرين لله على ما أَلهم [1] أَميرَ المؤمنين من قضاء حقّه فى رعايتكم ، وحِرْصِه على رشده وصلاحكم ، راجين عائدَتَه [2] فى ذلك فى جَمْعِ أُلفتكم ، وحقن دمائكم ، ولَمِّ شعثكم ، وسدِّ ثغوركم وقُوَّةِ دينكم ، ورغمِ عَدُوِّكم ، واستقامةِ أُموركم . وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة

(١) في صبح الأعشى ٣٦٦ حـ٩ على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته في رعايتكم .

(٢) العائدة : المعروف والعطف .

أَمير المؤمنين ، فإن الأَمرَ [1] إن سارعتم إليه ، وحمِدْتم الله عليه ، عرفتم الحَظَّ فيه إن شاءَ الله .

وكَتَبَ بيده يوم الاثنين لسبْعٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

ثم إنه تقدم إلى علىّ بن موسى وقال له : اكتُب خطك بقبول هذا العهد وأَشهدِ اللهَ والحاضرين عليك بما تَعِدُه فى حق الله ورعاية المسلمين .

فكتب علىٌّ الرِّضَى [2] تحته

الحمد لله الفعَّال لما يشاءُ ، لا مُعَقِّب لحكمه ، ولا رادَّ لقضائه ، يعلم خائنة الأَعين وما تُخفى الصدور ، وصلواته على نبيه محمد خاتَم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين ، أَقول – وأَنا علىٌّ بنُ موسى بن جعفر – : إن أَمير المؤمنين – عضَّده الله بالسداد . ورَفَعه [3] بالرشاد – عَرَف من حقِّنا ما جهله غيره ، فوصل أَرحاماً قُطعت ، وأَمَّن أَنفسا فَزِعَتْ ، بل أَحياها وقد تَلِفَت ، وأَغناها إذ

(١) في صبح الأعشى : فإنه الأمر .

(٢) صبح الأعشى حـ ٩ ص٣٩١ وضبط الرضى على وزن تَقِىّ .

(٣) في صبح الأعشى : ووفقه .

افتقرت ، مُتَتَبِّعا رِضَى رَبّ العالمين ، لا يريد جزاء من غيره ، وسيجزى اللهُ الشاكرين (١٨٦ ب) ولا يُضِيع أَجر المحسنين ، وإنه جعل إلَّى عَهْدَه ، والإمرَة الكُبرى إنْ بَقيتُ بعده ، فمن حلَّ عُقدةً أَمر الله بشدِّها ، أَو فَصَم عُرْوَةً أَحبَّ الله إيثاقها ، فقد أَباح حَرِيمه ، وأَحل مُحَرَّمه ، إذ كان بذلك زَارِياً على الإمام [1] منتهكا حرمة الإسلام ، بذلك جَرَى السالفُ فصبر منه على الفَلَتَات ، ولم يُعْتَرَضْ بعدها على العَزَمات ، خوفا على شَتَات الدِّين ، واضطراب حبل المسلمين ، ولقُرْب أَمر الجاهلية ، ورَصْد فُرصةٍ تُنتَهز ، وبائقَةٍ [2] تُبْتَدَرْ ، وقد جعلتُ الله تعالى على نفسى – إن استرعانى على المسلمين ، وقلدنى خلافته – العَمَلَ فيهم عامة ، وفى بنى العباس بن عبد المطلب خاصّة ، بطاعته وسُنَّةِ رسوله صلى الله عليه وسلم ، أَن لا أَسفك دماً حراماً ، ولا أُبيح فَرْجاً ولا مالا إلا ما سفكه حُدودُه ، وأَباحته فرائضه ، وأَن أَتخيَّر الكُفاة جُهْدِى وطاقتى . جعلت بذلك على نفسى عهدا مُؤَكَّدا يَسْأَلنى عنه فإنه

(١) في الأصل : « الأنام » والتصويب من صبح الأعشى .

(٢) في صبح الأعشى : وباقية .

عز وجل يقول ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (١) فإن حُدْتُ (٢) أو غيرت أو بدلت كنت للغِيَر مستحقًّا ، وللنكال متعرّضاً ، وأعوذ بالله من سَخَطه ، وإليه أرغب فى التوفيق لطاعته ، والحَوْلُ بينى وبين معصيته فى عافية ، والجَامعةُ والحَصْرُ يدُلَّان على ضد ذلك (٣) ﴿ ومَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُم ﴾ (٤) ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٥) لكنى امتثلت أمر أمير المؤمنين ، وآثرت رضاه ، والله يعصمنى وإياه ، وأشهدت الله على نفسى بذلك ﴿ وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ (٦) .

وكتبتُ بخطى بحضرة أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ والفضلِ بنِ سَهْلٍ ، وسهْلِ بن الفضل ، ويحي بن

(١) سورة الإسراء الآية ٣٤ .

(٢) في صبح الأعشى فإن أحدثت أو غيرت .

(٣) جملة : « في عافية والجامعة والحصر يدلان على ضد ذلك » جاءت في صبح الأعشى تصحيحا من المحققين : « في عامة المسلمين والخاصة والحضر يدلان على ضد ذلك » وبالهامش ما يأتي : « ثبتت هذه العبارة في الأصل وعليها علامة التوقف . ولم نعثر عليها في غير هذا الكتاب فتأمل » هذا والجامعة من معانيها العلاقة . والحصر : الاستيعاب . ويريد أن العلاقة بينه وبين أسرته والخليفة واستيعاب أموره يدلان على ضد المعصية التى يطلب من الله أن يحول بينه وبينها في عافية .

(٤) سورة الأحقاف الآية ٩

(٥) سورة الأنعام الآية ٥٧

(٦) النساء ٧٩/١٦٦ والفتح ٢٨

أَكْثَم ، والْبِشْرِ بن[1] المُعْتَمِر ، وحمّادِ بنِ النُّعمان ، فى شهر رمضان سنة إِحدى ومائتين .

ثُم كتب فيه من حَضَر من هؤلاء ، وهذه صورة كتابتهم فيه :

فكتب الفضل بن (١٨٧ ا) سهل وزيرُ المأْمون ما صورته :

رسم أَميرُ المؤمنين أَطال الله بقاءه قراءَة مضمون هذا المكتوب : ظهرِهِ وبطنه ، بِحَرَم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين الروضة والمِنبر ، على رؤوس الأَشهاد ، ومَرأًى ومَسْمَعٍ[2] من وجوه بنى هاشم وسائر الأَولياء والأَجناد ، وهو يسأَل الله أَن يعرِّف أَميرَ المؤمنين وكافَةَ المسلمين بركةَ هذا العهد والميثاق ، بما أَوجب أَميرُ المؤمنين الحجّةَ به على جميع المسلمين ، وأَبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراءَ الجاهلين ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾[3] .

(١) في صبح الأعشى : بشر .

(٢) في الأصل ومرأ وسمع والتصويب من صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٩٣

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٩

وكتبَ الفضلُ بنُ سهلٍ فى التاريخ المعيَّن فيه .

وكتب عبدُ الله بنُ طاهرٍ ما صورته :

أَثبتَ شهادَتَه فيه بتاريخه عبدُ الله بن طاهر بن الحُسَين .

وكتب يحي بنُ أَكثم القاضى ما صورته :

شهد يحي بنُ أَكثم على مضمون هذه الصحيفة ظهرِها وبطنها . وكَتَبَ بخطه بالتاريخ .

وكتب حماد بن النعمان ما صورته :

شهد حمّاد بن النُّعمان بمضمونه ظهره وبطنه ، وكتب بيده بتاريخه .

وكتب بشر بن المعتمر ما صورته :

شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وكتب [بخطه] بالتاريخ .

المذهب الثـانى

فى العهود التى تـكتب للخلفاء أَن يفتتـح العهد بـالحمد لله .

قلت : وعليه العمل فى زماننا مع الاقتصار على تحميدة واحدة والاختصار (١٨٧ ب) فى القول .

وعلى ذلك

كُتب عن أَمير المؤمنين المستـكفى بالله أَبى الربيـع سليمانَ لولده المستوثق بـالله بَرَكَةَ [١] .

وهذه نسخته

الحمدُ لله الذى أَيَّد الخلافة العباسية بـأَجلِّ والد وأَبَرِّ ولد ، وجعلها كلمةً باقية بالسَّنَد والسَّنَد فالسَّنَدَ ، وآواها من إمرتـهم إِلى الـكهف [٢] فالـكهف وإِن تناهى العَدَد ، وزان عِطْفَها بسُؤْدَد سَواد شعارِهم المُسَّجلةِ أَنواره [٣] ، ولا شك أَن النُّور فى السواد ، وعَذَقَ بصولتهم النبوىِّ

---

(١) فى صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٨٩ المستوثق بالله بركة بالخلافة بعده وهذه نسخته .

(٢) في صبح الأعشى : في عقبه والسند كالسند وأواهم من أمرهم . . .

(٣) في صبح الأعشى : أنوارهم.

مُعجِزُها كُلَّ مُنْآد [١] . نحمده على ما منَّ به من تمام النعمة فيهم ، ونزول الرحمة ببواقيهم [٢] ونشهد أَن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادةً محضةَ الإِخلاص ، كافلاً محضُها بالفَكاك من أَسْرِ الشِّرْك والخَلاص ، ونشهد أَن محمدا عبده ورسوله المبعوث بما أَوضح سُبُل الرَّشاد ، وقَمَع أَهلَ العناد ، والشفيعُ المُشفَّع يوم التَّنَاد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً لا انقضاء لها ولا نفاد ، وسلّم تسليما كثيرا .

وبعدُ فإن أَمير المؤمنين ـ ويذكر اسمه ـ يعتصم بالله فى كل ما يأْتى ويذَر ، مما جعل له من التفويض ، ويُشير إلى الصواب فى كل تصريح منه وتعريض ، وإنه ـ شدّ الله أَزْرَه وعظَّم قدره ـ استخار الله سبحانه وتعالى فى الوصيّة بما جعله الله له من الخلافة المعظَّمة المفخمة الموروثة عن الآباء والجدود ، المُلْقاةِ إليه مقاليدُها كما نص عليه ابنُ عمِّه صلى الله عليه وسلم فى الوالد من قُرَيْش

(١) الجملة أيضا في صبح الاعشى وكتب منادّ بتشديد الدال . وفي مخطوطنا متاد . وعلق في هامش صبح الأعشى على كلمة عدق (لعلها قدع اى كف) . هذا وعدق يده أدخلها في نواحى البئر ونحوها كأنه يطلب شيئاً . أما عذق فهى من عذقه به رماه به ووسمه به ومع كلمة عذق يستقيم المعنى وستأتى الكلمة أيضا وتؤدى هذا المعنى.

(٢) في صبح الأعشى : بتوافيهم .

والمَوْلُود ، لِولَدِه السيِّدِ الأَجلِّ المعظم المكرم فلان ، سليل الخلافة وشِبْلِ غابها ، ونُخْبَةِ أَحسابها وأَنسابها ، (١١٨٨) أَجلَّه الله وشرَّفه ، وجمَّل به عِطْف الإِمامة وَفَوَّفَه ، لِما تَلمَّحه فيه من النجابة اللائحة على شمائله ، وظهر من مُسْتَوْثَقِ إِبداء سِرِّه فيه بدلائل بُرهانه وبُرهان دلائله ؛ وأَشهدَ على نفسه الكريمة — صانها الله تعالى — سيدُنا ومولانا أَميرُ المؤمنين مَنْ حضر من حكام المسلمين : قُضاةِ قضاتهم وعلمائهم وعُدولهم مجلِسَه الشريف أَنه رضى أَنَ يكون الأَمرُ فى الخلافة المعظمة — الذى جعله الله له الآن — لولده السيد الأَجل فلان بعد وفاته ، فسَّح الله فى أَجله . وعهد بذلك إِليه ، وعوَّل فى أَمر الخلافة عليه ، وأَلقى إِليه مقاليدها ، وجعل بيده زمام مُبْدِئها ومُعيدها ، وصَّى له بذلك كلِّه جُزْئيِّه وكلِّيِّه ، وغامضه وجَلِيِّه ، وصيَّةً شرعِيَّةً بشروطها اللازمة المعتبرة ، وقواعدها المُحرَّرة ، وأَشهدَ عليه بذلك فى تاريخ كذا .

قلت : وقد أَنشأْت على هذه الطريقة عهدا على لسان الإِمام الأَعظم المتوكل على الله أَبى عبد الله محمد لابنه الإِمام الأَعظم المستعينِ بالله أَبى الفضل العباس ، امتحانا للذهن

قبل وفاة المتوكل وانتقال الخلافة بالبيعة لابنه المستعين بنحو ثمان سنين ، فاتفق أن كان هو الذى ولى الخلافة بعده من أولاده .

وهذه نسختــــه [1]

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمون الطائر ، مبارك الأَول ، جميـــل الأَوسط ، حميدُ الآخر ، تشهد به حَضراتُ الأَملاك ، وتَرْقُمه كَفُّ الثُّريَّا بأَقلام القَبول فى صحائف الأَفلاك ، وتُبــاهى به ملوكُ الأَرض ملائــكةَ السَّمَا ، وتسرى بنشره القَبُول [2] فَتنشر له بــكلّ ناحية عَلَما ، وتُطْلِــعُ به سعادةُ الجَدِّ من مُلوك العدل فى كل أُفق نجما ، وترقص من فرحها الأَنهارُ (١٨٨ ب) فتُنَقِّطها شمسُ النهار بذهب الأَصيل على صفحات الْما ، عَهِدَ به عبدُ الله ووليُّه أَبو عبد الله محمدٌ المتوكلُ على الله أَميرُ المؤمنين إلى ولده السيد الجليل عُدَّة الدينِ وذخيرته ، وصَفِىِّ أَمير المؤمنين من ولده وخِيرَتِهِ ، المستعينِ بالله أَبى الفضل العبَّاس ، بلَّغ الله

---

(١) صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٦٩

(٢) في صبح الأعشى بنشره القبول إلى الأقطار فتنشر . . .

فيه أَميرَ المؤمنين غاية الأَمل ، وأَقرَّ به عينَ الخلافة العباسية كما أَقرَّ به عين أَبيه وقد فعل .

أَما بعدُ ، فالحمد لله حافظِ نِظام الإِسلام وواصل سَبَبِه ، ورافعِ بيت الخلافة ومَادِّ طُنُبه ، وناظِمِ عِقْد الإِمامة المعظمة فى سلك بنى العباس وجاعِلها كلمةً باقية فى عَقِبه .

والحمد لله الذى عَذَقَ أَمْرَ الأُمة منهم بأَعظمهم خطرا ، وأَرفعهم قدرا ، وأَرجحهم عقلا ، وأَوسعهم صدرا ، وأَجزلهم رأْيا ، وأَسلمهم فكرا .

والحمد لله الذى أَقرَّ عين أَمير المؤمنين بخير ولى وأَفضل ولد ، وشدَّ أَزره بأَكرم سيّد وأَعز سند ، وصرف اختياره إلى من إذا قام بالأَمر بعده قِيلَ هذا الشبلُ من ذاك الأَسد .

والحمد لله الذى جمع الآراء على اختيار العاهد فما قَلَوْه ولا رَفضوه ، وجبلَ القلوبَ على حب المعهود إليه فلم يَرَوُا العدولَ عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمد لله الذى جدَّد للرعية نعمةً مع بقاء النعمة الأُولى ، وأَقام لأَمرِ الأُمة من بنى عم نبيّه المصطفى الأَوْلى بذلك

فالأَوْلى ، واختار لعهد المسلمين من سبقت إليه فى الأَزل إرادته فأَصبح فى النفوس معظَّما وفى القلوب مقبولا .

والحمد لله الذى أَضحك الخلافة العباسية بوجود عبّاسها ، وأَطاب بذكره رَيَّاها فتعطر الوجود بطيب أَنفاسها ، ورفع قدره بالعهد إليه إلى أَعلى رتبةٍ مُنِيفة ، وخصَّه بمشاركة جده العباس فى الاسم والكُنية ففاز بما لم يفز به قبلَه منهم ستٌّ [1] وأَربعون خليفة .

والحمد لله (١١٨٩) الذى أَوجب على الكافة طاعة أُولى الأَمر من الأَئمة ، وأَلزمهم الدخول فى بيعة الإِمام والانقياد إليه ولو كان عبدا أَسود ، فكيف بمن أَجمع على سؤدده الأُمَّة ، وأَوضح السبيل فى التعريف بمقام الآل والعتْرة النبوية فَلاَ ﴿ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّة ﴾ [2]

يَحمدُه أَميرُ المؤمنين على ما منحه من طيب أُرومة سمتْ أَصلا وزكتْ فرعا ، وحباه من شرف مَحْتِدٍ راق نظرا وشاق

(١) فى هامش صبح الأعشى ما يأتى :

ذكر اسم العدد على حد ما أنشده الفراء :

أبوك خليفة ولدته أخرى ... وأنت خليفة ذاك الكمال

(٢) هى من الآية «ثم لا يكن أمركم عليكم غمة» سورة يونس الآية ٧١

سمعا ، ووصله به من نعم آثرتْ نفَّاعا وأَثَّرتْ نفعا .

ويَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يتوارثونها كالخلافة كابرا عن كابر ، ويوصى بها أبدا الأَولُ منهم الآخر ، ويؤذن قيامهم بنصرتها أَنهم معدن جوهرها النفيس ونظام عِقْدِها الفاخِر . ويشهد أَن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، الذى خصَّ عمَّه العباسَ بكريم الحِبَاء وشريف الإِنافة ، ونبه على بقاء الأَمر فى بنيه بقولٍ ضَلَّ من أَظهر عناده أَو أَضمر خِلافه ، حيث أَسرَّ إليه : أَلاَ أُبشرك يا عَمّ ، بى خُتمت النبوةُ وبولدك تختم الخلافة . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تعم بركتُها الولد والوالد ، ويشمل معروفها المعهودَ إليه ويَعرِفُ شَرَفَها العاهد ، ويعترف بفضلها المُقِرُّ ولا يسع إنكارُها الجاحد ، ما نُوِّهَ بذكر الخلافة العباسية على أَعواد المنابر ، وخفقت الرايات السودُ على عساكر المواكب ومواكب العساكر ، وسلَّم تسليماً كثيرا .

هذا وكلُّ راعٍ مسئولٌ عن رعيته ، وكل امرئٍ محمول على نِيَّتِه ، مُخبِرٌ بظاهره عن جميل ما أَكَنَّه فى صدره وما أَسرَّه فى طَوِيَّتِه ، والإِمام منصوبٌ للقيام بأَمر الله

تعالى فى عباده ، مأمور بالنصيحة لهم جُهْدَ طاقته وطاقةَ اجتهاده ، مطلوبٌ بالنظر فى مصالحهم فى حاضر وقتهم ومستقبله وبدءِ أَمرهم ومعاده ، ومن ثَمَّ اختلفت آراءُ الخلفاء الراشدين فى العهد بالخلافة وتباينت (١٨٩ ب) مقاصدهم ، وتنوَّعت اختياراتُهم بحسب الاجتهاد واختلفت مواردُهم ، فعهِد الصديق إلى عمر بن الخطاب [١] متثبتاً ، وتركها عمر شورى فى ستة وقال : أَتحمل أَمركم حياً وميتاً : وأَتى رضى الله عنه لكلٍّ من المذهبين بما أَذعن له الخصم وسلَّم ، فقال : إن أَعهد فقد عَهِد من هو خير منى أَبو بكر ، وإن أَترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فأَخذ الخلفاء فى ذلك بسنتهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ، فمن راغب عن العهد وراغب فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أَو أَخيه ، كل منهم بحسب ما يؤدى إليه اجتهادُه ، وتَقوى عليه عزيمته ويترجّح لديه اعتماده .

ولما كان أَمير المؤمنين – أَحسن الله مثابه [٢] – قد

---

(١) في صبح الأعشى حـ ٩ ص ٣٧٢ رضى الله عنه .

(٢) في صبح الأعشى مآبه .

نوّر الله عين بصيرته ، وخصه بطهـــارة سره وصفاء سريرته ، وآتاه الله الملك والحِـكمة ، وأَقامه لمصالح الرعية وصلاح أَمر الأُمَّة ، وعلّمه مما يشاءُ فكان له من علم الفراسة أَوفر قَسْم ، واصطفاه على أَهل عصره وزاده بَسْطة فى العلم والجسم . فلا يعزم أَمرا إلا كان رشادا ، ولا يعتمد فعلا إلا ظَهَر سداداً ، ولا يَرْتـئــى رأْيا إلا أُلْفِى صوابا ، ولا يشير بشيء إلاّ حُمِدت آثارُه بداية ونهاية واستصحابا . ومع ذلك فقد بَلاَ الناسَ وخبرَهم ، وعلم بالتجرِبة حالهم وخَبَرَهم ، واطَّلـع بحسن النظر على خفايا أُمورهم ، وما به مصلحةُ خاصَّتهم وجمهورهم ، وترجَّـح عنده جانبُ العهد على جانب الإِهمال ، ورأَى المبادرة إليه أَولى من الإِهمال ، ولم يزل يُرَوِّى فـكرته ، ويُعْمِل رَوِيَّته ، فيمن يصلح لهذا الأَمر بعدَه ، وينهض بأَعبائه الثقيلة وحدَه ، ويتَّبـع فيه سبله ويسلك طرائقه ، ويقتفى فى السيرة الحسنة أَثره ويشيم فى العدل بوارقَه ، ويُقْبِل على الأَمر بـكلّيّته ويقطع النظر عمّا سواه ، ويتفرّغ له من كل شاغل فلا يخالطه بما عداه .

وقد علم أَن الأَحق بأَن يـكون لها حَلِيفاً من كان بها

خليقا ، (١١٩٠) والأَولى بأَن يكون لها قرينا من كان بوصلها حقيقا ، والأَجدرَ أَن يكون لديها مكينا من اتخذ معها يَدًا وإلى مرضاتها طريقا ، والأَليقَ بمنصبها الشريفِ من كان مطلوبها مَلِيًّا ، والأَحْرَى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وَفِيًّا ، والأَوفقَ لمقامها العالى من كان خيرًا مَقاما وأَحسن نَدِيًّا . وكان وَالدُه السيدُ الأَجلُّ أَبو الفضل العباسُ المشار إليه هو الذى وجَّهَت الخلافةُ وجهَهَا إلى قِبْلته ، وبالغت فى طلبه وأَلحَّتْ فى خِطْبته ، على أَنه قد أُرضِع بِلبانِها ورُبِّىَ فى حِجْرِها ، وانتسب إليها بالنبوة فضمَّته إلى صَدْرِها ، وكيف لا تَتَشبَّث بجماله ، وتتعلق بأَذياله ، وتطمع فى قربه ، وتتغالى فى حبه ، وتميل إلى أُنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كُفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتها ، ونَسيبها السامى إلى أَعاليها الراقى على شُرُفاتِها ، إذ هو شِبلُها الناشىء فى آجامها ، بل أَسدها الحامى لحماها [1] ومجيرها الوافى بذمامها ، وفارسها المُقدَّم فى حَلْبة سباقها ووارثها الحائز لجميع سهامها ، وحاكمُها الطائع لأَمرها ، ورشيدها المأْمون على سِرّها ، وناصرها القائم بواجبها ،

(١) في الأصل : « لحماتها » والتصويب من صبح الأعشى جـ ٩ ص ٣٧٣

ومَهْديُّها الهادى إلى أَفضل مذاهبها ، فقد التحف من الخلافة بردائها ، وسكن من القلوب فى سويدائها ، وتوسّمَت الآفاق تفويضَ الأَمر إليه بعد أَبيه فظَهَر الخَلُوق فىأَرجائها ، واتّبع سيرة أَبيه فى المعروف واقتفى أَثره فى الكرم ، وتشبه به فى المفاخر ومن يشابه أَبَهُ فما ظلم ، وتقبَّلَ الله دعاءَ أَبيه فوهب له من لَدُنْه وَلِيّا ، وأَجاب نداءَه فيه فمكَّن له فى الأَرض وآتاه الحُكْم صَبِيّا ، فاستوجب أَن يكون حينئذ للمسلمين وَلِيَّ عهدهم ، والياً على أُمورهم فى حَلِّهم وعَقْدهم ، متكفّلا بالأَمر فى قربه وبعده ، معينا لأَبيه فى حياته خليفةً له من بعده ، وأَن يُصرِّح له بالاستخلاف ويُوَضِّح ، ويتلُوَ عليه بلسان التفويض ﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأَصْلِحْ ﴾ (١)

واقتضتْ شفقةُ (١٩٠ ب) أَمير المؤمنين ورأْفتُه ، ورِفْقُه بالأُمة ورحمته ، أَن يَنْصِب لهم ولىَّ عهد يكون بهذه الصفات مُتَّصِفا . ومن بحره مُغترفا ، ومن ثمار معروفه المعروف مُقْتطِفا ، ولمَنْهله العذب واردا ، وعلى بيته الشريف وسائر الأُمة بالخير عائدا ، فلم يجد من هو

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢

مستكملٌ لجميعها ، مستوعبٌ لأُصولها وفروعها ، وهو بمطلوبها أَمْلى ، وعلى قلوب الرَّعية أَحلى ، وللغليل أَشْفَى ؛ وبالعهد الجميل أَوفى ، من ولدِه المشارِ إليه . فاستشار فى ذلك أَهل الحل والعقد من قُضاته ، وعلمائه [وأُمرائه] (١) ووزرائه وذويه ، وأَقاربه وبنيه ، وأَعيان أَهل العصر وعامَّته ، وجمهوره وكافَّته ، فرأَوه صوابا ، فلم تَعْرُهم فيه ظِنَّةٌ ولا مُسترابًا (٢) . ولا وجد أَحد منهم إلى باب غيره طريقاً ولا إلى [طريق] غيره بابا ، فاستخار الله تعالى فيه فأَقبل خاطرُه الشريفُ عليه ، وكرَّر الاستخارةَ فلم يجد عنه مَحيدا إلاّ إليه ، فلما رأَى أَن ذلك أَمرٌ قد انعقد عليه الإجماعُ قولا وفعلا ، وعُدم فيه المخالف بل لم يكن أَصلا ، حَمِد الله تعالى وأَثنى عليه ، وسأَله التوفيق ورغب إليه ، وجدَّد الاستخارة وعهد إليه بأَمر الأُمة ، وقلده ما هو متقلده من الخلافة المقدسة بعده ، على عادة من تقدمه من الخلفاء الماضين ، وقاعدة من سلف من الأَئمة المَهْديِّين ، وفوض إليه ما هو من أَحكامها ولوازمها ، وأُصولها ومَعَالمها ، من عَهْدٍ ووصاية ، وعزل وولاية ، وتفويض

(١) زيادة من صبح الأعشى : ص ٣٧٤ .
(٢) نصب مسترابا لأجل السجع .

وتقليد ، وانتزاع وتخليد ، وتفريق وجَمْع ، وإعطاء ومَنْع ، ووصل وقطع ، وصِلَةٍ وإدرار ، وتقليل وإكثار ، جزئيّها وكُلِّيِّها ، وخَفيها وجَلِيِّها ، ودانيها وقاصيها ، وطائعها وعاصيها ، تفويضاً شرعيًا ، تامًّا مَرضيًّا ، جامعا لأَحكام الولاية جمعاً يعُمُّ كلَّ نطاق ، ويُرى حكمُه فى جميع الآفاق ، ويدخل تحته سائر الأَقاليم والأَمصار على الإِطلاق (١٩١ ا) لا يُغيَّر حُكْمُه ، ولا يَنْجلى [(١)] رَسْمُه ، ولا يَطيش سهمه ، ولا يأْفُلُ نَجْمُه .

قَبِلَ المعهودُ إليه - أَعلى الله مقامَه - ذلك بِمَحْضَر من القضاة الحُكَّام ، والعلماء الأَعلام ، ولزِمَ حُكْمُه وانبَرم ، وكُتب فى سجلات الأَفلاك وارتَسم ، وحُمِلت رسائلُه مع بُرُدِ السحاب وطافت به على سائر الأُمم . وهو - أَبقاه الله - مع ما طبعت عليه طباعُه السليمة ، وجُبلت عليه سجاياه الشريفة وأَخلاقه الكريمة ، قد تلقى [(٢)] عن أَمير المؤمنين من شريف الآداب ما غُذِّىَ به فى مَهْدِه ، وتلقَّفَ منه من حُسن الأَدواتِ ما يرويه بالسند عن أَبيه

(١) فى صبح الأعشى ص ٣٧٥ : ولا يمحى رسمه .

(٢) فى الأصل : « فقد تلق » والتصويب من السياق وصبح الأعشى .

وجَدِّه ، مما انطبع فى صفاء ذهنه الصقيل وانتقَش فى فهمه ، واختلط من حال طُفُولِيَّته بدمه ولحمه [1] ، حتى صار طبعا ثانيا ، وخُلُقا على مَمَرِّ الزمان باقيا ، واجتمع لديه الغريزىُّ فكان أصلا ثابتا ، وفرعاً على ذلك الأَصل القوى نابتا . لكن أَمير المؤمنين يوصيه تبرُّكا ، ويشرح له ما يكون به إن شاءَ الله تعالى مُتمسِّكا ، والمرءُ إلى الأَمر بالخير مندوب ، ووصيّة الرجل لبنيه مطلوبة ، فقد قال تعالى ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [2]

فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجا ، والتقوى [3] رأْس ما لك ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا ﴾ [4] والجأْ إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لَجَا ، وكتابُ الله هو الحبل المَتين ، والكتاب المُبين ، والمنهج القويم . والسبيلُ الواضح والصراط المستقيم ، فتمسَّكْ منه بالعُرْوَة الوُثقى ، واسلك طريقته المثلى واهتد بهديه فلا تَضل ولا تَشقى ، وسُنَّةُ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالاقتداء

(١) في صبح الأعشى : بدمه ولحمه وعظمه .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٢

(٣) أضاف محققو صبح الأعشى كلمة و[اجعل] التقوى . .

(٤) سورة الطلاق الآية ٢

بـأَفعالها الواضحة ، والإِصغاء لآثار أَقوالها الشارحة ،
عالمـــا بـأَن الـكتـــاب والسنة أَخوان [1] لا يفترقان
ومتلازمان بحبل التَّبايُنِ لا يَعْتلقان ، والبلادَ والرعايا
فحُطْهما بنظرك ما استطعت ، وتَثَبَّتْ فى كل قَطْـع ووَصْل
فأَنت مسئول عن كل ما وصلتَ وقطعْت ، والآلَ والعِتْرة
(١٩١ ب) النبويةَ فَفِهِمَا [2] حقَّ القرابة منك ومن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى شرفت به ، واعلم أَنك
إذا أَكرمت أَحداً منهم فإنما أَكرمته بسببه ، واتَّبـع
فى السيرةِ سيرَةَ آبائِـك الخلفـاء الراشدين لا تَزِغْ
عنها ، ولا تعملْ إلا بها وبما هو - إن استطعت -
خيرٌ منهـا ، واقْفُ فى المعروف آثارهم المقدسة لتحوى
من المــآثر ما حَوَوْا ، واحْذُ حَـذْوهم فى طريقهم
المباركةِ وابْنِ المجدَ كما بَنَوْا ، وأَحْيِ من العمل سنَّةَ سلفك
المُصْطَفَيْن الأَخيار ، واحرص أَن تـكون من الأَئمة الذين
يُظلهم الله تحت ظل عرشه ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ . يَوْمَ لاَ
يَنْفَـعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [3]

---

(١) في الأصل : أخوين وهو تحريف وورد صوابا في صبح الأعشى.

(٢) في الأصل ففيهما . وقوله « ففهما » أمر من وَفَى

(٣) سورة غافر الآية ٥١ والآية ٥٢

وأَسْلِفْ خبرا تُذكَرُ به على مَرِّ الليالى ، وينتظم ذكره لك فى عقود الأَيام كما تنتظم فى السلك [(١)] اللآلى ، وليكن قصدُك وجْهَ الله ليكون فى نصرتك فإن من كان الله تعالى فى نصرته لا يُبالى ، ولْتَعْلَمْ حقَّ اليقين أَن حسنة الإِمام تضاعفُ بحسب ما يترتب عليه من المصالح أَو يتجدَّد بسببها ، وسيِّئَتُهُ كذلك فمن سَنَّ سيئة كان عليه إِثمها وإِثم من عمل بها ، ودُرْ مع الحق كيفْ دار وَمِلْ معه حيث مال ، واعلم بأَن ﴿ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّروا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ له وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال ﴾ [(٢)] ولا يَخْطُرْ ببالك أَنَّ هذا الأَمر انتهى إِليكَ بقُوَّة ، أَو يَغُرَّك ما قدمناه من الثناء عليك فالتَّأَثُّر بالمدح مُخِلٌّ بالمُرُوَّة ، ولا تَتَّكِلْ على نسبك فمن أَطاع الله أَدخله الجنة ولو كان عبدًا حبشيّا ، ومن عصاه أَدخله النار ولو كان هاشميًّا قُرَشِيّا ، واستَنْصِرِ اللهَ واستعن به يكن لك عوناً وظَهيرا ، واستهده يهدك ﴿ وَكَفَى بِرَبِّك هَادِيًا وَنَصِيرا ﴾ [(٣)] وكن لله خائفا

(١) في الأصل : « في سلك اللآلى » والتصويب من صبح الأعشى .

(٣) سورة الرعد الآية ١١

(٣) سورة الفرقان الآية ٣١

ومن مكره من المُشفقين ، فإنّ ﴿ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين ﴾ (١) .

هذا عهد (١١٩٢) أَمير المؤمنين إليك ، ووصيته تُمْلَى عليك ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمنِين ﴾ (٢) والله تعالى يُبَلِّغه منك أَملا ، ويُحقِّق فيك علما ويُزَكِّى بك عملا .

والاعتماد على الخطِّ المُقَدَّس الإِمامِيِّ المتوكِّلِيِّ – أَعلاه الله تعالى – أَعلاه ، حُجَّةٌ فيه إِن شاء الله تعالى .

تنبيه : قد تقدَّم فى آخر البيعات نقلا عن محمد بن عمر المدائنى أَنه كان يكتب للخلفاء فى قرطاس من ثُلُثَى طومار ، وهو الثلثان من القَطْع البغدادى ، وأَن الذى يظهر أَن ذلك كان فى أَوائل أَمرهم ، وأَنه كان يُكتب لهم أَخيرا فى قطع البغدادى الكامل ، أَما الذى استقر عليه الحال فيما يكتب من العهود بالخلافة عن خلفاء بنى العباس بالديار المصرية أَنه يُكتب لهم فى قطع الشامى الكامل بقلم الثلث الخفيف .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٨

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٥

الفهارس



١ ــ فهرس الموضوعات

٢ ـ فهرس الآيات القرآنية ، وحديث

رقم الآية	الآيـــــــــة	الصفحة
	سورة البقرة	
١٣٢	« ووصّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ »	٣٥٠
	سورة آل عمران	
١٧٩	« ماكان اللهُ ليذر المؤْمنين على ما أنتم عليه »	٣٣٥
	سورة النســـــاء	
٦٩	« مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً »	٢٧٩
٧٠	« ذلك الفضلُ من الله وكفى بالله عليماً »	٢٧٠
٧٨	« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة »	٢١٣
٧٩، ١٦٦	« وكفى بالله شهيدا »	٣٣٤
	سورة الأنعام	
٥٧	« إنِ الحكم إلاّ لله يقص الحقّ وهو خير الفاصلين »	٣٣٤
	سورة الأعراف	
٤٣	« الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »	٢٧٦
١٢٨	« إن الأرضَ لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »	٣٥٣
١٤٢	« اخلفْنى في قومى وأصلحْ »	٣٤٧

٣ ــ فهرس القوافى

أول البيت	قافيته	بحره	الصفحة
غصبوا عليًّا	بيثرب ناصرُ	الكامل	٦٣
أيامَلِكاً	نصب تميزِ	الطويل	٢١٢
بلادى	بها وأجوعُ	الطويل	٦٧
في ثانيِ	أمّ الأشرفِ	الكامل	١٧٢
ياإمام الهدى	الفخار الأثيلُ	الخفيف	٨٠
أبوك خليفة	ذاك الكمالْ	الوافر	٣٤٢
فلا هو	عن الدين شاغلُهْ	الطويل	٢٨١
تعوّد بسط	أناملُهْ	الطويل	٢٨١
مولاى إن	حقّ علِي	البسيط	٦٣
الجاى قال	بالأشرف الكرمْ	المديد	١٧٣
ألا َصيلْ	أحق العالمينا	الوافر	٢٥٩
الجاى ذاك	الوشـــاهْ	السريع	١٧٢

٤ ـ الكتب التي ذكرها المؤلف

٥ ــ فهرس الاعلام (١)

(١) ترتيب الاعلام دون نظر لأب أو أم أو ابن ومع عدم اعتبار « ال » .

٦ ـ الأماكن والطوائف



٧ ـ الطرائف والنوادر

---

(١) انظر الأوائل في فهرس الجزء الأول ، والأوائل في الجزء الثالث .

مآثر الإنافة في معالم الخلافة

القلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب

مآثر الإنافة

في

معالم الخلافة

للقلقشندي

٧٥٦ - ٨٢٠ هـ

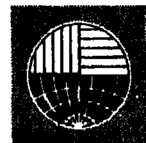
الجزء الثاني

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

عالم الكتب





بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠